

مدينة برقة

وآثارها الإسلامية
عبق التاريخ وطرز العمارة

د. عبدالله كامل موسى عبده

دار الآفاق العربية

مدن تراثية ٦

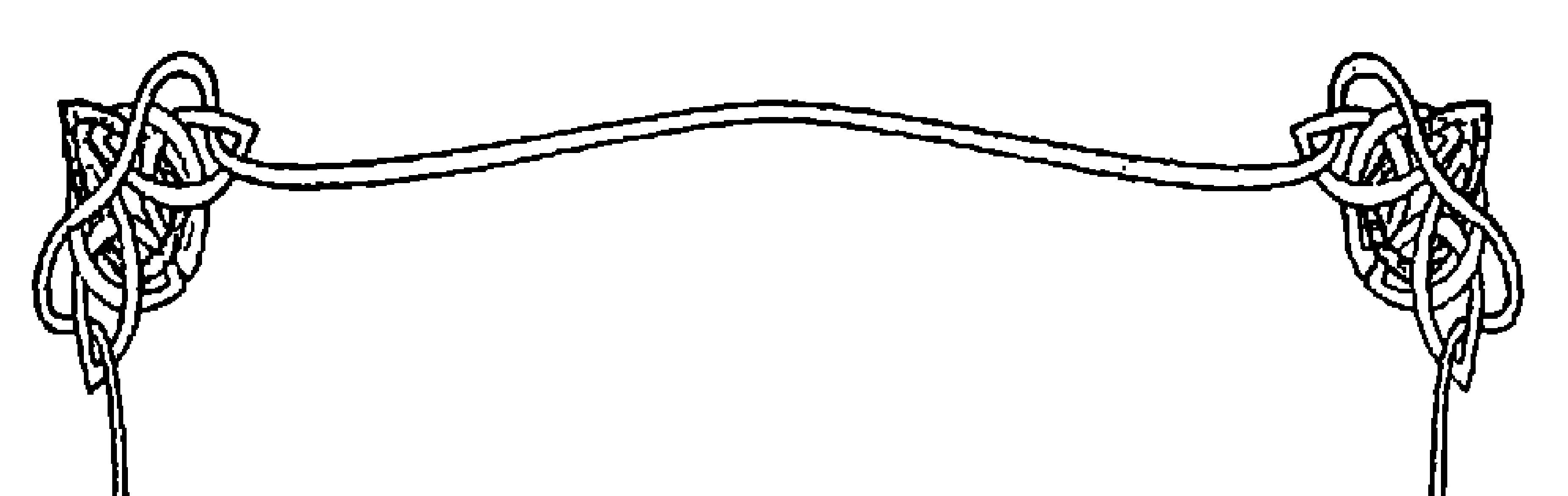
مدينة برقة

وآثارها الإسلامية
عبق التاريخ وطرز العمارة

د. عبدالله كامل موسى عبده

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

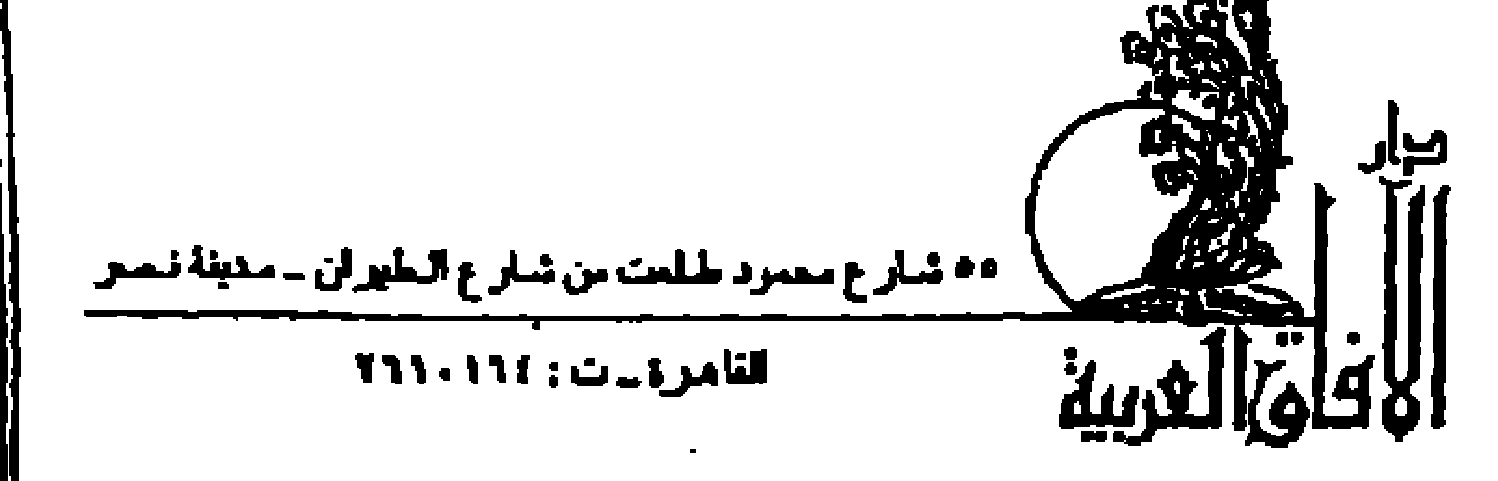




الطبعـة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع	١٨٤٦٩ / ٢٠٠٠
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 5727 - 95 - 2



بسم الله الرحمن الرحيم

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

صدق الله العظيم

البقرة آية : ٢٨٦

لوحة الغلاف

تمثل لوحة الغلاف الجامع العتيق بمدينة درنة إحدى مدن برقة الإقليم، حيث يعد من روائع العمارة الإسلامية فى إقليم برقة (المنطقة الشرقية من ليبيا)، وقد وقع إختيارى عليه بسبب تصدع منشآت مدينة برقة من جراء الزلزال المدمر الذى تعرضت له المدينة فى عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م من جهة، ولكونه يمثل لوحة جميلة رائعة للعمارة الليبية فى العصر العثمانى بمئذنته الرشيقة وقبابه الضحلة من جهة أخرى، كما أنه يتبع طراز مساجد مدينة برقة موضوع الكتاب من منطلق أن المؤثرات البيئة متشابهة فى كافة مدن برقة الإقليم.

الإهداء

إلى ....

روح والدى الطاهرة

طيب الله ثراه ...

وإلى ....

أمى الحبيبة أطال الله عمرها ...

وإلى ...

زوجتى وأولادى أحمد ومحمد وكامل ومحمود ...

أهدى هذا العمل.

تصدير

ازدهرت العمارة والفنون الإسلامية فى ليبيا ازدهاراً كبيراً وخاصة فى القرون الأربعة الأولى للهجرة، ولاتزال كثير من المدن الليبية تزخر بالعديد من الآثار الإسلامية التى يعود تاريخها إلى فترات حكم الدول المختلفة التى توالت على حكم هذه البلاد، خاصة تلك التى ترجع إلى العصر العثمانى بعهديه الأول ٩٥٨-١١٢٣هـ / ١٥٥١ - ١٧١١م، والثانى ١١٢٣ - ١٣٢٩هـ - ١٧١١/ ١٩١١م.

والمعروف أن الآثار الإسلامية فى ليبيا لم تلق العناية القصوى من قبل الدارسين والباحثين الذين اهتموا بوضع الموسوعات الضخمة عن الفن الإسلامى أو بعمل الرسائل العلمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه فلم تحظ ليبيا إلا بالفقرات القصيرة فى كل ماكتبوه أو بالرسائل القليلة للغاية من قبل الباحثين.

ويرجع السبب فى ذلك إلى أمور عدة يأتى فى مقدمتها صعوبة الكتابة فى هذا الموضوع لقلة المراجع بل وندرتها، وفى الوقت ذاته تتطلب الدراسة العلمية الصحيحة لهذا الموضوع ضرورة مشاهدة هذه الآثار وما تحويه من تحف ثابتة ومنقولة وفحصها ودراستها ورفعها رفعا معمارياً دقيقاً، ثم تحليل عناصرها المعمارية والزخرفية لمعرفة خصائصها ومميزاتها، ثم استخلاص النتائج العلمية المتعلقة بدراستها فى ضوء الموروث القديم، والمؤثرات البيئية، والتأثيرات الوافدة.

وإضافة لم تقدم فهناك صعوبة فى التعامل مع بعض المواقع الأثرية الإسلامية بليبيا.

وقد تناولت فى هذه الدراسة التى تدور حول مدينة برقة - المرج حالياً - فى العصر الإسلامى أحوال أفريقية قبل الفتح الإسلامى فى الفصل الأول، ثم الفتح الإسلامى لبرقة وطرابلس، وأهمية موقع برقة فى الفتوحات الإسلامية للمغرب، ثم استقرار هذه الفتوحات قبل وبعد تشييد القيروان، أما الفصل الثالث فقد خصص لكتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطى عن المدينة، وهى الكتابات التى ألقت الضوء على نشأة وتطور المدينة ثم تدهورها واضمحلالها، أما الفصل الرابع فقد خصص للآثار الدارسة، ثم خصص الفصل الخامس والأخير للآثار الباقية وتتمثل فى ثلاثة مساجد بعد أن تهدمت معظم منشآت المدينة من جراء زلزال عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، وهو الأمر الذى ترتب عليه إنشاء مدينة المرج الحديثة حاليا وانتقال معظم الناس إليها.

وقد حاولت فى كل فصل من فصول هذا الكتاب تتبع التطور التاريخى والحضارى للمدينة من جهة، والقاء الضوء على طراز العمار فى هذه المنطقة الشرقية من ليبيا من خلال استعراض السمات العامة والدراسة المقارنة للكشف عن خصائص العمارة الليبية فى المنطقة الشرقية.

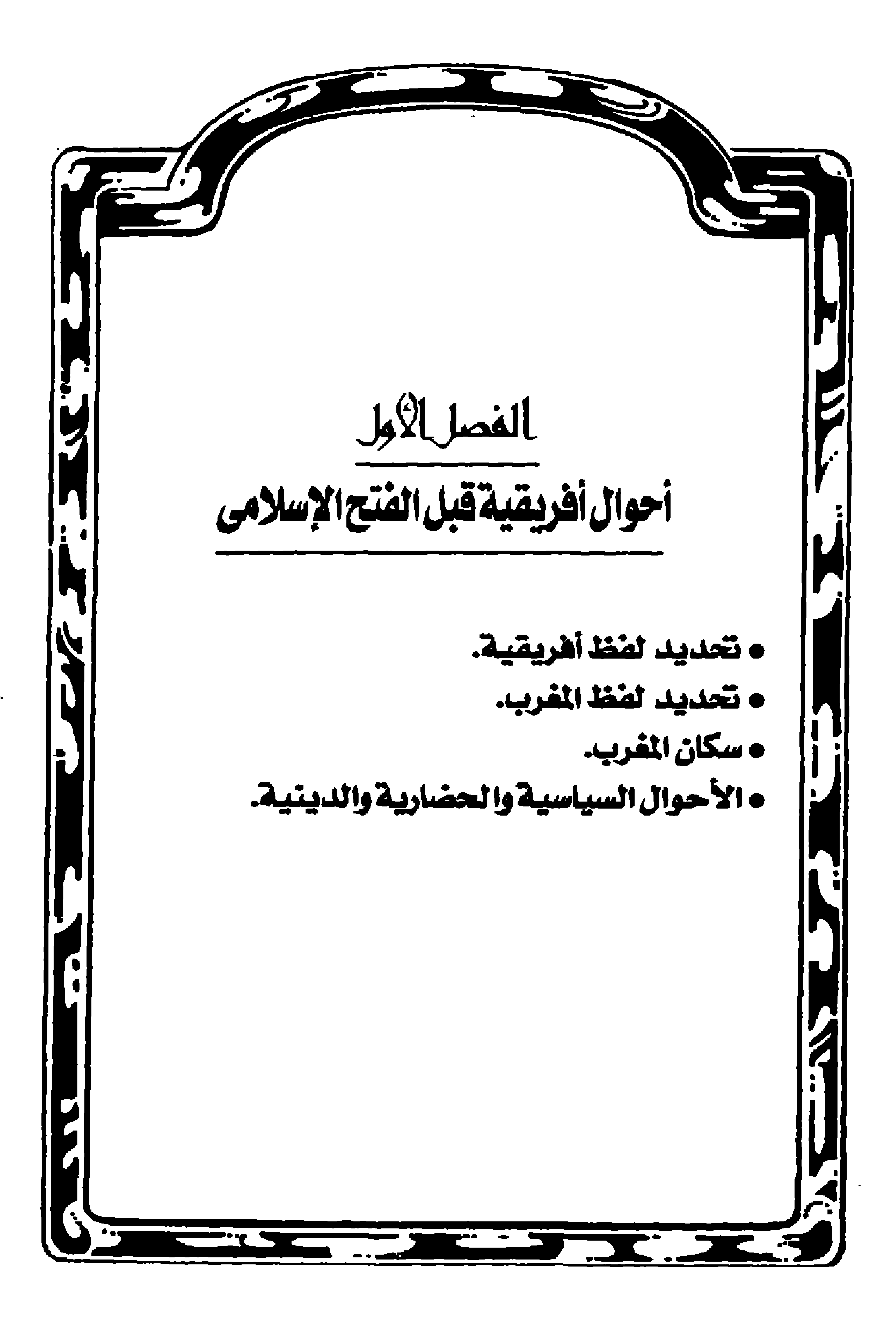
ويشهد الله أن هذا العمل الذى نقدمه اليوم للمكتبة العربية إنما هو خلاصة جهد وفكر مدة تزيد عن سنتين عشتها فى ليبيا متنقلا بين مدنها وقراها فى محاولة لرصد مواقع الآثار الإسلامية فى المنطقة الشرقية، وذلك من خلال قيامى بتدريس مواد العمارة والفنون الإسلامية والتنقيب لطلبة قسم الآثار بجامعة عمر المختار بكلية الآداب والتربية.

أسأل الله أن يوفقنى لمتابعة البحث فى مجال الآثار الإسلامية، وأرجو أن يكون كتابى هذا حافزا للدارسين للاهتمام فى رسائلهم وبحوثهم بدراسة الآثار الإسلامية فى ليبيا، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د. عبدالله كامل موسى عبده

القاهرة فى ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٠م

فهرس الموضوعات



الفصل الأول

أحوال أفريقية قبل الفتح الإسلامى

- تحديد لفظ أفريقية.
- تحديد لفظ المغرب.
- سكان المغرب.
- الأحوال السياسية والحضارية والدينية.

تحديد لفظ أفريقية

اشتق لفظ أفريقية من كلمة أفرى[1] (Aphri) التى أطلقها الفينيقيون على سكان أوتيكا Utica وقرطاجنة[2]. ثم عممه اليونانيون بعد ذلك فأطلقوه على سكان المغرب من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسى، ومن ثم سميت هذه المنطقة أفريكا Africa أى بلاد الأفرى، واستعمل هذا الأسم للدلالة على هذه المنطقة، فقد أطلقه هيرودوت على كل ما يلى مصر غربا من البلاد حتى المحيط الأطلسى[3].

وقد استخدم الرومان لفظ ولاية أفريقية القنصلية Africa Proconsularis على قرطاجنة وما حولها حتى نوميديا[4]. أخذ معنى هذا اللفظ يتسع شيئا فشيئا كلما اتسع سلطان الرومان فى أفريقية. فأصبحت ولاية أفريقية القنصلية تضم ولاية أفريقية الأصلية والجزء الشرقى من تونس[5] الحالية الذى كان يسمى زوجيتانيا، والمنطقة الداخلية منها التى تمتد حتى فزان[6] المسماة Bezacena، أما بقية أفريقيا الرومانية فسمى الجزء المقابل منها للجزائر الحالية نوميديا، ويلى ذلك مرطانية Mauretania بقسميها القيصرية والطنجية، ثم اتسع معنى هذا اللفظ فى العصر البيزنطى فكانت أفريقية البيزنطية تشمل كل ما دخل فى طاعة الروم من برقة[7] إلى طنجه[8]. [9]

وقد عرب الإسم فيما بعد إلى افريقية وأطلقه العرب فى أول الأمر على كل ما يلى مصر غربا حتى ساحل المحيط الأطلسى، فيما عدا أنهم استثنوا من ذلك برقة وطرابلس[10]، حيث اعتبرهما أغلب المؤرخين ولايتين قائمتين بين مصر وافريقية، فقد أورد ابن عبد الحكم أن والى مصر عمرو بن العاص أرسل عند فتحه طرابلس الغرب فى عام ٢٢ هـ/ ٦٤٢م أو فى عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م إلى الخليفة

عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما نصه « أن الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين افريقية الا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل فكتب إليه عمر لا أنها ليست بافريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت»[11]، ثم تحدد لفظ افريقية فاقتصر على ما يلى اقليم طرابلس غربا حتي بجايه[12]، أى أنه اشتمل على تونس ونصف مقاطعة قسطنطينية الحالية، ثم يلى ذلك المغرب حتى المحيط، فافريقية فى معظم المصادر العربية تعنى الإقليم الذى تتوسطه القيروان[13] ويمتد من اطرابلس حتى بجايه[14].

تحديد لفظ المغرب

أخذ لفظ افريقية يضيق شيئا فشيئا، وبدأ لفظ المغرب فى الظهور، ويبدو أن المراد بلفظ المغرب فى أول الأمر كان تحديدا جغرافيا، أراد به الذين اتخذوه كل ما يقابل المشرق من البلاد ومن هنا ادخل بعض الجغرافيين مصر والأندلس فيه[15]، أورد المقدسى ما نصه «هذا اقليم بهى، كبير سرى، كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخا، به ثغور جليلة وحصون كثيرة، ورياض نزهة، وبه جزائر عدة مثل الأندلس الفاضلة. . .»[16]، وقد قصره آخرون كابن عذارى على المغرب الحالى، وأخرج منه الأندلس، وجعلوا حدود المغرب «من سبب بحر النيل بالمشرق إلى ساحل البحر الأبيض من ناحية المغرب»[17].

والغالب أن معنى لفظ المغرب انتهى عند المؤرخين والجغرافيين إلى أن يشمل كل ما يلى مصر غربا حتى المحيط الأطلسى وتتوسطه افريقية، ثم يقسمونه بعد ذلك أجزاء هى : برقة وطرابلس ثم افريقية حتى نهر ملوية ثم المغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى فالسوس، فقد أورد المقدسى عند ذكره اقليم المغرب ما نصه «فأول كورة من قبل مصر برقة ثم افريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى. .»[18]، وتشمل بلاد المغرب شمال القارة الافريقية، وتتضمن حاليا البلاد الليبية بولاياتها الثلاث (برقة وطرابلس وفزان) وتونس، والجزائر بصحرائها المترامية، إلى تخوم السودان، ثم المغرب - الذى كان يعرف إلى عهد

قريب باسم مراكش، نسبة إلى عاصمته الجنوبية - ويمتد طبيعيا نحو الجنوب، إلى تخوم السنغال والنيجر، وإنطلاقاً من هذا التعريف للبلاد المتفق على تسميتها بالمغرب، نهج فريق من المؤرخين والجغرافيين. على تقسيمها إلى أربعة أقسام يشمل الأول برقة وطرابلس وهما أول كور المغرب من جهة الشرق، وبعض المؤرخين يدمج هذه الكورة إلى افريقية، وبعضهم يفصلها عن المغرب، ويرى د. السيد عبد العزيز سالم أن برقة وطرابلس من المغرب الإسلامى، ويشمل الثانى افريقية، وهى الولاية الشرقية من مجموع بلاد أطلس، وهى البلاد التى تمتد من خليج سرت الكبير شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا، وقد أطلق عليها العرب المغرب الأدنى لأنها أقرب إلى بلاد العرب. ودار الخلافة بالحجاز وبلاد الشام، وتمتد من اطرابلس شرقا حتى بجاية أو تاهرت[19] غربا، وقاعدة افريقية مدينة القيروان، فقد أورد المقدسى ما نصه «واما افريقية فقصبتها القيروان»[20]، ويشمل الثالث المغرب الأوسط ويمتد من تاهرت حتى وادى ملوية وجبال تازه[21] غربا وقاعدته تلمسان[22] وجزائر بنى مزغنه[23]، أما القسم الرابع فهو المغرب الأقصى وقد عرف بذلك لأنه أبعد أقسام المغرب عن بلاد العرب ودار الخلافة، ويمتد من وادى ملوية شرقا حتى مدينة اسفى[24] على المحيط الأطلسى غربا وجبال درن[25] جنوبا[26].

سكان المغرب

كان سكان المغرب وقت الفتح الإسلامى يتألفون من ثلاث طوائف هى الروم والأفارق أو الأفارقة والبربر Barbari، فأما الروم فالمراد بهم البيزنطيون الذين وجدهم العرب فى البلاد، وأما الأفارق أو الأفارقة فالمراد بهم اخلاط من الناس من المستعمرين اللاتين Colons وبقايا الشعب القرطاجنى القديم ومزارعى البيزنطيين وصناعهم ونفر من البربر ممن استقر ودخل فى طاعة البيزنطيين، وكانوا يسكنون النواحى الساحلية العامرة المحيطة بالمدائن البيزنطية والأجزاء المزروعة الأخرى الداخلة فى الرباطات البيزنطية، وأما البربر[27] فالمراد بهم سكان البلاد الأصليون، وينقسمون طائفتين متباينتين، وهما طائفة البربر الحضر

الذين يسكنون النواحى الخصبة الشمالية والسفوح المزروعة، وطائفة البربر الرحل الذين يعمرون الصحارى والواحات التى تلى ذلك جنوبا وشرقا(٢٨). وقد تأثر الأفارق أو الأفارقة بالحضارة الرومانية والبيزنطية، وكانوا يدينون بالطاعة والولاء لساداتهم البيزنطيين، ويشتغلون لهم بالزراعة والصناعة، أما البربر الحضر الذين نزلوا النواحى الخصبة المحيطة بجبال أوراس، أى جنوب ووسط الجزائر الحالية وجنوب مراكش وبعض أجزاء تونس الغربية، فكانوا على جانب من الحضارة لاتصالهم بالقرطاجنيين واللاتين وحضارات البحر الأبيض المتوسط، فاشتغلوا بالزراعة والصناعة شأنهم فى ذلك شأن طائفة الأفارق أو الأفارقة، واما البربر الرحل فهم بدو عاشوا على الرعى، وكانوا يميلون إلى الإغارة على ما يجاورهم من نواحى العمران، وقد كان هذا التباين فى الأحوال الاجتماعية سببا فى نزاع طويل وحروب مستمرة بين الطائفتين مما حال دون نشوء دولة بربرية واحدة أو شعب متآلف(٢٩).

قسم الرومان والبيزنطيون طائفة البربر إلى شعوب بحسب الأقاليم التى كانوا ينزلونها، ولم يقسموهم إلى قبائل، وفى العصر الإسلامى اختفى لفظ أفريكا - كتسمية عامة شاملة على الأقل - وبدأ لفظ المغرب يحل محله، واختفى كذلك اسم الليبيين، وظهر لفظ البربر للمرة الأولى، وأخذ العرب يقسمون البربر إلى قبائل تتفرق فى نواحى البلاد، فقسمت قبائل البربر كلها إلى قسمين بحسب أسلوب الحياة و الطابع الحضارى : قسم ينتسب إلى مادغيس بن بر الملقب بالابتر فسموا البتر، ويسكن هذا القسم البادية، وقسم ينتسب إلى برنس بن بر فسموا البرانس، ويسكن هذا القسم المدن، ويتحضر بالحضارة اللاتينية(٣٠).

الأحوال السياسية والحضارية والدينية

فيما يتعلق بالناحية السياسية فقد تبعت أفريقية قبل الفتح الإسلامى الدولة البيزنطية بعد أن استعادها الأمبراطور جستنيان من الوندال على يد قائده الماهر «بلزاريوس» سنة ٥٣٣م، وبعث إليها من القسطنطينية بالقوانين والأنظمة والقيود

مما لايتفق مع طبيعة البلاد، وادراكا منه لأهميتها أفردها بين ولاياته بنظام خاص دقيق ينطوى على الحذر الشديد من أهلها، ويرمى إلى جعلها موردا من موارد المال والمتونة للدولة، فرفعها إلى مصاف ولايات الدولة الكبرى وأقام على حكومتها عاملا مدنيا لا عسكريا، وكانت الولاية لاتشمل المغرب كله من حدود مصر إلى المحيط الأطلسى ومن البحر إلى قلب الصحراء، وإنما كانت جزءا صغيرا يبدأ من حدود مصر الغربية، ويضم برقة وطرابلس، وحوض مجرد (تونس الحالية) وجبال الأوراس، ثم يأخذ فى الاقتراب من الساحل، حتى ينتهى عند طنجة وسبتة[٣١]، أما فى الجنوب فلم يكن يتعدى نصف امتداد أفريقية الرومانية، فكان أقصى إتساعه سهل مجرد وهضبة الأوراس، ووقفت حدوده الجنوبية عند تبسة Tebessa ومسكولا Mascula وتمجاد Thamagadi ولمبيزة Lam-beisis وطبنة Tobna والمسيلة Masila، أما فيما عدا ذلك فكانت حدوده ملاصقة للساحل، لا تكاد تتعدى أرباض الموانيء من أمثال تيفش Tipasa وقيصرية Caesaria وتانس Tenes ووهران Oran[٣٢].

وقد كانت البلاد مقسمة إلى سبعة أقسام إدارية هى :

الولاية القنصلية (شمال تونس الحالية) Proconsularium، الولاية الداخلية (بيزاسيوم) Byzacium، طرابلس Tripolitania ويحكم هذه الأقسام قناصل Consulaies، نوميديا Numidia، مرطانية الأولى Mauritania Sitifiensis، مرطانية الثانية Mauritania Cesariensis ، وتشمل شمال مراكش Mauritania Tingtana، سردانية ويحكم هذه الأقسام مديرون Praesides[٣٣].

وقد امتد سلطان الدولة فدخل فى طاعتها نفر من بدو البربر الضاربين على حدود الصحراء واقيمت المحارس على طول الرباط الأخير لكى تضمن طاعة هؤلاء للدولة، ولكن سلطانها أخذ يضعف شيئا فشيئا فأخذت تنسحب إلى الشمال، حتى لم يبق من أملاكها آخر الأمر إلا ساحل ضيق وبضع محارس حصينة فى الداخل مثل تبسه وسبيطلة[٣٤]، واحتل البربر ما خلا ذلك من الحصون[٣٥].

وكانت برقة البيزنطية Cyrene, Barca لاتكاد تعدو مدائنها الخمس، وكذلك طرابلس لم تعدو ثغور الساحل مثل سيرت Syrte وطرابلس نفسها وصبرة وقابس[٣٦].

وقد جمع جستنيان لحاكم أفريقية كل السلطات، فكان يحمل من تبعات الحكم فوق ما يطيق، وكان مثقلا بالألقاب وشارات الشرف، يرافقه جيش من الموظفين، ويحف به الأتباع والخدم، وكان مكلفا بأن يجمع من الولاية مالا طائلا، وقد انصرف جهد إدارة البلاد كله إلى جمع المال، ولما كان هذا عبئا ثقيلاً لجأت إلى أخذ السكان بالعنف فكثرت الاضطرابات وكثرت ثورات البربر حتى احالت حكومة أفريقية البيزنطية إلى منطقة عسكرية يحكمها قائد عسكرى يلقب البطريق فكان هذا التحول خطوة فى سبيل انفصال أفريقية عن بيزنطة، فلم يكد لبطريق جريجوريوس يختلف مع الدولة حتى ثار بها قبيل الفتح الإسلامى وأعلن نفسه امبراطورا[٣٧].

وكانت الدولة البيزنطية عقب ثورات البربر قد اتجهت إلى إحاطة أملاكها برباطات قوية من الحصون المتقاربة، وأقامت فى كل رباط طائفة من الجند، واسرفت فى ذلك اسرافا يسترعى النظر فأقامت ثلاثة أربطة، وقسمت البلاد إلى أربع مناطق عسكرية تشتمل كل منطقة على عاصمة ترابط فيها فرقة يقودها قائد أو دوق، فغدت البلاد شبكة من الحصون والقلاع روعى فى اختيار مواقعها أن تكون محارس تقوم على أبواب البلاد ومنافذها، فقامت قابس على باب سهل تونس فيليها حصون أخرى على الساحل مثل يونكا Yunca ومغمداس Macomades، وقامت سبيطلة Suffetula التى يمر بها الرباط الثانى الذى يبدأ من سوسة ويمر بمدرسومة Madarsuma وثلبت Thelepte، ويلى ذلك الرباط الثالث الذى تقوم فيه سبيبه Sufes وممس Mamma وجلولاء Couloulis[٣٨].

وقد قسمت هذه الرباطات أفريقية إلى قسمين : الأول الساحلى، وتنتشر فيه الحضارة واللغة، والثانى الداخلى ويشتمل على البربر الذين دخلوا فى صراع مع

البيزنطيين فاحتلوا كثيرا من الحصون والمحارس بعد أن هاجموا الرباطات والولايات البيزنطية، حتى أنتهى الأمر بأفريقية البيزنطية أن تكون شريطا ضيقا لايكاد يعدو الخط الممتد من سوسة إلى سبيطلة فى اوسع أجزائه، أما فيما عدا ذلك فاقتصر على مدائن الساحل وأرباضها وما حولها من المزارع(٣٩).

أما فيما يتعلق بالنواحى الحضارية(٤٠) فى أفريقية فقد نجح البيزنطيون فى إعادة الحضارة الرومانية فى أفريقية إلى ما كانت عليه أيام الرومان فى مدائن الساحل وما يتصل بها، وبذلوا جهدا كبيرا ليعمروا الولاية الداخلية والنواحى المهجورة فى الأوراس فازدهرت فى أوائل حكم جستنيان، غير أن الاضطرابات وثورات البربر أثرت تأثيراً عميقا على ازدهار الحضارة الرومانية، أما فيما يتعلق بالبلاد الداخلية - فيما وراء الرباط - فقد ظلت على حالها بعيدة عن الحضارة الرومانية يقيم فيها أهلها من البربر، وقد ازدهرت الأساليب المعمارية والفنية البيزنطية فى البلاد فشيدت العمائر المدنية والدينية والحربية ممثلة على سبيل المثال فى القصور والكنائس والحصون فى مدن القيروان وسفاقس وسوسة وغيرها، ولازالت آثارها باقية فيما أخذه المسلمون من بقاياها واستعملوه فى إنشاء عمائرهم الدينية والمدنية والحربية تلك العمائر التى تأثرت عند نشأتها ونموها من الناحيتين المعمارية والزخرفية بهذا التراث تأثرا واضحا.

الأحوال العقائدية (الدينية)

أما فيما يتعلق بالناحية الدينية فقد عرفت أفريقية المسيحية خلال القرن الثانى، واعتنق كثيرون من البربر الدين المسيحى، ونشرها فيهم رهبان من مصر أو من إيطاليا نفسها، ولم يقتصر الأمر على سهل الساحل، بل اعتنقها أيضا نفر من البربر فى الأوراس ونوميديا، وانتشرت فى إقليم الزاب، وكثر انعقاد المجالس الدينية فى قرطاجنة، وعندما نشب الخلاف المذهبى بين الأسقف دوناتوس واسقف قرطاجنة لجأ دوناتوس إلى البربر فآذروه واجاروه وثاروا على الرومان، ولم يلبث الوندال أن اضطهدوا الدوناتيين(٤١).

هذا وقد اهتم جستنيان اهتماما بالغا بإعادة أفريقية إلى المسيحية، فأعاد بناء العديد من الكنائس وشيد الكثير منها، وشجع البعثات التبشيرية فانتشرت المسيحية بين القبائل البربرية المحيطة بصبرة Sabrata، وفى طرابلس وبعض نواحى نوميديا، بل أنها تغلغلت فى داخل البلاد فشيدت الكنائس فى واحات مثل اوجله Augila وغدامس Cydamus[٤٢].

أخذت المسيحية تنتشر فى أفريقية فى عهد البطريق هرقل، وكان ازدهارها بفضل نهضة الكنيسة الغربية منذ أيام جريجورى الأكبر، ولم يكن بفضل الكنيسة البيزنطية، فلم يعد البربر يتوجهون إلى القسطنطينية، وإنما إلى البابا فى روما والكنيسة الغربية، ومن ثم غدت روما سلطة جديدة فى أفريقية البيزنطية، فأصبحت أفريقية تابعة سياسيا للدولة الشرقية، ودينيا للكنيسة الغربية، وهدف البابا من وراء ذلك إلى انفصال أفريقية عن الكنيسة الشرقية، إذ كان الخلاف شديدا بين الكنيستين[٤٣].

وبصفة عامة كان التحول من ولاية إلى منطقة عسكرية، بداية النهاية لإنهيار الإستعمار البيزنطى، فقد استمرت الثورات على البيزنطيين، وظل الحكام البطارقة يمارسون سياسة نهب البلاد، ويفرضون الضرائب، التى تزيد اقتصاديات البلاد إرهاقا، وأصاب الخلل جميع المرافق الادارية والمدنية والعسكرية، إضافة إلى إنتشار الرشوة فى دواوين الحكومة، وبيع المناصب لمن يدفع أكثر، فكان هناك إنهيار فى القيم الخلقية، ولم تكن الكنيسة بعيدة عن مجال الفساد، الذى استشرى فى أجهزة الدولة، فقد أصيبت هى الأخرى بالفساد، وعمت الخلافات المذهبية بين سكان البلاد، والسلطات الحاكمة، وجرت هذه الخلافات المذهبية إلى سياسة من الاضطهاد الدينى، وإلى نتائج أصابت كيان الغزاة البيزنطيين فى الصميم[٤٤].

هذا وقد انتشرت ديانات أخرى فى بلاد المغرب سواء كانت وضعية، أم سماوية ففيما يتعلق بالمجوسية فان بعض القبائل فى منطقة فاس كان لهم بيت نار، وفيما يتعلق بالوثنية يذكر البكرى أن بعض قبائل ودان كان لها صنم من

حجارة، حيث أورد ما نصه «ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة مبنى على ربوة يسمى كرزة، ومن حواليه من قبائل البربر يقربون له القرابين ويشتفون به من أدوائهم ويتبركون به فى أموالهم إلى اليوم»(٤٥).

هذا وقد عرف المغرب إلى جانب المعتقدات الوطنية الديانتين السماويتين السابقتين على الإسلام، فالأفكار اليهودية دخلت منذ وقت مبكر مع الفينيقيين ثم مع المهاجرين اليهود، أيام الاضطهاد الرومانى، والظاهر أنها انتشرت فى بعض القبائل، إلى جانب المعتقدات المحلية، ولقد إنتشرت المسيحية هى الأخرى فى وقت مبكر كما تقدم، وقصة إنتشارها وثيقة الصلة بالحكم الرومانى فى المغرب، وذلك لأن المسيحية عندما خرجت من الشام فعلت ذلك بهدف غزو وهدم الامبراطورية الرومانية(٤٦).

❑ ❑ ❑

هوامش الفصل الأول

(١) افريقية بكسر الهمزة اسم لبلاد ومملكة كبيرة، وسميت بافريقيس بن ابرهه بن الرايش، وذكر القضاعى أن أفريقية سميت بفارق بن بيصر بن نوح، وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر حاز فارق أفريقية، فلما اختط المسلمون القيروان خربت أفريقية وبقى اسمها على اسم الصقع جميعه. مزيد من التفاصيل انظر:
ياقوت الحموى : معجم البلدان، طهران، ١٩٦٥، مج١، ص ص ٣٢٤ - ٣٢٥.، الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص ص ٤٧-٤٨.، القلقشندى (أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٢١هـ/١٤٢٨م: صبح الأعشى فى صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والارشاد القومى، جـ٥، ص ١٠٠.

(٢) قرطاجنة : بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة، وقيل ان اسم هذه المدينة قرطا واضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها، وهى بلد قديم من نواحى أفريقية، كانت عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض وبها من العمد المتنوع الألوان ما لايحصى، وقد عمرت تونس من خراب قرطاجنة، وكان الماء يجلب إليها من القيروان، ويعد حسان بن النعمان أول من هدمها عندما غدر به أهلها.
ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٤، ص ص ٥٧-٥٨.، الحميرى : الروض، ص ٤٦٢.

(٣) د. حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ص ص ١-٢.، د. عصام الدين عبد الرؤوف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس، نهضة الشرق، ص ص ١١-١٢.، د. السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة

شباب الجامعة، الأسكندرية، ص ٢٩ .، حسن خليفة، حسن مراد، أحمد إبراهيم الشرقاوى : تاريخ العرب فى أفريقية والأندلس، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٨م، ص ٥.

(٤) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ٢.

(٥) تونس : بالضم ثم السكون والنون تضم وتفتح وتكسر مدينة إسلامية كبيرة محدثة، وهى قاعدة البلاد الأفريقية، وهى دار علم وفقه، وسميت تونس لأن المسلمين لما فتحوا أفريقية كانوا ينزلون بازاء صومعة ترشيش راهب كان هناك ويأنسون بصوت الراهب فيقولون هذه الصومعة تؤنس فلزمها هذا الاسم.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ٨٩٧.، الحميرى : الروض، ص ص ١٤٣-١٤٤.، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ١٠٢.

(٦) فزان : ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، سميت بفزان بن خام بن نوح، بها نخل وتمر كثير.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٨٩٠.، الحميرى : الروض، ص ٤٤٠.

(٧) برقة : بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وأفريقية.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٥٧٣-٥٧٥.، الحميرى : الروض، ص ٩١.

(٨) طنجة : مدينة قديمة بالمغرب.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٣، ص ٥٥٠.، الحميرى : الروض، ص ٣٩٦.

(٩) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ٢.

(١٠) طرابلس : ويقال اطرابلس، وهى مدينة فى آخر برقة وأول أرض أفريقية عليها سور صخر جليل البنيان، وهى على شاطىء البحر فتحها عمرو بن العاص وكانت محصنة فى جوانبها البرية، ثم حصنت فى الجهة البحرية الشمالية بسور شيده والى أفريقية هرثمة بن أعين.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٣٠٩، مج٣، ص ص ٥٢١-٥٢٣.،

المشترك وضعا المفترق صقعا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٥.

(١١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربى، ص ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(١٢) بجاية : بالكسر وتخفيف الجيم والف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن ملكين، وكانت قاعدة بنى حماد.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ص ٤٩٥ - ٤٩٦.، الحميرى : الروض، ص ص ٨٠ - ٨٢.

(١٣) القيروان : شيدت فى صدر الإسلام من قبل القائد عقبة بن نافع الفهرى خلال الفترة من ٥٠-٥٥ هـ/ ٦٧٠-٦٧٥م، وهى أجل مدن المغرب، وكان عليها سور عظيم هدمه زيادة الله بن الأغلب.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ص ٢١٢-٢١٤.، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ١٠١.

(١٤) د. حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ٢.،

د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٣٩.

(١٥) جزيرة الأندلس : بفتح الألف والدال المهملة وسكون النون بينهما وضم اللام ثم سين مهملة، وهى مقابل بر العدوة من بلاد المغرب وبينهما بحر الزقاق الذى هو فم بحر الروم، وقد اختلف فى سبب تسميته الأندلس بهذا الأسم.

القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢١٢.

(١٦) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م، ص ٢١٥.

(١٧) ابن أبى دينار القيروانى : المؤنس فى تاريخ أفريقية وتونس، تونس، ١٢٨٦ هـ/١٨٦١ - ١٨٦٢م، ص ١٦.، د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ٣.

(١٨) المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢١٦.

(١٩) تاهرت : بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتين اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، وهى بين تلمسان وقلعة بنى حماد، وهى مدينة جليلة كانت قديما تسمى عراق المغرب، وكانت مسورة تشتمل على أربعة أبواب هى الصفا والمنازل والأندلس والمطاحن.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ٨١٣ - ٨١٦.، الحميرى : الروض، ص ١٢٦.، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ١١١.

(٢٠) المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢١٦.

(٢١) تازا : من بلاد المغرب، أول تازا حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب فى الطول، وفى العرض البلاد الساحلية مثل وهران وجليلة وغيرهما.

الحميرى : الروض، ص ١٢٨.

(٢٢) تلمسان : قاعدة المغرب الأوسط، وهى مدينة عظيمة كانت مملكة دار زناتة، وهى كثيرة الخصب والرخاء كثيرة الخيرات والنعم.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ص ٨٧٠ - ٨٧١.، الحميرى : الروض، ص ١٣٥.، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٢٣) جزائر بنى مزغنة : الجزائر مدينة جليلة قديمة البناء لها أسواق ومسجد جامع، وكانت بها كنيسة عظيمة، ومرساها مأمون به عين عذبة، وهى عامرة اهلة وأسواقها قائمة وفى جبالها قبائل البربر.

الحميرى : الروض، ص ١٦٣.، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢٤) أسفى : بلدة على شاطىء البحر المحيط بأقصى المغرب، وهى كورة عظيمة من أعمال مراكش، وليس بها ماء إلا من المطر.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ص ٢٥١-٢٥٢.، الحميرى : الروض، ص ٥٧.، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ص ١٦٨-١٦٩.

(٢٥) جبال درن : درن جبل من جبال البربر فيه عدة قبائل وبلدان وقرى، وهو بفتح الدال والراء المهملتين ونون فى الآخر.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٢، ص ٥٧٠.، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ١٧٣.

(٢٦) د. السيد عبد العزيز سالم :تاريخ المغرب، ص ص ٤٠ - ٤١.

(٢٧) البربر : يذكر الناصرى أنه اختلف فى تحقيق نسب البربر، ويرجح أن البربر من ولد حام، وأنهم جيل قديم سكنوا المغرب عندما تناسلت ذرية نوح عليه السلام، والبربر يجمعهم جدان هما : برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس.

الناصرى (أبو العباس أحمد بن خالد) : الأستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصرى، محمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، جـ١، ص ص ٦٠-٦١.

(٢٨) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٥ - ٦.

(٢٩) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٦ - ٧.

(٣٠) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٧ - ٩.

(٣١) سبتة : بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وتاء مثناة فوق وهاء والنسبة إليها سبتى بكسر السين، وهى مدينة بين بحرين بين البحر المحيط وبحر الروم، ولها أسوار عظيمة من الصخر وعليها أبراج كثيرة، والماء يجلب إليها من الشوانى، وبها صهاريج من ماء المطر، ويقابل هذه المدينة من بر الأندلس الجزيرة الخضراء.

القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ص ١٥٧ - ١٥٩.

(٣٢) وقفت حدود أفريقية الجنوبية عند تبسة Tebessa ومسكولا Mascula وتمجاد Thamga-di ولمبيزة Lambeisis وطبنه Tobna والمسيلة Masila، أما فيماد عدا ذلك فكانت حدوده ملاصقة للساحل لاتكاد تتعدى أرباض الموانىء من أمثال تيفش Tipasa وقيصرية Caesaria وتانس Tenes ووهران Oran.

د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ١٤ - ١٥.

(٣٣) د. حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ١٥.

(٣٤) سبيطلة : بضم السين المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحتها وفتح الطاء

المهملة واللام وفى آخرها هاء، بها آثار عظيمة تدل على عظم أمرها قبل الإسلام.
القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ص ١٠٠-١٠١.

(٣٥) د. حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ١٥.

(٣٦) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ١٦.

(٣٧) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ١١ ، ١٤.

(٣٨) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ١٨ - ١٩.

(٣٩) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ٢١.

(٤٠) مزيد من التفاصيل عن النواحى الحضارية انظر :
د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٢٦ - ٢٧.

(٤١) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٢٨-٢٩.

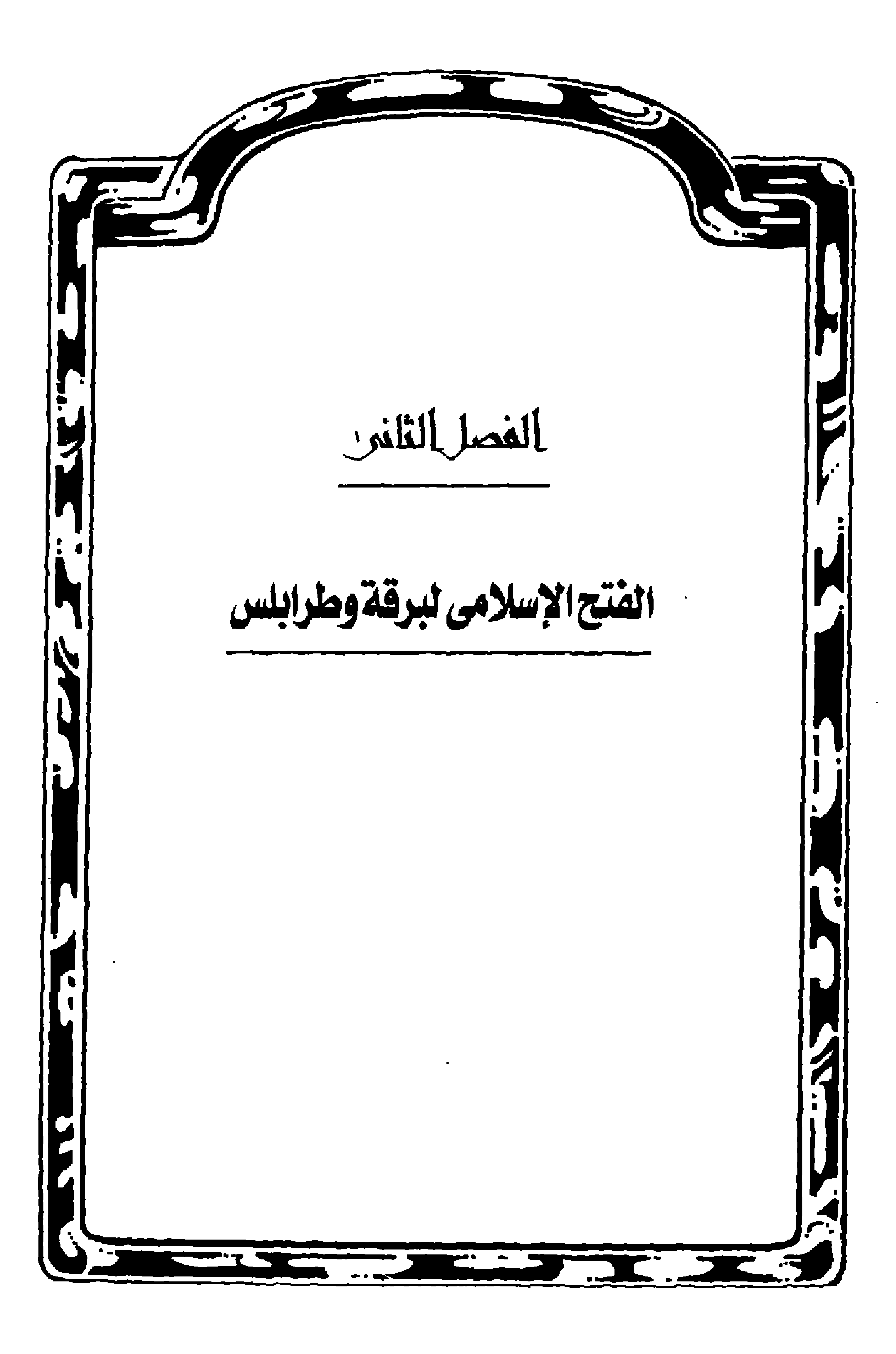
(٤٢) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٢٩ - ٣٠.

(٤٣) د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٣٦ - ٣٨.

(٤٤) د. على منصور نصر : أضواء على الفتح الإسلامى للمغرب (بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد «التاسع الهجرى»، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب ٢٥-٢٦ رجب ١٤١٨هـ/ ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ص ١٩-٢٠.

(٤٥) البكرى : المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٦٦٠، د. على منصور نصر: أضواء على الفتح الإسلامى للمغرب، ص ٢٠.

(٤٦) د. على منصور نصر : أضواء على الفتح، ص ٢٠.



الفصل الثاني

الفتح الإسلامى لبرقة وطرابلس

فتح برقة وطرابلس

كانت برقة وطرابلس ولاية واحدة داخلة فى زمام مصر من الناحية السياسية قبل العصر الإسلامى وفق النظام الذى وضع لها من قبل موريس الذى تولى عرش بيزنطة خلال الفترة من (٥٨٢ - ٦٠٢م)، فانقطعت بذلك الصلات السياسية الرسمية بين هاتين الولايتين وبقية أفريقية، وقد كانت هاتان الولايتان من أكثر الولايات نشاطا فى أوائل العصر البيزنطى، وكان أهلها أكثر أهل أفريقية ثورة ووثوبا بالبيزنطيين، فكانت لواته - أعظم قبائل برقة وطرابلس - قائدة الثورة الكبرى فيما بين سنتى ٥٤٥ و ٥٤٦م التى انتهت بمقتل حاكم أفريقية[١].

هذا وقد كان تقرير فتح مصر فى مؤتمر الجابيه الحربى ضرورة اقتضتها العمليات الحربية لتأمين الفتوحات الإسلامية بالشام، وبعد أن تم فتح مصر فى عام ٢١ هـ/ ٦٤٢م عقب معاهدة الأسكندرية فى ١٦ شوال سنة ٢١ هـ/ ١٧ سبتمبر ٦٤٢م ادرك القائد عمرو بن العاص أهمية فتح بلاد المغرب، حيث وجد الخطر البيزنطى مازال قائما فى أفريقيا فقرر فتح بلاد المغرب والقضاء على النفوذ البيزنطى هناك لتأمين الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام ومصر، وأيضا لتطبيق سياسة الاستمرار فى الفتح نحو الغرب ونشر الإسلام، وهو أمر يدل عليه خط سير الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس[٢].

أراد والى مصر عمرو بن العاص القضاء على النفوذ البيزنطى ببلاد المغرب بعد أن تم له ذلك بمصر فبدأ أحداث الفتح الإسلامى لبلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية، إذ أرسل والى مصر عمرو بن العاص قائده عقبة بن نافع الفهرى فى سرية صغيرة إلى برقة (انطابلس) لاستطلاع أحوال البلاد، وكان أهل برقة

آنذاك على علاقات قوية مع مصر، حتى أن بعض قبائلها كان يحسب من قبطها، وكانت الطرق بينهما مطروقة مأمونة، قال ابن عذارى بعد فتح عمرو لمصر ما نصه «ووجه منها عقبة بن نافع الفهرى إلى لوبية[٣] وأفريقية[٤]»، وبعد أن وصلت عمرو بن العاص أخبار مشجعة من قائده عقبة توجه بنفسه فى عام ٢٢ هـ/ ٦٤٢م لفتح هذه البلاد ونشر الإسلام فيها وتأمين حدود مصر الغربية[٥].

سار عمرو بن العاص بجيشه حتى قدم برقة فصالح أهلها على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار، وكان أهل برقة يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها فلم يدخل برقة يومئذ جابى خراج، وبعد فتح برقة شرع عمرو فى فتح طرابلس تمهيداً للدخول فى أفريقية، وكان الأمر يستلزم جيشين أحدهما يسير بحذاء الساحل بقصد الاستيلاء على طرابلس وما يليها من مدن ساحلية مثل صرت وصبرة، والثانى يتجه نحو جوف البلاد حيث الواحات الداخلية التى تؤلف مراكز المقاومة فى قلب البلاد وأهمها فزان، وكان البربر بها من لواته ونفوسة وهوارة واشتهرت منها قبائل جرمة Garamantes أيام الرومان، فبعث عمرو بن العاص قائده عقبة إلى فزان فافتتحها ٢٢-٢٣ هـ/ ٦٤٢ - ٦٤٣م، ثم واصل زحفه حتى بلغ زويلة[٦] فأصبحت المنطقة ما بين برقة وزويلة مأمونة الجانب، أما عمرو بن العاص ففتح مدينة سرت ثم زحف على لبدة[٧] فوجدها قليلة العمران وفتحها دون عناء، وبعث عمرو بفرقة لاخضاع ودان حين هم بالمسير إلى طرابلس وقيل عند محاصرته لها، وكانت ودان من طرابلس كفزان من برقة، وذلك فى عام ٢٣ هـ/ ٦٤٣م، ثم تمكن من فتح اطرابلس فى عام ٢٣ هـ/ ٦٤٣م، وكانت مدينة حصينة مسورة من سائر الجهات فيما عدا الجهة الشمالية التى تطل على البحر[٨].

وقد كانت طرابلس تابعة وقت الفتح الإسلامى لجريجوريوس، إذ يذكر ابن عبد الحكم عند ذكره فتح أفريقية ما نصه «وكان مستقر سلطان أفريقية يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير وكان سلطان ما بين اطرابلس إلى طنجة»[٩].

هذا وقد كانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو بن العاص فى عام ٢٢ هـ/ ٦٤٢م ذات أسوار تحيط بها من ثلاثة جوانب فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، أما الجانب الشمالى فكان يشرف على البحر المتوسط مباشرة بدون سور، ويعزى عدم تحصين الجانب البحرى فى المدينة إلى سيطرة الروم سيطرة تامة على البحر المتوسط فى ذلك الوقت، ومن ثم رأى البيزنطيون عدم الحاجة إلى تحصين المدينة من الجانب البحرى، وقد امدنا ابن عبد الحكم بصفة مدينة طرابلس بما نصه «وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة فى مرساها إلى بيوتهم»(١٠)، ونظرا لأهمية مدينة طرابلس من جهة، وللأخطار البيزنطية المحدقة بها من جهة أخرى بعد الفتح الإسلامى لبلاد المغرب تطورت تحصينات المدينة الحربية، وتمثل هذا التطور فى تشييد سور الجهة الشمالية على البحر من قبل والى أفريقية هرثمة بن أعين، وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما أورده البكرى ونصه «وعلى مدينة اطرابلس سور صخر جليل البنيان وهى على شاطىء البحر.. ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور.. وإنما بنى سور مدينة اطرابلس مما يلى البحر هرثمة بن أعين حين ولايته القيروان»(١١)

وكانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو بن العاص شهرا تشتمل على حصن رومانى بيزنطى من الغرب، لذا أقام عمرو بن العاص عندما حاصرها عند مرتفع يعرف باسم القبة شرقى المدينة، وهو الموضع الذى شيدت عليه القلعة العثمانية بعد ذلك.

أرسل عمرو بن العاص بعد فتحه طرابلس فرقة إلى صبرة فى عام ٢٣ هـ/ ٦٤٣م، وفى ذلك أورد ابن عبد الحكم ما نصه «وكان من بسبرت متحصنين فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة اطرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم امنوا فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة اطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سيبرت وقد غفلوا وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم، فدخولها»(١٢).

وبعد هذه الفتوحات الرائعة رغب عمرو بن العاص فى فتح أفريقية فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «إن الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل»(١٣). ويذكر د. حسين مؤنس أنه بعد فتح صبرة أرسل عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب، ويضيف أنه لو وجد التقدم نحو أفريقية ميسورا لتقدم فى غير عناء ولكن الغالب أن ما يلى صبرة من البلاد كان محصنا بالجند، حيث وجد عمرو ضرورة الاستعانة بامدادات جديدة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن ما يلى صبرة من البلاد كان محل عناية جريجوريوس، وكان الخليفة عمر بن الخطاب على دراية بالأحوال السياسية فى أفريقية وثورات أهلها وغدرهم بأصحاب السلطان فآثر أن يتوقف عمرو بن العاص عند هذا الحد من الفتوحات، وكتب إليه قائلا «لا أنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدوربها ولا يغزوها أحد ما بقيت»(١٤)، وقد أورد البلاذرى صيغة أخرى فذكر ما نصه «وكتب اليه ينهاه عنها ويقول : ماهى بأفريقية، ولكنها مفرقة، غادرة مغدور بها، وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا، فكانوا يغدرون به كثيرا، وكان ملك الأندلس صالحهم، ثم غدربهم، وكان خبرهم قد بلغ عمر»(١٥).

ويذكر ابن عذارى «فأمر عمرو العسكر بالرحيل قافلا إلى مصر»(١٦)، قال ابن عبد الحكم «وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون»(١٧).

وأغلب الظن أن عمرو بن العاص طلب من الخليفة عمر بن الخطاب امدادات لمواصلة الفتح الإسلامى فى أفريقية، إلا أن الخليفة عمر رفض بسبب الأحوال الاقتصادية السيئة التى كانت تمر بها الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت، كذلك فانه من المرجح أن الخليفة عمر كتب إلى عمرو ينهاه عن غزو أفريقية حفاظا على سلامة الجيوش الإسلامية وحتى تستقر الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ومصر، خاصة وأن عمرو بن العاص توجه لفتح بلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية مباشرة.

أهمية موقع برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية

خرجت طرابلس عن طاعة المسلمين واحتلها البيزنطيون عقب عودة عمرو بن العاص إلى مصر، وبقيت برقة على طاعتها للمسلمين، حيث بقى بها القائد عقبة بن نافع الفهرى وحاميته العسكرية، وقضى وقته متنقلا بين قبائلها والواحات القريبة منها، فاستقر فيها الحكم الإسلامى وازدهرت بها الحضارة الإسلامية، فقد نجح عقبة فى كسب كثير من سكان البلاد من قبائل لواته ونفوسة ونفزاوة وهوارة وزواغة فدخلوا فى الإسلام، ومن ثم أصبحت برقة قاعدة لجيش المسلمين فى غرب مصر[١٨].

انصرف عمرو بن العاص عن أفريقية عائدا إلى مصر ولبث بها حتى عزله الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عنها بعبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عام ٢٥ هـ/ ٦٤٥م، ومنذ ذلك الحين أصبح عبد الله بن سعد حاكما على ما بقى للمسلمين من فتوحاتهم فى أفريقية قائدا على ما يخرج من الجند لاكمال الفتح فيها، فقد اعتبرت أفريقية جزءا ملحقا بولاية مصر يحكمها عامل مصر ويجبى خراجها ويقود جندها[١٩].

بدأ عبد الله بن سعد يمهد لغزو المغرب فأخذ يبعث المسلمين فى جرائد النخل كما كانوا يفعلون فى أيام عمرو بن العاص، ثم أرسل يستأذن الخليفة عثمان بن عفان فى فتح أفريقية، فندب عثمان الناس لغزوها فخرج إليها عبد الله، وكان مستقر سلطان أفريقية بمدينة قرطاجنة، وكان جيش عبد الله يتألف من عرب من الجزيرة وجند وقبط من مصر وبربر من أهل أفريقية، واستقبلت برقة بقيادة عقبة بن نافع عبد الله بن سعد وجيشه، ومنها انطلق إلى طرابلس وحاصرها أياما ثم انصرف عنها، ثم حاصر قابس وانصرف عنها، حيث افضي منها إلى تونس، وفاوض جريجوريوس عند قمونية، ثم دارت المعركة على مقربة من حصن عقوبة وانتصر المسلمون وتقدموا إلى سبيطلة، ثم عاد عبد الله إلى مصر ولم يول عليهم أحدا، ولم يتخذ بها قيروانا، وكان ذلك فى عام ٢٨هـ/ ٦٤٧ - ٦٤٨م[٢٠].

والواقع أن ليبيا بصفة عامة وبرقة بصفة خاصة قد اسهمت من خلال موقعها الجغرافى بدور هام وفعال فى الفتوحات الإسلامية واستقرارها فى أفريقية كما تقدم وكانت فى بداية العصر الإسلامى تنقسم إلى ولايتين كبيرتين تعرف احداهما باسم ولاية برقة وعاصمتها مدينة برقة - المرج حاليا- بالنسبة للجهة الشرقية، وتعرف الأخرى باسم ولاية اطرابلس - مدينة طرابلس حاليا- بالنسبة للجهات الغربية، أما فيما يتعلق بالموقع الجغرافى لإقليم برقة فقد أورد ياقوت الحموى عنه ما نصه «اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية. واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن»(٢١).

وتتمتع مدينة برقة (المرج حاليا) بموقع جغرافى استراتيجى هام، فهى تقع على الطريق الرئيسى الممتد من درنة(٢٢) إلى سهل بنغازى(٢٣) وما وراءه إلى الغرب والجنوب فى الطريق إلى طرابلس، وتبعد عن سهل بنغازى بحوالى مائة كم، يحدها من الشرق مدينة البيضاء(٢٤)، ومن الغرب مدينة توكرة(٢٥)، وتتوسط المدينة سهلا زراعيا خصباً تحيط به المرتفعات الجبلية من كل جانب، مما جعلها فى مأمن من الغارات البحرية البيزنطية وقد أتاح هذا الموقع المتميز للمدينة أن تصبح قاعدة عسكرية أمامية للمسلمين فى غرب مصر تستقر فيها وتنطلق منها الجيوش الإسلامية الوافدة من مصر لمواصلة الفتوحات الإسلامية فيما يليها غربا، وهو الأمر الذى يتضح جليا فى حملة عبد الله بن سعد التى تقدم ذكرها. (شكل ١)

تطور الأسم (انطابلس - برقة - المرج)

كانت المدينة تعرف قبل الفتح الإسلامى بأنطابلس، قال ابن خرداذبة فى المسالك والممالك «ونزلت لواتة أرض برقة وهى انطابلس بالرومية وهى خمس مدائن»(٢٦)، ثم أطلق عليها العرب اسم برقة بعد الفتح كما أطلقوا هذا الأسم أيضا على الأقليم الكبير الذى كان يمتد من نهاية حدود مصر الغربية حتى تاورغا(٢٧)، وفى ذلك قال ابن سعيد «وكانت البلاد تعرف بأنطابلس فسمتها العرب برقة لما رأتها كثيرة الحجارة المختلطة بالرمل»(٢٨). هذا وقد عرفت المدينة بالمرج منذ النصف الثانى من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى حتى

اليوم، فقد أمدنا ابن سعيد بنص مهم يمثل أول إشارة لهذه التسمية. حيث قال «وفى شرقيها مدينة برقة التى كانت قاعدة البلاد البرقية.. ويقال لها اليوم مدينة المرج»[٢٩].

وقد عرفت المدينة بهذا الإسم لاتساعها وخصوبة أرضها وكثرة مراعيها فالمرج لغة «الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب»[٣٠]، وقد وصفها اليعقوبى فقال «ومدينة برقة فى مرج واسع»[٣١].

طبيعة أهل برقة

بدأت أحداث الفتح الإسلامى لبرقة الإقليم كما تقدم عقب فتح الإسكندرية مباشرة فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م من قبل القائد عقبة بن نافع، ثم له يلبث عمرو بن العاص أن توجه إليها فى عام ٢٢ هـ/ ٦٤٢م، وفى ذلك قال ابن عبد الحكم «فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية»[٣٢]، ويحدثنا أيضا عن أهلها من البربر فيقول «وتقدمت لواتة فسكنت أرض انطابلس وهى برقة»[٣٣]. ثم يحدثنا اليعقوبى بشكل أكثر تفصيلا عن سكانها من العرب والبربر بما نصه «ولبرقة جبلان أحدهما يقال له الشرقى فيه قوم من العرب من الأزد ولخم وجذام وصدق وغيرهم من أهل اليمن، والآخر يقال له الغربى فيه قوم من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب وقرى بطون البربر من لواتة من زكودة ومفرطة وزنارة»[٣٤]. (شكل ٢)

ويحدثنا أيضا ابن عبد الحكم عن عهد عمرو بن العاص لأهل برقة فيقول «أن انطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص»[٣٥]، ويضيف قائلاً عن طبيعة أهلها «ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابى خراج إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها»[٣٦] ، وفى هذه الطبيعة الطيبة المسالمة التى تميز بها أهل برقة مقارنة بأهل المغرب ككل قال البلاذرى «فكانوا أخصب قوم بالمغرب.. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : لولا مالى بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها»[٣٧].

دور برقة فى استقرار الفتوحات الإسلامية للمغرب

اسهمت برقة الإقليم من خلال موقعها قبل وبعد تشييد القيروان ٥٠-٥٥هـ/ ٦٧٠-٦٧٥م بدور كبير فى استقرار فتوحات المغربين الأوسط والأقصى، حيث كانت تمثل القاعدة الأساسية الأمامية للمسلمين فى المغرب قبل تشييد القيروان، ثم غدت تمثل القاعدة الحربية الأساسية الثانية للمسلمين بعد تشييد القيروان، كما كانت تمثل حلقة الاتصال بين المشرق والمغرب، حيث غدت معبرا للتأثيرات الوافدة من مصر والمشرق الإسلامى بحكم تبعيتها المباشرة للفسطاط، ومما يدل على عظم دورها فى استقرار الفتوحات الإسلامية بعد تشييد القيروان لجوء زهير بن قيس إليها عقب موقعة تهودة فى عام ٦٣هـ/ ٦٨٣ - ٦٨٤م واستشهاد القائد والوالى عقبة بن نافع واستيلاء كسيلة على القيروان، وقد استقر زهير ببرقة منذ انسحابه من القيروان، ومنها انطلق بعد أن وصلته الامدادات فى عام ٦٩ هـ/ ٦٨٨ - ٦٨٩م فاستطاع استرداد القيروان وقتل كسيلة[٣٨].

كما لجأ إليها حسان بن النعمان عقب انتصار الكاهنة ملكة البربر عليه، حيث نزل قصورا فى حيزها عرفت بقصور حسان، وأقام بها خمس سنوات فى إنتظار الامدادات، ثم انطلق منها فقضى على الكاهنة وخلصت له أفريقية كلها[٣٩].

ويحدثنا البلاذرى عن قصور حسان بقوله «وهى قصور يضمها قصر سقوفه ازاج»[٤٠]، ويذكرها د. محمد عبد الهادى[٤١] فى القصور الواقعة بين طرابلس وسرت، ويحدد أتورى روسى[٤٢] موقعها بين سرت ومصراتة.

❑ ❑ ❑

(١) د. حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ٥٠.

(٢) د. إبراهيم العدوى : مصر الإسلامية، الأنجلو المصرية، ص ١١٢.، محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣م، جـ٢، ص ٨٠٣.

(٣) لوبيه : كورة من كور مصر الغربية، وهى متصلة بالإسكندرية.
الحميرى : الروض، ص ٥١٤.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان و أ. ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، جـ١، ص ٨.

(٥) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٥٥.

(٦) زويلة : مدينة كبيرة قديمة فى الصحراء بغرب بلاد كانم من السودان، وشرب أهلها من آبار عذبة.
ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٢، ص ص ٩٥٣ - ٩٥٤.، الحميرى الروض، ص ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٧) لبده : مدينة قديمة بناحية طرابلس الغرب كانت عظيمة الشأن، وتدل آثارها الباقية على أنها كانت دار مملكة عظمى.
الحميرى : الروض، ص ٥٠٨.

(٨) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ص ٦٠ - ٦١.

(٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٨٣.

(١٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٧١.

(١١) البكرى : المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ص ٦٥٣ - ٦٥٥.

(١٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٧٢.

(١٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٧٣.

(١٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٧٣.

(١٥) البلاذرى : فتوح البلدان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٩ هـ/١٩٠١م، ص ٣٠.

(١٦) ابن عذارى : البيان، مج١، ص ٨.

(١٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٧٣.

(١٨) د. محمد محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الاسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م، ص ٢٣.

(١٩) د. حسين مؤنس : فتح العرب ، ص ص ٧٧ - ٧٨.

(٢٠) ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ص ١٨٣ - ١٨٧. ، د. حسين مؤنس : فتح، ص ص ٨٢ - ١٠٥.

(٢١) ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ٣٨٨.

(٢٢) درنة : تقع قرب مدينة المرج، ذكرها ياقوت الحموى من عمل باجة.
ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج ٤، ص ١٦.

(٢٣) مزيد من التفاصيل عن سهل بنغازى انظر:
د. فتحى أحمد الهرام : التضاريس والجيومورفولوجيا (الفصل الثالث من كتاب الجماهيرية - دراسة فى الجغرافية، الدار الجماهرية، سرت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص ١٠٥.

(٢٤) تقع على الطريق الرئيسى الممتد من درنة إلى بنغازى، وتبعد عن سهل بنغازى بحوالى مائتى كم، ومن أبرز معالمها مسجد الزاوية ومتحف الآثار وضريح الصحابى رويفع بن ثابت الأنصارى.

(٢٥) تقع فى الطرف الشمالى من سهل بنغازى فى المنطقة المعروفة باسم الساحل.

على سالم لترك : مدينة توكره، الدار العربية للكتاب، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م ، ص ص ١٠-١١.

(٢٦) ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) : المسالك والممالك، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٩١.

(٢٧) تمثل تاورغا آخر حد إقليم برقة، وقد ذكرها اليعقوبى تورغه.

د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس: ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات (كتاب البلدان لليعقوبى)، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م، ص ٩.

(٢٨) د. محمد يوسف، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨٣.

(٢٩) د. محمد يوسف، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨٢.

(٣٠) ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٥، ص ١٠٠، د. محمد حسين المرتضى : أهم المعالم الأثرية الإسلامية بمنطقة الجبل الأخضر (مجلة آثار العرب)، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا، العدد الثالث، ١٩٩١م، ص ٦٦.

(٣١) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨.

(٣٢) ابن عبد الحكم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ - ٨٧١م : فتوح مصر وأخبارها، ليدن، ١٩٢٠م، ص ١٧٠.، ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، مكتبة النور، طرابلس ، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م ، ص ١٢.

(٣٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٧٠.

مزيد من التفاصيل عن سكان ليبيا انظر :

اتورى روسى : ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة ١٩١١، ترجمة خليفة محمد التليسى، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م، ص ص ٥٨ - ٦١.، د. عبد اللطيف محمود البرغوثى : تاريخ ليبيا الإسلامى من الفتح حتى بداية العصر العثمانى، الجامعة الليبية، دار صادر، دار بيروت، ص ٣٩.

(٣٤) د. محمد يوسف نجم. د. احسان عباس : ليبيا، ص ٨.

(٣٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٧٠.

(٣٧) البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م : فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٥٦م، ق١، ص ٢٦٤.

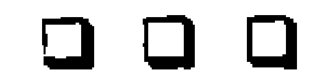
(٣٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٨٣.، د. حسين مؤنس : فتح العرب، ص ص ٨٢ - ٨٣.

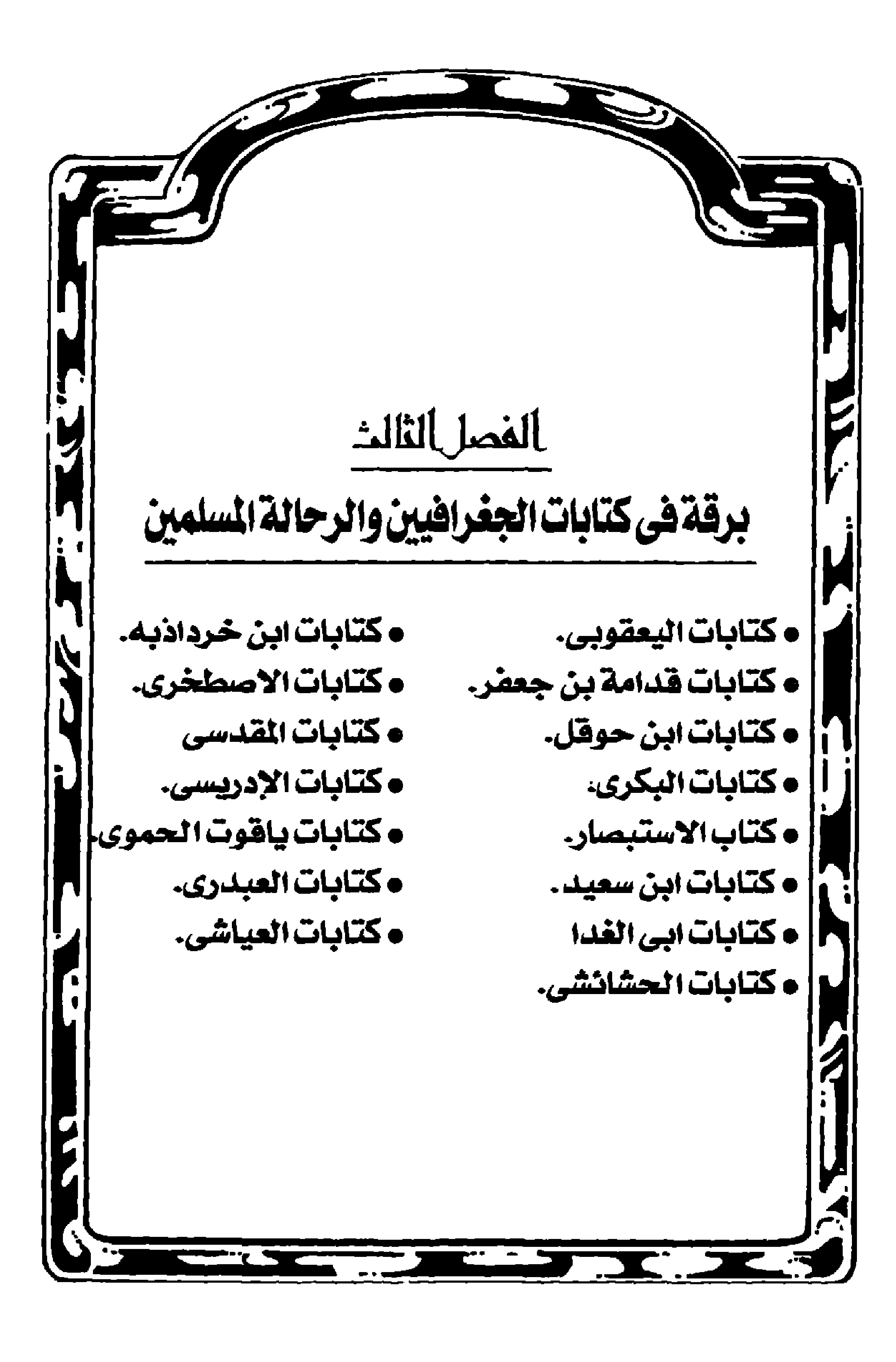
(٣٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١٨٢.، د. حسين مؤنس، فتح العرب، ص ص ٨٢ - ٨٣.

(٤٠) البلاذرى : فتوح البلدان، ق ١، ص ٢٧٠.

(٤١) د. محمد عبد الهادى شعيرة : الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية (ليبيا فى التاريخ - المؤتمر التاريخى ١٦-٢٣ مارس ١٩٦٨م) الجامعة الليبية - كلية الآداب، ١٩٦٨، ص ٢٤٣.

(٤٢) أتورى روسى : ليبيا، ص ٢٥٠.





الفصل الثالث

برقة فى كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين

- كتابات اليعقوبى.
- كتابات قدامة بن جعفر.
- كتابات ابن حوقل.
- كتابات البكرى.
- كتاب الاستبصار.
- كتابات ابن سعيد.
- كتابات ابى الغدا
- كتابات الحشائشى.
- كتابات ابن خرداذبه.
- كتابات الاصطخرى.
- كتابات المقدسى
- كتابات الإدريسى.
- كتابات ياقوت الحموى.
- كتابات العبدرى.
- كتابات العياشى.

أفادت رحلات الرحالة وكتابات الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى ليبيا بصفة عامة وبرقة بصفة خاصة افادة كبيرة، نظرا لما سجله الرحالة والجغرافيون عن حضارتها الإسلامية، حيث كان لهذه الرحلات والكتابات دور هام وبارز فى كشف العديد من أوجه الحياة فى برقة : جغرافيا، وتاريخيا، وإجتماعيا، وثقافيا، وفنيا، فقد توافد عليها فى أزمان مختلفة رحالة وجغرافيون سجلوا عنها كل ما عاينوه فى كافة نواحى الحياة، موثقين مانقلوه من خلال رؤيتهم الشخصية لها، ولذا جاءت نصوصهم المدونة عن نواحيها غاية فى الأهمية والدقة، لكونها ألقت الضوء على كثير من صور الحياة فى برقة الاسلامية عبر عصورها التاريخية، وخاصة خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة وهى الفترة التى تعرف بفترة الإزدهار.

برقة فى كتابات اليعقوبى

يحدثنا اليعقوبى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى عن برقة ومروجها وتربتها واستحكاماتها الحربية ومياهها فيقول «ومدينة برقة فى مرج واسع وتربة حمراء شديدة الحمرة وهى مدينة عليها سور وأبواب حديد وخندق، أمر ببناء السور المتوكل على الله، وشرب أهلها ماء الأمطار يأتى من الجبل فى أودية إلى برك عظام قد عملتها الخلفاء والأمراء لشرب أهل مدينة برقة، وحوالى المدينة أرباض لها يسكنها الجند وغير الجند، وفى دور المدينة والارباض اخلاط من الناس»[1].

ويصف لنا اليعقوبى من مدن برقة مدينة اجية، حيث أورد عنها «وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها اجية بها أسواق ومحارس ومسجد جامع واجنة ومزارع

وثمار كثيرة»[1]، كما يصف لنا ساحل مدينة طلميثة، وهي إحدى مدن إقليم برقة، كذلك يذكر لنا مدينة تسمى برنيق، حيث يقول عنها «وهي مدينة على ساحل البحر المالح ولها ميناء عجيب في الاتفاق والجودة تحوز فيه المراكب، وأهلها قوم من أبناء الروم القدم.. وبرنيق من مدينة برقة»[3]. ويصف لنا اليعقوبي أيضا مدينة اجدابية التي تمثل آخر ديار لواتة، حيث قال «ومدينة اجدابية وهي مدينة عليها حصن وفيها مسجد جامع وأسواق قائمة.. وأهلها قوم من البربر.. ولها أقاليم وساحل على البحر.. ترسى به المراكب وهي آخر ديار لواتة من المدن»[4]. وذكر أيضا من إقليم برقة مدينة سرت، وحدد عند ذكرها آخر حد الإقليم، والذي يتمثل في تاورغا، حيث قال «ومن مدينة اجدابية إلى مدينة سرت وأهل مدينة سرت من مناداسة ومحنحا وقنطاس وغيرهم، وآخر منازلهم على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال له تورغة وهو آخر حد برقة»[5].

هذا وقد ذكر أيضا من أعمال برقة جزيرة أوجلة وودان، واورد فيما يتعلق بتسميتها ما نصه «وتسمى برقة انطابلس، هذا اسمها القديم»[6].

برقة في كتابات ابن خرداذبه

يحدثنا ابن خرداذبه في المسالك والممالك في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وبداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عند ذكره الطريق من برقة إلى المغرب عن قبيلة لواتة البربرية واسم برقة قبل الفتح الإسلامي وتفسيره بما نصه «ونزلت لواته أرض برقة وهي انطابلس بالرومية وهي خمس مدائن»[7].

برقة في كتابات قدامة بن جعفر

يرد ذكر برقة في كتاب الخراج لقدامة بن جعفر في الربع الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بما نصه «وهي مدينة في صحراء حمراء كالبسرة خمسة عشر ميلا والجبال منها على ستة أميال، فذلك من الإسكندرية إلى برقة»[8].

برقة فى كتابات الاصطخرى

يصف لنا الاصطخرى (الكرخى) فى المسالك والممالك برقة فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي من حيث المساحة وطبيعة التربة بقوله «فأما برقة فإنها مدينة وسطة ليست بكبيرة، وحواليها كورة عامرة كبيرة، وهى فى مستو من الأرض خصبة، ويطيف بها من كل جانب بادية يسكنها طوائف من البربر»[٩].

ويحدثنا الاصطخرى أيضا عن برقة من حيث الأحوال السياسية فيقول «وقد كان يخرج إليها عامل من مصر، إلى أن ظهر المهدى عبيد الله المستولى على المغرب، فاستولى عليها وأزال عمال مصر»[١٠]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن برقة كانت تتبع مصر من الناحية الإدارية فى العصر الإسلامى منذ بداية الفتح الإسلامى حتى تأسيس الدولة الفاطمية فى المغرب فى عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م على يد عبيد الله المهدى، حيث تبعت الدولة الفاطمية من منطلق سيطرة الفاطميين على المغرب الإسلامى بعد القضاء على دولة الاغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ/ ٨٠٠-٩٠٩م)، وهو الأمر الذى عبر عنه الكرخى بقوله «وكان ملوك أفريقية وبرقة أولاد الأغلب، الذى كان قد انفذ فى أول أيام بنى العباس، ليكون فى وجه إدريس بن إدريس. . .»[١١].

برقة فى كتابات ابن حوقل

ويحدثنا ابن حوقل عن برقة فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بشىء من التفصيل عن جغرافيتها وأحوالها التجارية بقوله «فأما برقة فمدينة وسطة ليست بالكبيرة الضخمة ولا بالصغيرة الزرية، ولها كور عامرة وغامرة وهى فى بقعة فسيحة. . ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها، وأرضها حمراء خلوقية التربة وثياب أهلها أبدا محمرة. . ويطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها طوائف من البربر وهى برية بحرية جبلية»[١٢]. أما فيما يتعلق بأحوالها الاقتصادية والتجارية فيستدل من نص ابن حوقل على مدى الازدهار

الذى كانت عليه برقة فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى حيث أورد ما نصه «ووجوه أموالها جمة، وهى أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان، وبها من التجار وكثرة الغرباء فى كل وقت مالا ينقطع طلابا لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشرقين وذلك أنها تتفرد فى التجارة بالقطران.. والجلود المجلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة[١٣]، ولها أسواق حادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب. وشرب أهلها من ماء المطر بمواجن يدخر بها، وأسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص فى جميع الأغذية»[١٤]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه إزدهار أحوال برقة الاقتصادية وما ترتب على ذلك من نشاط تجارى، بحيث أصبحت تمثل حلقة وصل بين المشرق والمغرب فيما يتعلق بالنواحى التجارية.

ويصف لنا ابن حوقل من مدن برقة مدينة اجدابية التى ذكرها اليعقوبى فيقول «واليها مدينة اجدابية .. بناؤها بالطين والآجر وبعضها بالحجارة، ولها جامع نظيف. ويطيف بها من أحياء البربر خلق كثير، ولها زرع.. وليس بها ولا ببرقة ماء جار، وبها نخيل»[١٥]، كما يذكر لنا ابن حوقل جزيرة أوجلة التى ذكرها اليعقوبى من عمل برقة فيقول «وهى ناحية ذات نخيل عظيمة وغلات من التمر، ويليها وقتنا هذا رجل من ناحية صاحب برقة، ولم يكن ارتفاعها ومالها الداخل على خزانة السلطان فى جملة مال برقة. فلما ضمت إلى برقة غزر مالها وكثر وزادت الحال فى ذلك»[١٦].

هذا ويذكر لنا أيضا من مدن إقليم برقة مدينة سرت التى ذكرها اليعقوبى فيقول «وسرت مدينة ذات سور .. من طين وطابية وبها قبائل من البربر، ولهم مزارع.. ولها من وجوه الأموال والغلات والصدقات.. مايزيد على حال اجدابية .. وبها نخيل.. ولهم أعناب وفواكه وأسعارهم صالحة على مر الأوقات[١٧].

برقة فى كتابات المقدسى

يصف لنا المقدسى برقة فى ذات الفترة التى تقدم ذكرها وتحدث عنها ابن حوقل فيذكر ما يؤكد إزدهار أحوال برقة الاقتصادية والاجتماعية التى تقدم ذكرها بما نصه «برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعسال مع يسار وهى ثغر قد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع.. قد أحاط بها تربة حمراء. شربهم من آبار وما يحوونه من أمطار فى جباب»(١٨).

ويحدثنا المقدسى عن طبيعة أهل برقة بما يتفق وما تقدم ذكره عند بداية الفتح الإسلامى من طبيعة طيبة مسالمة، حيث يذكر ما نصه «وهى على جادة مصر يحسنون إلى الغرباء، أهل خير وصلاح وأقل إنقلابا من غيرهم»(١٩)، وهى الأوصاف التى تتفق وما ورد على لسان ابن عبدالحكم فى فتوح مصر وأخبارها، وما ورد على لسان البلاذرى فى فتوح البلدان وتقدم ذكره.

ويصف لنا المقدسى فى إيجاز اجدابية وسرت بما نصه «واجدابية عامرة بنيانهم حجارة على البحر وشربهم من الأمطار، وسرت كذلك»(٢٠).

برقة فى كتابات البكرى

يحدثنا البكرى فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى عن برقة من حيث الاسم فيقول «واسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس، تفسيره خمس مدن»(٢١)، كما يحدثنا عنها من حيث التربة والمنشآت، كذلك يحدثنا عن رخائها بما نصه «ومدينة برقة فى صحراء حمراء التربة والمبانى فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها.. وهى دائمة الرخاء كثيرة الخير.. وأكثر ذبائح أهل مصر منها، ويحمل منها إلي مصر الصوف والعسل والقطران، وهو يعمل بها بقرية من قراها يقال لها مقه فوق جبل وعر .. وهى كثيرة الثمار من الجوز والأترج والسفرجل وأصناف الفواكه»(٢٢).

هذا ويحدثنا البكرى عن قبر الصحابى رويفع بن ثابت ببرقة بما نصه «وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٢٣).

ويذكر لنا البكرى من مدن إقليم برقة مدينة اجدابية وجامعها ومئذنته البديعة

وبقية منشآتها فيقول «وهى مدينة كبيرة فى صحراء، أرضها صفا وآبارها منقورة فى الصفا طيبة الماء، وبها عين ماء عذب. ولها بساتين لطاف ونخل يسير.. وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم ابن عبيد الله، له صومعة مثمنة بديعة العمل، وحمامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة مقصودة.. وليس لمبانى مدينة اجدابية سقوف خشب إنما هى اقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها، وهى راخية الأسعار كثيرة التمر، يأتيها من مدينة أوجلة أصناف التمور(٢٤).

هذا ويصف لنا البكرى من مدن إقليم برقة مدينة سرت. فيقول «وهى مدينة كبيرة على سيف البحر، عليها سور طوب وبها جامع وحمام وأسواق، ولها ثلاثة أبواب... ولهم نخل وبساتين وآبار عذبة وجباب كثيرة..»(٢٥).

برقة فى كتابات الإدريسى

يصف لنا الإدريسي بعض مدن إقليم برقة التى تقدم ذكرها كاجدابية وأوجلة وسرت، أما فيما يتعلق بحاضرة الإقليم مدينة برقة فقد أمدنا بوصف لها مع بقية المدن التى تقدم ذكرها فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادي، حيث زودنا بمعلومات هامة تتبين منها تدهور أحوال المدينة من الناحيتين الاقتصادية والعمرانية، فقد أورد ما نصه «فأما مدينة برقة فمدينة متوسطة المقدار ليست بكبيرة القطر ولا بصغيرة، غير أنها فى هذا الوقت عامرها قليل وأسواقها كاسدة، وكانت فيما سلف على غير هذه الصفة.. وهى أول منبر ينزله القادم من بلاد مصر إلى القيروان، ولها كور عامرة بالعرب، وهى فى بقعة فسيحة.. ويحيط بهذه البقعة جبل وأرضها حمراء خلوقية التراب، وثياب أهلها أبدا حمر، وبذلك يعرف أهلها فى سائر البلاد المحيطة بها.. والصادر عنها والوارد إليها كثير فى الأحايين.. وهى برية بحرية، وكان لها من الغلات فى سائر الزمان القطن المنسوب إليها الذى لايجانسه صنف من أصناف القطن. وكان بها وإلى الآن ديار لدباغ الجلود البقرية.. وهى الآن يتجهز منها المراكب والمسافرون الواصلون إليها من الاسكندرية وأرض مصر بالصوف والعسل والزيت..»(٢٦).

برقة فى كتاب الاستبصار

يتفق ما ورد عن برقة من معلومات فى كتاب الاستبصار[٢٧] وما ورد على لسان البكرى فى المسالك والممالك وتقدم ذكره، وينطبق ذلك أيضا على مدينة إجدابية.

برقة فى كتابات ياقوت الحموى

جاء ذكر برقة فى معجم البلدان لياقوت الحموى[٢٨]، وتتفق المعلومات الواردة عنها على لسان ياقوت الحموى فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى والمعلومات الواردة عنها عند البكرى فى المسالك والممالك، خاصة فى أنواع الفواكه وقبر الصحابى رويفع بن ثابت الأنصارى، وقد زودنا ياقوت بمعلومات إضافية تلقى مزيداً من الضوء على حضارة برقة فى العصر الإسلامى، حيث قال «وقد نسب إلى برقة جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعة الزهرى البرقى.. حدث بالمغازى عن عبد الملك بن هشام، وكان ثقة ثبتا وله تاريخ، واخواه محمد وعبدالرحيم ابنا عبد الله رووا جميعا كتاب السيرة عن ابن هشام...»[٢٩].

ولم ترد برقة فى المدن الليبية التى ذكرها القزوينى فى آثار البلاد، حيث اقتصر على ذكر مدينة زويلة، وبلاد بربر، وطرابلس[٣٠].

برقة فى كتابات ابن سعيد

يحدثنا ابن سعيد فى بسط الأرض فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى عن خراب برقة من جهة، وعن أنها عرفت بمدينة المرج بعد أن كانت تعرف بمدينة برقة، وهى معلومات غاية فى الأهمية، حيث تمدنا بالمراحل التاريخية التى مرت بها المدينة، حيث قال «وفى شرقيها مدينة برقة التى كانت قاعدة البلاد البرقية فخر بها العرب.. ويقال لها اليوم مدينة المرج»[٣١].

برقة في كتابات العبدري

يحدثنا العبدري في رحلته عن اضمحلال مدينة برقة بما نصه «وليس الآن هنالك مدينة تسمى برقة ولا مدينة مذكورة إلا طلميثة. وهي قديمة ولست أدرى أهي برقة فغير اسمها ثانية إلى طلميثة كما غير أولا إلى برقة أم هي غيرها. وبرقة الآن عند الناس إسم أرض الا إسم مدينة.. وعرب برقة اليوم من افصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضا فصحاء. ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره، وهم إلى الآن على عربيتهم..»(٣٢)، والواقع فإن مدينة طلميثة ليست هي مدينة برقة، وإنما اندثرت مدينة برقة واضمحل شأنها تماما عند زيارة العبدرى لها، ويتضح من النص أيضا القاء الضوء على جانب هام من جوانب حضارة برقة يتعلق بفصاحة أهل برقة من حيث اللغة.

برقة فى كتابات أبى الفدا

وقد ورد ذكر برقة فى تقويم البلدان لأبى الفدا فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى، وقد نقل فيما يتعلق بأحوال برقة ما نصه «وبرقة ولاية طويلة وقد استولت عليها العرب.. وليس بها في زماننا مدينة جليلة ممصرة..»(٣٣).

برقة فى كتابات العياشى

من الطرائف التى ذكرت فى هذا الصدد ما أورده العياشى فى رحلته فى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى ونصه «وفى الغد نزلنا بوكدية، آخر منازل قفير برقة، التى قيل فيها : غرقة ولا برقة(٣٤).

برقة فى كتابات الحشائشى

يصف لنا الحشائشي مدينة المرج (برقة قديما) فى رحلته بما نصه «وهناك مكان يقال له المرج على مسافة يومين من مدينة بنغازى به أسواق وبناءات وهو فى غاية الخصب الذى لامزيد عليه وسكانه بوادى وبه قبر سيدنا رويفع بن ثابت

الصحابى رضى الله عنه. وبالجملة فإن الجهة الشرقية من بنغازى كلها خصبة ذات أشجار عظيمة وأعين من الماء العذب جارية. وهى المسماة بالجبل الأخضر وهى فى غاية العمارة ممتدة تلك العمارة إلى أطراف الإسكندرية. . وسكان هذا الجبل أعراب بادية لسانهم طلق فصيح بالعربية وطباعهم حسنة وأخلاقهم طيبة لينة معتقدون فى شيخهم سيدى محمد المهدى السنوسى»[٣٥].

مما تقدم يتضح أن مدينة برقة (المرج حاليا) قد شهدت أوج إزدهارها فى كافة أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة، إلا أنها سرعان ما بدأ تدهورها فى أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، ثم اضمحل شأنها تماما فى بداية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادي، حيث كان لإمتداد الفتوحات الإسلامية واستقرارها فى المغربين الأوسط والأقصى من جهة، وظهور مواقع عربية إسلامية أخرى عبر طريق القوافل والتى كانت تتجنب بقدر الإمكان مرتفعات الجبال أكبر الأثر فى أن تفقد المدينة أهميتها من الناحيتين السياسية والاقتصادية، مما أثر بالتالى على الحياة العمرانية فاندثرت آثارها الدينية والمدنية والحربية فلم تصل إلينا آثارا إسلامية تنتمى إلى هذه الحقبة التاريخية، ومعظم ما وصل الينا من آثار إسلامية بمدينة برقة يرجع إلى العصر العثمانى ١١٢٣ - ١٣٢٩ هـ / ١٧١١ - ١٩١١م ويتمثل فى ثلاثة مساجد هى حمد الشتيوى، والمدينة، والزاوية، وقد تأثرت المدينة بزلزال مدمر هدم معظم منشآتها فى عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م فشيدت مدينة المرج الحديثة بجوار المدينة القديمة وانتقل الناس إليها.

❑ ❑ ❑

هوامش الفصل الثالث

(١) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨.

(٢) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨.

(٣) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ص ٨-٩.

(٤) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٩.

(٥) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٩.

(٦) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ص ١٠ - ١١.

(٧) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٩١.

(٨) ابن خرداذبه : المسالك والممالك، ص ٢٢٢.

(٩) الاصطخرى (ابن اسحق ابراهيم بن محمد) : المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م، ص ٣٣.

(١٠) الاصطخرى : المسالك، ص ٣٣.

(١١) الاصطخرى : المسالك، ص ٣٧.

(١٢) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٢٠.

(١٣) د. محمد يوسف نجم. د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٢١.

(١٤) د. محمد يوسف ، د. إحسان عباس: ليبيا، ص ٢٠.

(١٥) د. محمد يوسف ، د. إحسان عباس: ليبيا، ص ٢٠ - ٢١.

(١٦) د. محمد يوسف ، د. إحسان عباس: ليبيا، ص ٢١.

(١٧) د. محمد يوسف ، د. إحسان عباس: ليبيا، ص ٢١.

(١٨) المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢٢٤.

(١٩) المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢٢٤.

(٢٠) المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢٢٤.

(٢١) البكرى : المسالك والممالك، جـ٢، ص٦٥٠.

(٢٢) البكرى : المسالك، جـ٢، ص٦٥٠.

(٢٣) البكرى : المسالك، جـ٢، ص ٦٥٠.

(٢٤) البكرى : المسالك، جـ٢، ص ص ٦٥٠ - ٦٥١.

(٢٥) البكرى : المسالك، جـ٢، ص ٦٥١.

(٢٦) د. محمد يوسف، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ص ٤٨ - ٤٩.

(٢٧) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ص ٥٧ - ٥٨.

(٢٨) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ص ٦٦ - ٦٧.

(٢٩) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٦٧.

(٣٠) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٧٩.

(٣١) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨٢.

(٣٢) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ص ١١٠-١١١.

(٣٣) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨٥.

(٣٤) العياشى: ماء الموائد (الرحلة ليبيا - طرابلس وبرقة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ١٨٩.

(٣٥) الحشائشى (محمد بن عثمان التونسى) : رحلة الحشائشى إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تحقيق على مصطفى المصراتى، دار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، ص ص ٩٨ - ٩٩.

❑ ❑ ❑



الفصل الرابع

المنشآت الدارسة

الاستحكامات الحربية والعمائر الدينية

يحدثنا اليعقوبى عن استحكامات المدينة الحربية فى العصر العباسى فيقول «وهى مدينة على سور وأبواب حديد وخندق، أمر ببناء السور المتوكل على الله»[1]، والواقع أن إحكام استحكامات المدينة الحربية خلال تلك الفترة قد ارتبط إرتباطا وثيقا بتعرضها لهجوم الروم شأنها فى ذلك شأن الثغور المصرية التى شهدت هى الأخرى إزدهاراً كبيراً فى منشآتها الحربية فى ذات الفترة عقب احتلال دمياط[2] فى عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م، حيث شيد الخليفة العباسى المتوكل على الله حصنا بها فى عام ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣م، كما شيد حصنين آخرين فى الفرما[3] وتنيس[4]، وفى ذلك قال المقريزى «وانفق فيه وفى حصن دمياط والفرما ما لا عظيما»[5]، وقد كشفت الحفائر الأثرية[6] التى أجريت بالمدينة عن آثار هذه الاستحكامات الحربية العباسية من أسوار وخنادق وقلعة عثمانية[7]، حيث تظهر فى مناطق مختلفة من المدينة. (شكل ١)

هذا فيما يتعلق بالعمارة الحربية فى مدينة برقة، أما فيما يتعلق بالعمارة الدينية فتدل الحفائر الأثرية التى تقدم ذكرها على أن موقع المسجد الجامع القديم الذى يرجع فى إعتقادى إلى عهد عمرو بن العاص كان داخل أسوار المدينة الأثرية فى المساحة الممتدة من موقع المخطوطات المكتشفة إلى موقع الزاوية السنوسية، حيث كان من الطبيعى أن يشيد عمرو بن العاص مسجدا جامعاً بالمدينة ومساجد أخرى تؤدى فيها الصلوات غير الجامعة على غرار منشآته الدينية فى حاضرة مصر مدينة الفسطاط، خاصة وأن التجانى يذكر لنا مسجدين شيدهما عمرو بن العاص بطرابلس، يقع أحدهما فى الموضع[8] الذى يقوم عليه حاليا مسجد أحمد باشا القرمانللى ١١٥٠ هـ/ ١٧٣٧ - ١٧٣٨م (شكل ٣) بما نصه «ويقابل باب الستارة

المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة. . وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم. . وهنالك مسجد ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله»[٩]، ويقع الآخر بمدينة جنزور إحدى ضواحي طرابلس بما نصه «فحللنا بمنزل زنزور، فرأيت غابة متسعة الأقطار ملتفة الأشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون. . وبها مع ذلك نخل كثير. . وبها أيضا من شجر التفاح والرمان والعنب والتين كثير، وهى كثيرة القصور. . وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص، رحمه الله، أسسه»[١٠]، كما أشار الحميرى[١١]. إلى مسجد شيده عقبة بن نافع بجبل نفوسة[١٢]، كذلك تضم مدينة غدامس[١٣] مسجدا[١٤] ينسب إلى القائد عقبة بن نافع. (شكل ٤)

مسجد أحمد باشا القرمانللى ١١٥٠ هـ/١٧٣٧ - ١٧٣٨م

جاء فى الموسوعة الأثرية الليبية (الجزء الأول) فيما يتعلق بالموقع والتاريخ يعد هذا الجامع من أكبر جوامع طرابلس الغرب وأغناها زخرفة، شيده أحمد باشا القرمانللى مؤسس الأسرة القرمانللية فى طرابلس الغرب فى عام ١١٥٠ هـ/ ١٧٣٧ - ١٧٣٨م، وقد شيد هذا المسجد على انقاض مسجد عمرو بن العاص الذى تقدم ذكره، ويقع فى مواجهة السراى الحمراء فى الجهة الجنوبية الغربية منها، وقد الحق به مدرسة، ويضم ضريحا، وتبلغ المساحة الكلية له ٢٥٥٢ مترا مربعا. (شكل ٣)

يشتمل المسجد كما يتضح من المسقط الأفقى على بيت للصلاة تبلغ مساحته ٤٠٠ مترا مربعا، ويتوسط بيت الصلاة الجامع تقريبا، تغطيه القباب الضحلة، وهى مقامة على مثلثات كروية تكسوها زخارف جصية تنوعت ما بين أشكال هندسية ونباتية، وهى عبارة عن خمس وعشرين قبة، ويشتمل المسجد على محراب رخامى مجوف يكتنفه عمودان من الرخام الأبيض، ويزدان المحراب ببلاطات من القاشانى تزدان بدورها بزخارف نباتية، ويعلو البلاطات شريط من الكتابة الكوفية البارزة تمثل آية قرآنية نقشت على الجص، يحيط بالمحراب إطار من بلاطات القاشانى.

ويشتمل المسجد على منبر مصنوع من الرخام الأبيض، كما يشتمل على مئذنة مثمنة، وتعلوها شرفة، ويعلو الشرفة بدن قصير يتوصل منه إلى أرضية الشرفة، ثم تنتهى المئذنة بقمة مخروطية من الخشب.

جامع وضريح عقبة بغدامس (شكل ٤)

جاء فى الموسوعة الأثرية الليبية (الجزء الثانى) أن هذا الجامع يقع بشارع أولاد بالليل بمدينة غدامس، وهو عبارة عن ساحة مستطيلة مكشوفة - يبلغ مقاييسها ٣١٫٦٠ X ١٥٫١٨م، ولم يتبق من معالم الجامع القديم سوى المحراب وأجزاء من أبدان اعمدة حجرية صغيرة، ويقع المحراب الأصلى فى الركن الشرقى من الجدار الجنوبى، وهو عبارة عن تجويف يبلغ عمقه ١٫٥٠م، وإتساعه ٨٠سم، يتوجه عقد حدوي يرتكز على عمودين يكتنفان جانبى المحراب، يعلو الأيمن منهما تاج يزدان بزخارف نباتية محورة، وإلى يمين المحراب جزء من الجدار القديم يشتمل فى أسفله على إرتداد حائطى قليل العمق ٢٠سم يتوجه عقد نصف دائرى، بينما القسم العلوى منه يشتمل على خمس طاقات نافذة صغيرة، وإلي الغرب من المحراب القديم أوجد المعمار دخلتين معقودتين أكثر ارتفاعا من المحراب الأول ولكنهما أقل عمقا، فيبلغ عمق تجويف الأولى إلى اليسار ٩٠سم، بينما الثانية ٦٠سم، وقد جاءت عقودهما على هيئة حدوية، وتستخدم الحنية اليمنى كمنبر من درجتين، وهاتان الحنيتان أحدث عهدا من المحراب الأصلى، ويوجد على بعد حوالى ٢٫٥٠م من جدار القبلة أجزاء صغيرة من بدن عمودين، تبلغ المسافة بينهما ٥٫٥٠م، بينما المسافة بين العمود الأول والجدار الشرقى الحالى ٤م. وترجح الموسوعة أن جدار القبلة كان ممتدا إلى ناحية الشرق، وان طول جدار القبلة كان حوالى ١٦م، اذان المحراب الأصلي، والذى يقع فى الركن الشرقى من الجدار الجنوبى الغربى، لابد وأنه كان يتصف جدار القبلة كما هو مألوف، يؤيد ذلك أنه عندما صار إمتداد جدار القبلة إلى الناحية الغربية أضيف محراب آخر فى منتصف هذا الجدار.

ويعد ما تبقى من جامع عقبة أقدم الآثار الإسلامية بمدينة غدامس، أما الضريح فيقع عند إمتداد كل من الجدار الجنوبى الغربى والشمالى الغربى للجامع، يشغل مساحة شبه مربعة، حيث يبلغ طول كل من الجدار الشمالى والجنوبى ٤م، بينما يبلغ كل من الجدار الشرقى والغربى ٥٠ر٣م، وذلك من الخارج، أما من الداخل فيبلغ طول كل من الجدار الشمالى والجنوبى ٣م، بينما كل من الجدار الشرقى والغربى ٦٠ر٢م، ويتوصل إلى داخله من خلال فتحة باب فى الجانب الجنوبى الشرقى مقاييسها ١٫٢٥ X ٦٣سم، يتوجها عقد مستقيم.

ويغطى الضريح قبة مقامة على مثلثات مقلوبة، وتشتمل القبة على رقبة دائرية، أما القبة فذات قطاع مدبب قليلا.

وقد اختلف حول نسبة هذا الضريح فالبعض ينسبه إلى القائد عقبة بن نافع، والبعض ينسبه إلى عقبة بن عامر الفهرى، وهناك أبو مسعود عقبة البدرى، وترجح الموسوعة أنه لأبى مسعود عقبة بن رافع الذى توفى بأفريقيا، حيث أن عقبة بن نافع توفى فى تهودة على يد كسيلة زعيم البربر وقبره هناك، وأقيم هناك أيضا جامع يعرف بجامع عقبة، أما عقبة بن عامر فقد توفى بمصر ودفن بها، وتضيف الموسوعة أن الضريح الحالى لايرجع إلى هذه الفترة المبكرة، بل هو أحدث عهدا.

ضريح الصحابى رويفع بن ثابت الأنصارى

هو الصحابى رويفع بن ثابت بن سكن بن عدى بن حارثه الأنصارى، من بنى مالك بن النجار، سكن منطقة الجناب فى نواحى المدينة المنورة، ومنذ أن أسلم وهب نفسه للجهاد، والدعوة إلى الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، والشام، ومصر، وأفريقية، فقد جاهد تحت امرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى معركتى خيبر وحنين، كما كان ضمن الصحابة الذين دخلوا مصر ضمن جيش القائد عمرو بن العاص، وكان هذا الجيش هو الذى فتح بلاد الشام، ثم استطاع فتح مصر فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، قال ابن عبد الحكم عند ذكره من اختط حول

المسجد الجامع مع عمرو بن العاص، «واختط رويفع بن ثبت وعقبة بن كريم الأنصاريان. . واختط رويفع بن ثابت الانصارى أيضا الدار التى صارت لبنى الصمة. وتوفى رويفع بن ثابت ببرقة وكان قد وليها»(١٥).

وكان الصحابى رويفع بن ثابت فى طليعة جيوش الفتح فى أفريقية، ثم ولاه والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى أسفل الأرض، وهى المنطقة الواقعة بين الفسطاط والإسكندرية، ثم سار صحبة معاوية بن حديج لفتح أفريقية فى عام ٤٥ هـ/ ٦٦٥م، وفى هذه الحملة ولى رويفع بن ثابت طرابلس الغرب فأشرف على الحملة البحرية لغزو صقلية، ثم تم تكليفه من قبل معاوية بن حديج بغزو جزيرة جربه، وتم له النصر، ومن ثم قام بتنظيم شئونها وجعلها تابعة لطرابلس الغرب، ثم اضطر نتيجة اضطراب الأحوال السياسية إلى العودة لبرقة فى إنتظار حملة جديدة لفتح باقى أجزاء أفريقية، وظل بها حتى توفى(١٦).

أشارت المصادر التاريخية ونصوص الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطي إلى ضريح للصحابى رويفع بن ثابت بمدينة برقة (المرج حاليا)، حيث أورد المؤرخ ابن عبدالحكم فى أول إشارة لمكان دفنه ما نصه «وتوفى رويفع بن ثابت ببرقة وكان قد وليها»(١٧)، ويتفق ما أورده البكرى فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى ونصه «وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم»(١٨). وما ورد على لسان ابن عبد الحكم، كما يتفق ما أورده ياقوت الحموى فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ونصه «وفى مدينة برقة قبر رويفع صاحب النبى صلى الله عليه وسلم»(١٩). وما ورد فى روايتى ابن عبدالحكم والبكرى، ويشير التجانى فى رحلته إلى موضعين أحدهما مدينة برقة، والآخر الشام بما نصه عند ذكره جزيرة جربة «وأول من أفتتح هذه الجزيرة (جربة) فى أول الإسلام رويفع بن ثابت بن سكن بن عدى بن حارثة الأنصارى من بنى مالك بن النجار وهو من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وممن سكن مصر منهم، وكان معاوية امره على طرابلس وذلك سنة ست وأربعين فغزا منها أفريقية سنة سبع وأربعين ووصل إلى جربة فأفتتحها ثم رجع

من عامه فمات فى برقة وقبره بها، ويقال بل مات بالشام»[٢٠]، ويعد التجانى أول من أشار إلى إحتمال دفنه ببلاد الشام، حيث أجمعت كافة الروايات التاريخية قبله أنه توفى ببرقة، ويتطابق ما أورده ابن الأثير[٢١] فى أسد الغابة وما ذكره التجانى فى رحلته، ويشير الحشائشى فى رحلته إلي وفاته بمدينة المرج (برقة قديما) بما نصه «وهناك مكان يقال له المرج . . به أسواق وبناءات وهو فى غاية الخصب. . وبه قبر سيدنا رويفع بن ثابت الصحابى رضى الله عنه»[٢٢].

مما تقدم يتضح أن كافة الروايات التاريخية سواء فى المصادر التاريخية أو كتب الرحالة أو كتابات الجغرافيين تنص على وفاة الصحابى رويفع بن ثابت ودفنه بمدينة برقة، غير أن هناك رواية[٢٣] أخرى يتناقلها كبار السن من سكان مدينة البيضاء وما حولها، وتروى عن طريق التواتر تقول : أنه دفن بالبيضاء، حيث تذكر الرواية أن القبر اندثر بالبيضاء إلى أن قدم شخص من بلاد المغرب يسمى محمد بن عياد الشريف واستقر بنواحى مدينة البيضاء، راغبا فى تعليم الصغار القرآن الكريم فتحمس له شخص يدعى سليمان بو مقطوعة، حيث تكفل برعاية الشيخ، وذات يوم عثر الشيخ على حجر مكتوب عليه «هذا قبر رويفع بن ثابت الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام بإشهاره. ورغب فى بناء مقام عليه، وتكفل سليمان بعملية البناء وعرف بسليمان بوموصوله، والواقع فان مدينة البيضاء تشتمل على هذا الضريح الحديث البناء (شكل ٥)، ويحتفظ متحف الآثار بمدينة البيضاء بأربع صور لهذا الضريح. (لوحات ١-٣)

❑ ❑ ❑

(١) د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس : ليبيا، ص ٨٧.

(٢) دمياط : جاء تشييد حصن دمياط عندما ملك الروم المدينة وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين فى عام ٢٣٨ هـ/ ٨٥٢م، حيث قام الخليفة العباسى المتوكل على الله بتشييد هذا الحصن فى عام ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣م، وقد بنى بالحجر.
د. عبد الله كامل موسى عبده : الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ٢٤٨.

(٣) الفرما : شيد الخليفة المتوكل على الله العباسى أيضا حصنا بمدينة الفرما تولى الإشراف عليه والى مصر عنبسة بن اسحاق فى نفس عام بناء حصن دمياط حتى يحمى المدينة من هجوم الروم بعد الفظائع التى ارتكبها الروم فى دمياط، وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما قاله يحيى بن الفضيل من شعر للخليفة المتوكل.
فلا تنسنا أنا بديار مضيعة بمصر وأن الدين قد كاد يذهب
د. عبد الله كامل موسى عبده : الاستحكامات الحربية، ص ٢٤٨.

(٤) تنيس : ظلت مدينة تنيس بدون سور يحميها حتى عام ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤م عندما شرع والى مصر عيسى بن منصور فى خلافة الواثق بن المعتصم فى تشييد سورها، وكان الفراغ من عمارته فى عام ٢٣٩/ ٨٥٣م فى ولاية عنبسة بن اسحاق. مزيد من التفاصيل انظر :
د. عبد الله كامل موسى عبده : الاستحكامات الحربية، ص ٢٤٩.

(٥) المقريزى : (تقى الدين أبى العباسي أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، جـ١، ص ١٨٠.

(٦) Abdussaid, Abdul Hamid : Barqa Modern El-Merj, Estrattoda "Libya Antiqua", Vol. VIII, 1971, The Department of Anntiquities - Tripoli, P. 126.

(٧) قلعة مدينة المرج : تعد هذه القلعة إحدى القلاع الحصينة التى شيدها العثمانيون خلال العصر العثمانى الثانى (١١٢٣ - ١٣٢٩ هـ / ١٧١١ - ١٩١١م)، فى المنطقة الشرقية من ليبيا، فقد شيدوا قلاعا فى مدن درنة والمرج وتوكرة والقيقب وبنغازى، وقد إندثرت قلعة المرج عقب زلزال عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م، وقد أثبتت الحفائر الأثرية موقعها وحددت بعض معالمها.

Abdussaid, A.: Barqa, p. 126.

(٨) اتورى روسى : ليبيا، ص ١٢٢.، شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الايطالى، ترجمة محمد عبدالكريم الوافى، منشورات جامعة قار يونس، بنغازى، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ص ٥٣.

(٩) التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) : رحلة التجانى (تونس - طرابلس ٧٠٦/٧٠٨ هـ)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٨١م، ص ٢٤٥.

(١٠) التجانى : رحلة ، ص ص ٢١٤ - ٢١٥.

(١١) الحميرى : الروض، ص ص ٤٧ - ٤٨.

(١٢) جبل نفوسة : بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة جبال فى المغرب، وهو مدينة قديمة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر، وبها جامع وسوق، غزاها عقبة بن نافع، وليس فى جميع البلاد أطيب هواء منها ولا أجمل منظرا ولا أكثر أنهارا وأشجارا وثمارا.

ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج٤، ص ص ٨٠٠ - ٨٠١، الحميرى : الروض، ص ٥٧٨.

(١٣) غدامس : بعد ما تبقى من جامع عقبة بن نافع بمدينة غدامس أقدم الآثار الإسلامية بها، ويتمثل ما تبقى فى المحراب وأجزاء من ابدان أعمدة حجرية صغيرة، وتقع المدينة فى وسط الجانب الغربى من ليبيا، وتعد واحدة من أهم مراكز الحضارة الليبية على مر العصور، وقد قدر لها أن تكون محط أنظار الغزاة منذ غزوة القرطاجنيين، حيث توالت عليها الحملات حتى نهاية العصر العثمانى، وتتميز المدينة فى العصر الإسلامى بإشتمالها على العديد من المنشآت التى تنوعت ما بين جوامع ومساجد

وزوايا، ويبلغ عدد المساجد بها أحد عشر مسجدا.

د. على مسعود البلوشي وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الآثار، ليبيا، جـ٢، ص ص ٦٧ - ٧٣.

(١٤) د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ٢، ص ٧٢ - ٧٣.

(١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ص ١٠٩ - ١١٠.، مزيد من التفاصيل انظر :
د. محمد حسين المرتضى : طلائع الفتح الإسلامى فى ليبيا وجها د زهير البلوى ورويفع الأنصارى، البيضاء، ١٩٩٢م، ص ص ١٣٥ - ١٦٠.

(١٦) د. محمد حسين المرتضى : طلائع الفتح، ص ص ١٤٤ - ١٥٠.

(١٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١١٠.

(١٨) البكرى : المسالك، جـ٢، ص ٦٥٠.

(١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان، مج١، ص ٣٨٨.

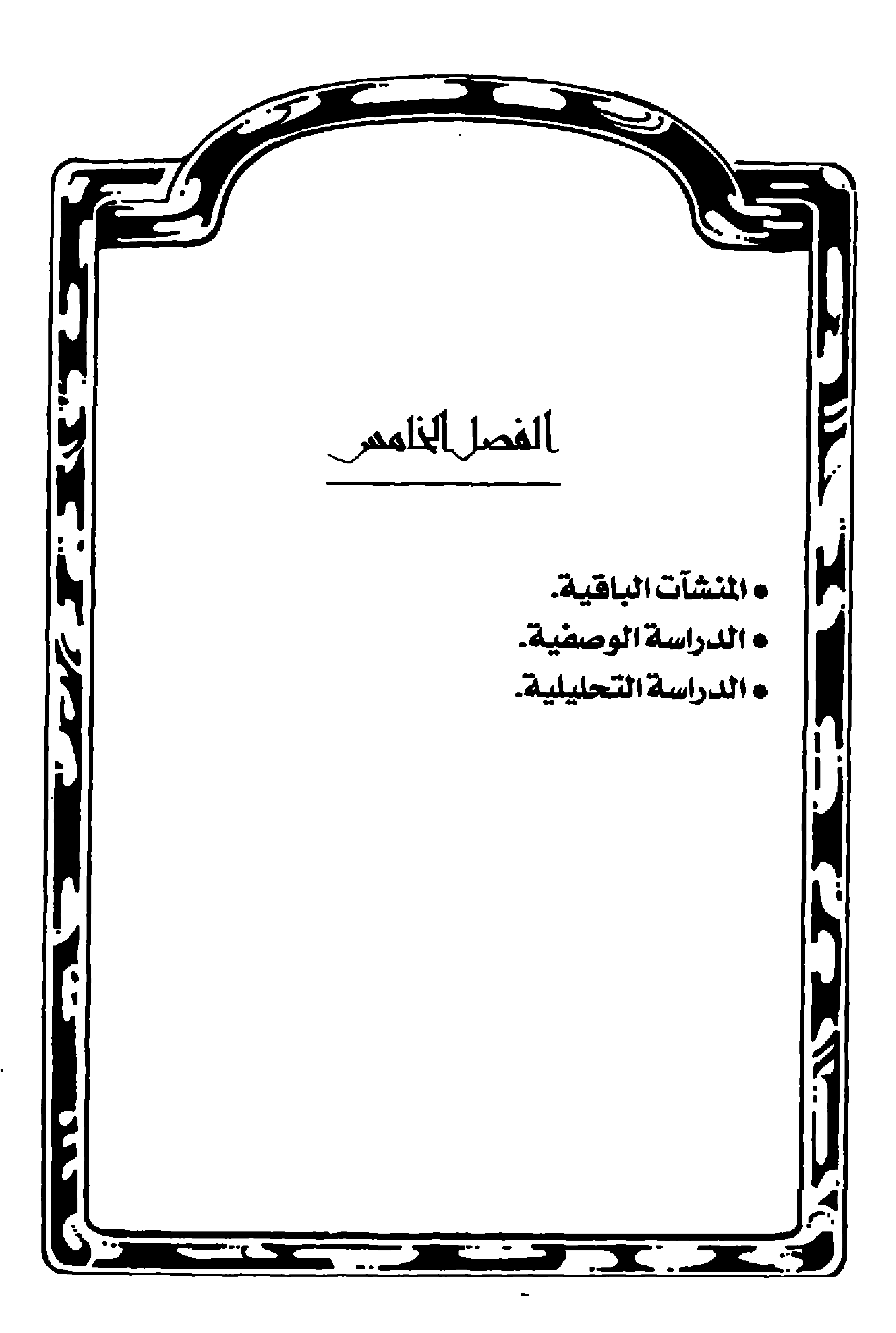
(٢٠) التجانى : رحلة، ص ١٢٤.

(٢١) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن بن أبى الكرم) ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٣م : أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار الشعب، مج٢، ص ٢٤٠.

(٢٢) الحشائشى : رحلة، ص ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢٣) محمد حسين المرتضى : طلائع الفتح، ص ١٦١.

❑ ❑ ❑



الفصل الخامس

- المنشآت الباقية.
- الدراسة الوصفية.
- الدراسة التحليلية.

شهدت ليبيا فى العصر العثمانى بعهديه الأول ٩٥٨ - ١١٢٣ هـ / ١١٥١ - ١١٧١م، والثانى ١١٢٣ - ١٣٢٩ هـ / ١٧١١ - ١٩١١م نهضة معمارية وفنية، وهى النهضة التى تذكرنا بفترة الإزدهار التى تمتعت بها ليبيا فى القرون الأربعة الأولى للهجرة فى كافة نواحى الحياة فى ولاياتها الثلاث برقة وطرابلس وفزان، وهو ما يتضح جليا فى كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى.

هذا وقد كان موقع ليبيا الجغرافى من العوامل الهامة والمؤثرة فى تكوين وتشكيل سمات ومميزات الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية فى العمارة والفنون الإسلامية الليبية، فقد كانت ليبيا تمثل حلقة وصل بين شرق العالم الإسلامى وغربه، وبين الشمال والجنوب، وهو الأمر الذى ساعد على تطور الأسلوب المعمارى والزخرفى فيها، وخاصة على الخط الساحلى والسهول الساحلية الممتدة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط، وعلى إمتداد طرق القوافل، حيث يكثر التركز السكانى، وفى المناطق الريفية والواحات الداخلية، وكان الفن الإسلامى الليبى مزيجا من الأسلوب المحلى الذى يتمثل فى المؤثرات البيئية من جهة، والتأثير الوافد من اتجاهين يمثل أحدهما الفن والعمارة الإسلامية بالمغرب العربى، ويمثل الآخر الفن العثمانى من جهة أخرى، خاصة فى العصر العثمانى بعهديه الأول والثانى.

وبصفة عامة يمكن القول أن المنطقة الشرقية من ليبيا، وهى المنطقة موضوع الكتاب والتى تتمثل فى إقليم برقة بصفة عامة ومدينة برقة (المرج حاليا) بصفة خاصة قد شهدت إقامة العديد من المنشآت الدينية والمدنية والحربية فى العصر الإسلامى منذ بدايته، غير أنه مما هو لافت للنظر أن العمائر التى يتناولها الكتاب ترجع إلى العصر العثمانى الثانى ١١٢٣ - ١٣٢٩ هـ / ١٧١١ - ١٩١١م، وهو

الأمر الذى يتطلب إلقاء الضوء على الأسباب التى أدت إلى إندثار هذه العمائر الإسلامية، خاصة وأن هذه المنطقة شهدت أوج إزدهارها فى كافة عمائرها الدينية والمدنية والحربية خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة.

فمن الناحية السياسية بدأت أحداث الفتح الإسلامى لبرقة الإقليم كما تقدم عقب فتح الإسكندرية مباشرة فى عام ٢١ هـ/ ٦٤٢م، وقد أسهمت برقة الاقليم منذ فتحها من خلال موقعها بدور كبير فى فتوحات المغربين الأوسط والأقصى، حيث كانت تمثل كما تقدم حلقة الاتصال بين المسرق والمغرب، وقد أتاح لها هذا الموقع المتميز أن تصبح قاعدة عسكرية أمامية للمسلمين فى غرب مصر تستقر فيها وتنطلق منها الجيوش الإسلامية الوافدة من مصر لمواصلة الفتوحات الإسلامية فيما يليها غربا حتى بعد تشييد القيروان ٥٠-٥٥ هـ/ ٦٧٠-٦٧٥م، ومن ثم ازدهر الإقليم بصفة عامة، وإزدهرت عاصمته مدينة برقة (المرج حاليا) بصفة خاصة فى كافة أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة كما يتضح فى كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى، إلا أنها سرعان ما بدأ تدهورها فى أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، ثم اضمحل شأنها تماما فى بداية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، مما أثر بالتالى تأثيراً عميقا على الحياة العمرانية فاندثرت منشآتها الدينية والمدنية والحربية، وغدا الإقليم الزاهر يعرف بصحراء برقة.

هذا وقد تبعت برقة الإقليم مدينة طرابلس منذ العهد العثمانى الأول ٩٥٨ - ١١٢٣ هـ / ١٥٥١ - ١٧١١م، وبالتحديد فى ولاية محمد باشا الساقزلى ١٠٤٣ - ١٠٥٩ هـ / ١٦٣٣ - ١٦٤٩م وخليفته عثمان باشا الساقزلى ١٠٥٩ - ١٠٨٣ هـ / ١٦٤٩ - ١٩٧٢م، وذلك بالسيطرة على بعض المناطق الساحلية، حيث تم الإستيلاء على بنغازى حوالى ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥م من قبل محمد باشا، ثم تم الإستيلاء على درنة (لوحة الغلاف) حوالى ١٠٧٣ هـ/ ١٦٦٢م فى عهد عثمان باشا، ونتناول هنا بعد هذه المقدمة ثلاثة مساجد تبقت من العهد العثمانى الثانى هى مساجد حمد الشتيوى والمدينة والزاوية من الناحيتين المعمارية والزخرفية.

مسجد الشيخ حمد الشتيوى ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م (شكل ٦)

الموقع وتاريخ الإنشاء :

يتوسط هذا المسجد مدينة المرج القديمة، شيده الحاج على ذريبة فى عام ١٢٧٨ هـ/ ١٨٦١م أى خلال العهد العثمانى الثانى فى ليبيا ١١٢٣ - ١٣٢٩ هـ/ ١٧١١ - ١٩١١م، وقد نسب للشيخ حمد الشتيوى الذى عين قيما عليه عند الفراغ من عمارته، وقد دفن هذا الشيخ فى الضريح الملحق به، والذى يقع فى الطرف الشرقى من الجدار الشمالى[1].

حالة المسجد :

جاء فى الموسوعة الأثرية الليبية أن المسجد تأثر بزلزال عام ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م، وكان سقفه من الخشب، ويشتمل فى بيت الصلاة على ثلاثة أعمدة وأربعة عقود، كما كان يوجد به عمودان وثلاثة عقود، وقد جدد من قبل الدولة والأهالى[2].

ويتضح من خلال الدراسة الميدانية أنه يشتمل حاليا على بائكة ثلاثية، أما البائكة الرباعية التى أشارت إليها الموسوعة فقد إندثرت، وأرجح أنها كانت تقع بين البائكة الثلاثية الحالية وجدار القبلة خاصة وأن بيت الصلاة جاء من مساحة أكثر إمتداداً من الجهة الشرقية بحيث يتناسب هذا الامتداد ووجود البائكة فى هذا الموضع من عمارة المسجد. (شكل ٦)

المسجد من الخارج (الواجهات)

يشرف المسجد على الشارع السالك من خلال واجهة حجرية تقع فى الجهة الشمالية الشرقية، وتنقسم إلى قسمين - يمثل أحدهما واجهة بيت الصلاة ويمتد بمقدار ٩٫٠٥م مشتملا على مدخلين بينهما نافذة، ويمثل الآخر واجهة ضريح الشيخ حمد الشتيوى، ويمتد بمقدار ٤٫٢٠م مشتملا على مدخل يشرف من خلاله الضريح على الشارع العمومى، وتقع كتلة المئذنة أعلى الضريح، كما يشتمل المسجد على واجهة شمالية غربية تمتد بمقدار ٧٫٧٠م مشتملة على مدخلين بينهما نافذة.

المداخل والفتحات

تشتمل الواجهة الشمالية الشرقية - كما تقدم على مدخلين أحدهما يقع فى الطرف الجنوبى منها، وهو غير مستخدم حاليا جاء بإتساع ١٥ر١م، وبإرتفاع ٢٢ر٢م بسمك ٢٠سم، يتوجه عتب مستقيم، أما الآخر فيقع فى الطرف الشمالى من الواجهة يتوصل من خلاله إلى بيت الصلاة، وقد جاء بإتساع ١٥ر١، وبإرتفاع ٣٠ر٢م، وقد أوجد المعمار بينهما نافذة يبلغ إتساعها ٨٠سم، وإرتفاعها ٧٥ر١ بسمك ٢٠سم، أما مدخل الضريح فيتوجه عقد مدبب من مركزين، ويبلغ إتساعه ٨٠سم بإرتفاع ٦٠ر١م حتى بداية العقد.

هذا وتشتمل الواجهة الشمالية الغربية أيضا على مدخلين يقع أحدهما فى الطرف الشرقى منها - وقد سد حديثا - ويبلغ إتساعه ٣٥ر١م، أما الآخر فيقع فى الطرف الغربى - وقد سد حاليا - ويبلغ إتساعه ٣٠ر١م، وقد أوجد المعمار نافذة تتوسط المدخلين جاءت بإتساع ٩٥سم، وإرتفاع ٥٠ر١م.

هذا ويشتمل المسجد أيضا على فتحتين مربعتين على جانبى المحراب أسفل سقف بيت الصلاة بواقع فتحة فى كل جانب تغشيهما تكوينات زخرفية جصية على هيئة ورود رباعية.

المسجد من الداخل

يعد المسجد من طراز المساجد المغلقة أى تلك التى لاتشتمل على فناء أو دور قاعة مكشوفة، حيث جاء من مساحة مستطيلة مغطاة تمتد رأسيا من الشمال إلى الجنوب قسمها المعمار إلى قسمين من خلال بائكة ثلاثية، يقع القسم الأول فى الجهة الجنوبية الشرقية ويمثل بيت الصلاة، وقد جاء من مساحة مستطيلة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٠ر١٢م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٨م، يتوسط جدارها الجنوبى الشرقى محراب مجوف يتوجه عقد نصف دائرى يرتكز على كتفين حجريين، ويزدان فى القسم السفلى منه ببلاطات من القاشانى نفذت على هيئة دالية باللونين الأبيض والأسود، أما القسم العلوى فقد زخرف

بأشكال هندسية على هيئة معينات باللونين الأبيض والأسود، وقد فصل الصانع بين القسمين بصف من البلاطات نفذت باللون الأسود، ثم تحدد المحراب من الخارج حلية جصية تعلوها كتابات قرآنية بالخط الثلث، كما حدد كذلك بإطار مستطيل يزدان بوحدات من عنصر الطبق النجمى عبارة عن تروس وكندات نفذت باللون الأحمر. (لوحة ٤)

هذا ويسقف بيت الصلاة سقف خشبى من مستويين، وهو الآن مع أرضية وجدران بيت الصلاة فى حالة سيئة ويحتاج إلى ترميم.

أما القسم الثانى من عمارة المسجد فيقع فى الجهة الشمالية الغربية، ويتوصل إليه حاليا من داخل المسجد من خلال بائكة ثلاثية جاءت من عقود نصف دائرية ترتكز فى الوسط على عمودين أسطوانيين وفى الجانبين على كتفين بارزين (لوحة ٥)، وقد جاء هذا القسم من مساحة مستطيلة تمتد رأسيا من الشمال إلى الجنوب، ينقسم جدارها الشرقى إلى قسمين أحدهما غائر عن سمت الجدار بمقدار ٩٠سم، ويمثل الجدار الغربى لضريح الشيخ حمد الشتيوى الذى يفتح على بيت الصلاة من خلال مدخل آخر، ويمتد هذا القسم الغائر بمقدار ٣م، أما بقية الجدار فيمتد بمقدار ٢٥ر٥م.

المئذنــة (شكل ٧)

تقع مئذنة المسجد فى نهاية الواجهة من الجهة الشمالية أعلى الضريح، وتتكون من طابقين، جاء الأول من أسفل مربعا من الحجر يتكون من ثلاثين مدماكا، ويزدان هذا الطابق بمستويين من الفتحات فى الواجهة الشرقية، المستوى الأول من فتحتين مستطيلتين متماثلتين يتوجهما عقد ثلاثى، ويتوسطهما عمود أسطوانى، وتعلوهما فتحة على هيئة مثلثة، وتماثل فتحات المستوى الثانى فى بقية أضلاع القاعدة تلك التى فى المستوى الأول، وينتهى هذا الطابق بشرفة أذان ذات درابزين حديدى، وهى مربعة المسقط ترتكز على صف من المقرنصات. ويبدأ الطابق الثانى من أرضية الشرفة حيث جاء مربعا على غرار القاعدة، إلا أنه جاء

مشطوفا فى أركانه، وقد فتح المعمار فى كل ضلع من أضلاعه المقابلة للجهات الأصلية فتحة مستطيلة يتوجها عقد مدبب حدوى، ثم ينتهى الطابق بقمة مخروطية عثمانية.

جامع المدينة (شكل ٨)

الموقع وتاريخ الإنشاء

يشرف هذا المسجد من خلال واجهته العمومية على شارع المدينة، وقد شيد على بقعة من الأرض أوقفها صاحبها صالح التركى على الشيخ سعد البنانى الذى شيده فى أواخر القرن ١٣ هـ/ ١٩م، وقد جدد المسجد فى عام ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢م على يد الحاج عبد الله بوعوينة[٣].

حالة المسجد

تذكر الموسوعة الأثرية الليبية[٤] أن الواجهة العمومية كانت تشتمل على مدخلين ونافذتين، كما أن الواجهة الشمالية كانت تشتمل على مدخل يتوجه عقد نصف دائرى تحيط به نافذتان، ويغطى المسجد سقف أسمنتى، والواقع أنه من خلال الدراسة الميدانية يتضح إندثار معظم هذه العناصر المعمارية من جهة، ووجود بعض الإضافات الحديثة من جهة أخرى.

المسجد من الخارج

الواجهات ومشتملاتها الدارسة والباقية

يشرف المسجد حاليا على شارع المدينة من خلال واجهة حجرية غطيت بطبقة من الملاط، وهى فى حالة سيئة للغاية نتيجة تأثر المسجد من الزلزال الذى تقدم ذكره، وتمتد الواجهة فى قسمها الجنوبى بمقدار ٩٠ر٥م، أما القسم الشمالى منها فيمتد بمقدار ٠٨ر١٠م، وقد تصدعت أحجار القسم الأخير (لوحة ٦) ، ويبلغ إرتفاعها عن مستوى الأرض ٦٠ر٢م، بسمك ٥٠سم، ويشتمل هذا القسم من الواجهة على مدخل يتوجه عتب مستقيم جاء بإرتفاع ٥٠ر٢م (لوحة ٦)، وقد

فقدت الواجهة امتدادها من الجهة الشمالية، وكانت الواجهة فى الأصل - كما تذكر الموسوعة - تشتمل على بابين ونافذتين وتضيف أن المسجد كان يشتمل على واجهة شمالية غربية أوجد بها المعمار مدخلا ونافذتين، وقد إندثر هذا القسم من عمارة المسجد وحلت محله الآن ميضأة حديثة (لوحة ٧).

المسجد من الداخل :

يتضح من الصورة القديمة التى جاءت فى الموسوعة الأثرية الليبية أن المسجد يتبع طراز المساجد المغلقة شأنه فى ذلك شأن مسجد حمد الشتيوى، حيث جاء من مساحة مستطيلة مغطاة تمتد رأسيا من الشمال إلى الجنوب، تشتمل فى داخلها على أربع دعائم وزعت بحيث تقسم المسجد إلى ثلاث بلاطات تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية على جدار القبلة، ويرتكز السقف على كمرتين ترتكزان بدورهما على الدعامات.

وقد تهدم المسجد من الداخل تماما بفعل الزلزال بحيث لم يتبق من عمارته سوى بعض جدرانه الخارجية التى تحدد تقريبا مساحته، ويعد جدار القبلة أهم هذه الجدران، ويمتد بمقدار ١٢م، ويرتفع بمقدار ١٠ر٤م، يتوسطه محراب مجوف سد حديثا بدماميك أسمنتية، يتوجه عقد نصف دائرى يرتكز على كتفين حجريين (لوحة ٨)، (شكل ٩)، وقد جاء المحراب بإتساع ١م، وإرتفاع ٨٠ر٢م، وقد أوجد المعمار نافذتين متماثلتين على جانبيه بواقع نافذة فى كل جانب تغشيهما مصبعات حديدية تشكل مربعات ومستطيلات بإتساع ٩٠سم، وإرتفاع ٥٠ر١م، وبسمك ٢٠سم.

أما فيما يتعلق بالجدار الغربى فهو فى حالة سيئة، ويتضح من فحصه أنه كان يشتمل على فتحة مدخل سدت حاليا، وقد شيد القسم الجنوبى منه حديثا بدماميك أسمنتية، ويمتد بمقدار ٧٠ر٢م بإرتفاع ٥٥ر٢م (لوحة ٩).

أما القسم الشمالى منه فيشتمل على بائكة ثلاثية من عقود نصف دائرية ترتكز على أكتاف مستطيلة، وقد سدت هذه الفتحات حديثا بالحجر (لوحة ١٠)،

وتنتهى هذه البائكة بجدار مصمت شيد من أحجار غير منتظمة يمتد بمقدار ٦م، ثم نجد جدارا آخر يمتد داخل المسجد بمقدار ٤م وهو من الإضافات الحديثة مع الميضأة (لوحة ١١). هذا ويشتمل المسجد فى داخله على سلم حجرى ملاصق لجدار الواجهة من الداخل يتكون من أربع عشرة درجة (لوحة ٦)، كما يشتمل على صهريج لتجميع مياه الأمطار (لوحة ١٢).

مسجد الزاوية (شكل ١٠)

الموقع وتاريخ الإنشاء

يقع هذا المسجد داخل أسوار المدينة القديمة بالقرب من موقع الحفائر التى تقدم ذكرها، شيده المبروك الجزائرى فى أواخر القرن ١٣ هـ/١٩م، ثم جدد سقفه فى عام ١٣٦٨ هـ/١٩٤٨م، ثم جدد مرة أخرى من قبل الأوقاف بعد زلزال عام ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م[٥].

ويتميز هذا المسجد عن المسجدين السابقين بسمتين، تتمثل الأولى فى معرفة مسقطه الأفقى القديم قبل الزلزال (شكل ١٠)، وتتمثل الثانية فيما عثر عليه من كتابات كوفية فاطمية رائعة فى محرابه سجل عليها اسم الخليفة الفاطمى المعز لدين الله مما يلقى مزيدا من الضوء على ليبيا فى العصر الفاطمى[٦] (شكل ١١).

المسجد من الخارج

الواجهات ومشتملاتها من مداخل ونوافذ وفتحات

يشتمل المسجد من خلال المسقط الأفقى على ثلاث واجهات فى الجهات الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، وتمثل الواجهة الشمالية الغربية الواجهة العمومية، تتقدمها سقيفة، وتشتمل هذه الواجهات على أربعة مداخل، يقع الأول فى وسط الجدار الشمالى الغربى على محور المحراب، حيث يتوسط البلاطة الوسطى التى تفضى إلى المحراب مباشرة، ويقع الثانى فى وسط الجدار الجنوبى الغربى، يتوجه عقد نصف دائرى، أما المدخل الثالث فيقع فى الطرف الجنوبى من الجدار الغربى، وهو يماثل فى تصميمه المدخل الثانى

(شكل ١٠)، أما المدخل الرابع فيقع فى إمتداد الجدار الغربى من جهته الشمالية ويماثل فى تصميمه مدخلى المسجد فى الجدارين الشرقى والغربى هذا وتشتمل الواجهات على ست نوافذ فى الجهات التى تقدم ذكرها بواقع نافذتين فى كل جدار، وهى فى الجدارين الشرقى والغربى ليست على محور واحد، حيث أوجد المعمار نافذتى الجدار الغربى على جانبى المدخل بحيث تفتح إحداهما على البلاطة الأولى جهة المحراب، وتفتح الثانية على البلاطة الخامسة، وهما متماثلتان من حيث الموقع والتصميم، أما فيما يتعلق بنافذتى الجدار الشرقى فتفتح إحداهما على البلاطة الثانية، وتفتح الأخرى على البلاطة الرابعة، ويشتمل الجدار الشمالى الغربى على نافذتين أوجدهما المعمار على جانبى المحراب بواقع نافذة فى كل جانب وهما متماثلتان فى الموقع والتصميم.

هذا وقد أوجد المعمار فتحة نافذة تعلو المحراب، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المداخل والنوافذ والفتحات قد وزعت من قبل المعمار توزيعا هندسيا دقيقا يتناسب والغرض الوظيفى الذى شيدت من أجله وهو الإضاءة والتهوية لتعويض عنصر عدم وجود الصحن فى هذا الطراز من عمارة المسجد.

المسجد من الداخل

يتبع المسجد طراز المساجد المغلقة شأنه فى ذلك شأن طراز مسجدى حمد الشتيوى والمدينة، حيث جاء من مساحة مستطيلة مغطاة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب قسمها المعمار إلى خمس بلاطات متساوية فى العمق والإتساع، تفصلها خمس بائكات، وتمتد البلاطات والبائكات من الشرق إلي الغرب موازية لجدار القبلة، وقد جاءت هذه البائكات من أعمدة أسطوانية قصيرة ترتكز عليها عقود نصف دائرية، وتتكون كل بائكة من أربعة أعمدة ودعامتين مستطيلتين مدمجتين فى الجدارين الشرقى والغربى بواقع دعامة فى كل جدار (شكل ١٠).

ويتضح من خلال توزيع الدعامات والأعمدة أن المعمار راعى التناسق والتناغم فى توزيعها بحيث جاءت جميع بلاطات المسجد سواء فى مساحاتها الموازية أو العمودية متساوية وفقا لتصميم هندسى دقيق.

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو مجوف يتوجه عقد حدوى يرتكز على عمودين أسطوانيين.

هذا وتتقدم المسجد من الجهة الشمالية الغربية سقيفة يتوصل منها إلى المدخل الشمالي الغربى، وهى مستطيلة تفتح على الخارج من خلال بائكة ثلاثية، كما تشتمل فى الطرف الغربى منها على قاعة مستطيلة تمثل بقية إمتدادها.

الكتابات الكوفية

عثر خلال تجديد المسجد عقب الزلزال على جزأين من عمود رخامى يرجع إلى العصر الفاطمى أعيد استخدامه فى عضادتى المحراب، ويحمل كل منهما شريطا من كتابة كوفية بارزة نفذت بالخط الكوفى المورق، جاء على أحدهما ذكر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله[٧].

وتتفق هذه الكتابات مع مثيلاتها فى الجامع الأزهر فى مرحلته الأولى والتى ترجع إلى عهد الخليفة المعز لدين الله، وهى الكتابات التى وجدت فى عقدى محراب المسجد، وفى عقود البلاطة الوسطى العمودية على المحراب (المجاز القاطع).

السمات العامة والدراسة المقارنة

مادة البناء

كانت مدينة المرج تعرف ببرقة الحمراء بسبب لون تربتها أو عمائرها، فقد أورد البكرى ما نصه «ومدينة برقة فى صحراء حمراء التربة والمبانى»[٨]، وتتكون التربة الحمراء فوق الصخور الجيرية. هذا وقد شيدت المساجد موضوع الكتاب بمادة الحجر الجيرى التى توافرت بمدينة المرج كما تقدم.

التخطيط

يتضح من العرض السابق أن مساجد مدينة المرج (برقة قديما) قد عرفت طرازا واحدا من طرز تخطيط المسجد فى العالم الإسلامى، وهو طراز المساجد المغلقة

أى تلك التى لاتشتمل على فناء مكشوف سواء كان كبيرا أم صغيرا، وهو الطراز الذى إنتشر فى معظم المنطقة الشرقية من ليبيا، حيث وجد فى مسجد الزاوية السنوسية بمدينة البيضاء[٩]، وفى المسجد[١٠] الجامع العتيق بمدينة درنة (صورة الغلاف)، وقد جاء هذا الطراز نتيجة لمؤثرات بيئية، حيث تم غلق المسجد بكامله أمام الأمطار والبرودة القارسة، خاصة فى فصل الشتاء، ثم قام المعمار بمعالجة عدم وجود الصحن فى هذا الطراز من خلال تعدد النوافذ والمداخل والفتحات وتوزيعها توزيعها يتلاءم والغرض الوظيفى لها، والواقع أنه قد وفق توفيقا عظيما فى هذه المعالجة، وهو الأمر الذى سوف أتناوله لاحقا. هذا وقد عرف هذا الطراز وإنتشر على نطاق واسع فى آسيا الصغرى بفعل العوامل البيئية[١١]، حيث انشأ سلاجقة[١٢] الأناضول العديد من نماذج هذا الطراز اذكر منها على سبيل المثال المسجد الجامع[١٣] فى سيرت ٥٢٣ هـ/١٣٢٩م (شكل ١٢)، ومسجد بتليس[١٤] قبل عام ٥٤٥ هـ/ ١١٥٠م (شكل ١٣)، ومسجد[١٥] ميافارقين[١٦] ٥٤٧-٥٥١ هـ/١١٥٢ - ١١٥٧م (شكل ١٤)، ومسجد كولوك[١٧] بقيصرى قبل عام ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م (شكل ١٥) وغير ذلك.

هذا وقد عرفت عمارة المسجد الليبى طرازا آخر يتمثل فى تخطيط المساجد ذات الأفنية، خاصة فى المنطقة الغربية من ليبيا، حيث ترتفع درجة الحرارة مقارنة بالمنطقة الشرقية، ومن المساجد التى تتبع هذا الطراز على سبيل المثال بمدينة طرابلس القديمة جامع الناقة[١٨] ١٠١٩ هـ/ ١٦١٠م (شكل ١٦)، وجامع الشيخ سالم المشاط[١٩] ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م (شكل ١٧)، وجامع[٢٠] الدباغ ١٠٨١ هـ/ ١٧٠٩م (شكل ١٨).

وقد نوع المعمار فى أسلوب مسار البلاطات، حيث وجدت فى المساجد موضوع الكتاب وفقا لنمطين : الأول تمتد فيه البلاطات عمودية على جدار القبلة كما هو الحال فى مسجد المدينة، ويتوافق امتداد البلاطات هنا وامتداد المسجد بشكل رأسى من الشمال إلى الجنوب، أما النمط الثانى فتمتد فيه البلاطات والبائكات من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة كما هو الحال فى مسجدى

حمد الشتيوى والزاوية، والواقع أنه من خلال دراسة بعض نماذج من عمارة المسجد الليبى نجد أنها جمعت ثلاثة أنماط لأسلوب امتداد البلاطات والباثكات، يتمثل الأول فى إمتدادها موازية لجدار القبلة كما هو الحال على سبيل المثال فى جامع الناقة بطرابلس ١٠١٩ هـ/ ١٦١٠م، ويتمثل الثانى فى امتدادها عمودية على جدار القبلة كما هو الحال - على سبيل المثال - فى مسجد الشيخ عبد الوهاب[٢١] بطرابلس حوالى ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م (شكل ١٩)، أما النمط الثالث فتمتد فيه موازية وعمودية فى آن واحد كما هو الحال على سبيل المثال فى جامع درغوت[٢٢] باشا بطرابلس ٩٧٢ هـ/ ١٥٦٥م (شكل ٢٠).

التغطيات

نوع المعمار فى أسلوب التغطية بالنسبة للمساجد موضوع الكتاب، حيث وجدت الأسقف المسطحة ترتكز على دعامات مباشرة كما فى مسجد المدينة، أو على باثكات كما فى مسجد حمد الشتيوى، كما وجدت الأقبية البرميلية ترتكز على باثكات كما فى مسجد الزاوية، وبمقارنة أسلوب التغطية هنا بمثيله فى مدينتى البيضاء ودرنة نجد أن عنصر الأقبية البرميلية قد استخدم فى تغطية مسجد الزاوية بمدينة البيضاء، وقد تقدم ذكر اسلوب التغطية المعتمد على القبو عند ذكر برقة فى كتابات البكرى، حيث أمدنا البكرى بنص بالغ الأهمية تقدم ذكره عن أسلوب التغطية فى منشآت مدينة أجدابية بما نصه «وليس لمبانى مدينة أجدابية سقوف خشب إنما هى أقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها»، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه استخدام عنصر القبو فى التغطية فى العمائر الليبية فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وربما قبل ذلك حسب رواية البكرى، وتكمن أهمية النص أيضا فى أن هذا الأسلوب فى التغطية جاء نتيجة مؤثرات بيئية تمثلت فى العامل المناخى السائد فى المنطقة الشرقية من ليبيا، أما المسجد الجامع العتيق بدرنة فيعتمد فى تغطيته بشكل رئيسى على عنصر القبة (صورة الغلاف).

وقد جمعت عمارة المسجد الليبى بشكل عام كافة أساليب التغطية من أسقف مسطحة وأقبية وقباب، وتعد القبة من أهم خصائص المساجد القائمة حاليا فى ليبيا سواء تلك التى ترجع إلى فترة ما قبل العصر العثمانى ٩٥٨هـ/١٥٥١م أو تلك التى ترجع إلى العصر العثمانى بعهديه الأول ٩٥٨-١١٢٣ هـ/١٥٥١-١٧١١م، والثانى ١١٢٣-١٣٢٩هـ/ ١٧١١-١٩١١م، وهى المساجد التى تغطى بيت الصلاة فيها إما قبة واحدة كما فى مسجد قنابة[٢٣] بطرابلس فى القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى، أو أربع قباب كما فى مسجد النخلى[٢٤] ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م (شكل ٢١) ومحمود[٢٥] ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م (شكل ٢٢) بطرابلس، أو ست قباب كما فى مسجد ابن صوان[٢٦] بطرابلس القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى (شكل ٢٣)، أو تسع قباب كما فى مسجد الشيخ الحطاب[٢٧] القرن الحادى عشر الهجرى/السابع عشر الميلادى، أو اثنتا عشرة قبة كما فى جامع خليل[٢٨] باشا ١١٢٠ هـ/١٧٠٨م، أو ست عشرة قبة كما فى مسجد شائب العين[٢٩] ١١١٠ هـ/١٦٩٨ - ١٦٩٩م (شكل ٢٤).

هذا وتعد الأقبية البرميلية أيضا من أهم خصائص المساجد القائمة حاليا فى ليبيا، واذكر من المساجد التى اتبعت هذا الأسلوب فى التغطية على سبيل المثال جامع الشيخ عبد الوهاب بطرابلس حوالى ١٠٨٠ هـ/١٦٦٩م (شكل ١٩)، وقد جمعت بعض المساجد فى تغطيتها ما بين الأقبية البرميلية والقباب كما فى جامع درغوت باشا ٩٧٢ هـ/ ١٥٦٥م (شكل ٢٠)، كذلك جمعت بعض المساجد في تغطيتها ما بين القباب والأقبية والأسقف المسطحة كما فى مسجد عبد الواحد الدوكالى[٣٠] بمسلاتة (شكل ٢٥).

الأعمدة والعقود

ترتكز التغطيات جميعا فيما عدا أسلوب تغطية مسجد المدينة على مجموعة من العقود التى ترتكز بدورها على أعمدة أو دعامات من جهة ودعامات ساندة

مدمجة بجدران ظلة القبلة من جهة أخرى، وهذا التصميم المعمارى من الداخل والمكون للهيكل البنائى بصفة عامة يميز معظم المساجد الليبية التى شيدت سواء قبل أو خلال أو بعد العصر العثمانى.

والواقع أن عنصر الأعمد يعد من أعم عناصر التشكيل الداخلى فى مختلف عمائر ليبيا الدينية سواء فى المنطقة الشرقية أو الغربية، إذ كان لطبيعة التخطيط الذى تقدم ذكره من بوائك العقود التى تمتد موازية أو عمودية أو موازية وعمودية فى آن واحد أثره فى الإقبال على استخدام الأعمدة، لترتكز عليها العقود. وقد عرفت مدينة المرج شأنها فى ذلك شأن بقية البلاد الليبية نوعا واحدا من أبدان الأعمدة وهو البدن الأسطوانى، وهى أعمدة تتسم بقصرها، وهى ظاهرة تميزت بها عمائر شمال أفريقية والأندلس، ومن أمثلتها فى عمائر الأندلس أعمدة مسجد الدباغين[٣١] فى طليطلة القرن ٧هـ/ ١٣م.

أما فيما يتعلق بالعقود فإنه من خلال استعراض مساجد المرج نجد أن مسجد المدينة قد خلا من هذا العنصر، حيث ارتفعت الدعامات بقدر يتناسب والإرتفاع الطبيعى للسقف، بينما استخدم فى مسجدى حمد الشتيوى والزاوية، وهى عقود نصف دائرية.

هذا وقد عرفت العمارة الليبية نوعا آخر من العقود إنتشر إنتشاراً كبيراً فى العالم الإسلامى وخاصة فى شمال أفريقية والأندلس، وهو العقد الحدوى بأنواعه المنفوخ أو المتجاوز والمستدير، والمدبب، وقد استخدم بشكل كبير فى المحاريب الليبية، خاصة من النوع المستدير، ويعد من التأثيرات المغربية الوافدة على العمارة الليبية، وقد وجد فى مئذنة مسجد حمد الشتيوى، وفى محراب مسجد الزاوية[٣٢]، كما نجده فى محراب مسجد الزاوية السنوسية بمدينة البيضاء، وفى محراب المسجد العتيق بدرنة. (لوحة ١٣) (صورة الغلاف).

المداخل والنوافذ والفتحات

تعددت المداخل والنوافذ والفتحات فى المساجد موضوع الكتاب، حيث اشتمل

مسجد حمد الشتيوى على أربعة مداخل ونافذتين فى الجدارين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى كما اشتمل على فتحتين أعلى المحراب، أما مسجد المدينة فقد اشتمل على ثلاثة مداخل وأربع نوافذ في الجدارين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى، أيضا، كما اشتمل على نافذتين فى الجدار الجنوبى الشرقى، أما مسجد الزاوية فقد اشتمل على أربعة مداخل وست نوافذ فى الجهات الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، كما اشتمل على فتحة تعلو المحراب، والواقع أن هذا التعدد قد ارتبط ارتباط وثيقا بطراز هذه المساجد، حيث أوجدها المعمار للمواءمة بين العوامل البيئية ومتطلبات العمارة من التهوية والإضاءة، وقام بتوزيعها بشكل متناغم يحقق الغرض الوظيفى لها من جهة والرؤية الجمالية من جهة أخرى، ونرى قمة هذا التناغم في مسجد الزاوية، حيث قام المعمار بعمل ثلاثة مداخل وست نوافذ، وقام بتوزيعها على بلاطات المسجد توزيعا هندسيا فنيا رائعاً بحيث تفتح أربع نوافذ فى الجدارين الشرقى والغربى على أربع بلاطات من خمس، ثم يفتح مدخل الجدار الغربى على البلاطة الخامسة، أما بقية النوافذ فهى بالجدار الشمالى الغربى، وهى تحقق مع مدخل هذا الجدار عنصر الإضاءة والتهوية لمؤخر المسجد، أما الفتحة أعلى المحراب فهى تحقق مع النافذة التى تفتح على البلاطة الأولى ومدخل الجدار الغربى عنصرى الإضاء والتهوية لمقدم المسجد، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه مدى التوفيق من قبل المعمار فى المواءمة بين المؤثرات البيئية ومتطلبات العمارة.

المئذنة

لم تصل إلينا من مآذن مساجد المرج سوى مئذنة مسجد الشيخ حمد الشتيوى، والتى جاء تكوينها المعمارى من طابقين مربعين تعلوهما قمة مخروطية على النسق العثماني، وقام المعمار بشطف أركان الطابق العلوى، وبصفة عامة فان عمارة المسجد الليبى قد عرفت عدة طرز لتكوينها المعمارى، جاء الطراز الأول من تكوين مربع من أسفله إلى أعلاه شأنه فى ذلك شأن معظم الصوامع المغربية، أما الطراز الثانى فقد جاء من تكوين عرف بالمئذنة[٣٣] السلم، ويمثل هذا

الطراز التكوين الأكثر شيوعا من قبل المعمار الليبى، خاصة فى منطقتى فزان وبرقة، وإنتشر نوع آخر يعد أكثر تطوراً من هذا الطراز فى طرابلس وضواحيها، حيث أضاف المعمار مئذنة مربعة إلى المئذنة السلم يتوصل إليها من خلال مدخل يفضى بدوره إلى سلمها[٣٤].

ويذكر د. على مسعود أن طراز المآذن الأسطوانية كما فى مئذنتى درغوت باشا والشيخ سالم المشاط، وطراز المآذن المثمنة كما فى شائب العين ظهرت فى معمار لسجد الليبى فى العصر العثمانى فقط[٣٥].

والواقع أن ليبيا عرفت المآذن المثمنة فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى أو ربما قبل ذلك، حيث يحدثنا البكري عند ذكره اجدابية فيقول ما نصه «وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، له صومعة مثمنة بديعة العمل»[٣٦]. كما يحدثنا التجانى عن طراز معمارى آخر يجمع بين البدن الأسطوانى والبدن المسدس وذلك عند ذكره جامع طرابلس الأعظم بما نصه «.. وبه منار متسع مرتفع قائم من الأرض على أعمدة مستديراً فلما تم نصفه كذلك سدس»[٣٧].

وتحتفظ ليبيا بمئذنة ذات بدن مسدس المسقط أعلى قاعدة مربعة ترجع إلى العهد العثمانى الأول، وهى مئذنة مسجد ابن سليمان[٣٨] القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى.

والواقع أنه فيما يتعلق بنشأة وتطور المئذنة فى العالم الإسلامى فإن الالفاظ الدالة على التكوين المعمارى الذى يلقى منه الاذان قد تعددت منذ نشأته فى عهد الرسول ﷺ وتتمثل هذه الالفاظ فى اسطوان، مطمار، زوراء، منارة، منار، صومعة، مئذنة، ومن هذه الالفاظ ما اقتصر استخدامه على فترة تاريخية محددة وهو الأمر الذى يشمل الفاظ اسطوان، مطمار، زوراء، حيث اقتصر استخدامها للدلالة على التكوين المعمارى المخصص للاذان خلال عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم على وجه التقريب.

أما الألفاظ التى اطلقت على هذا التكوين المعمارى وقدر لها الاستمرار حتى الان فتتمثل فى الفاظ منارة، منار، صومعة، مئذنة، فقد أورد ابن منظور فى لسان العرب ما نصه «والمئذنة موضع الأذان للصلاة، وقال اللحياني: هى المنارة، يعنى الصومعة»(٣٩).

ونظرا لارتباط كلمة صومعة بالمغرب الإسلامى وبالتالى ليبيا فإنه يمكن القول أن اصطلاح صومعة من الألفاظ التى اطلقت على المئذنة، والصومعة لغة: من البناء سميت صومعة لتلطيف اعلاها، والصومعة منار الراهب، وصومع بناءه. علاه، وكلمة صومعة تعنى مئذنة كما جاء فى لسان العرب وتقدم ذكره(٤٠).

ومن المرجح ان اطلاق هذا الاصطلاح على المئذنة انما يعزى إلى أن المئذنة الأولى فى الجزيرة العربية منذ نشأتها(٤١) على عصر الرسول ﷺ أو فى بلاد اليمن أو فى بلاد الشام ومصر وشمال افريقية والاندلس كانت تتخذ شكلا مربعا، كما كانت ابراج الزهاد، وقد اورد الرحالة ابن بطوطة نصوصا عديدة تتعلق بكلمة صومعة لدلالتها على المئذنة اذكر منها على سبيل المثال صومعة مسجد الكتبية بمراكش، فقد ذكر ما نصه «فوصلت إلى مدينة مراكش وهى من أجمل المدن فسيحة الارجاء متسعة الاقطار كثيرة الخيرات بها المساجد الضخمة كمسجدها الاعظم المعروف بمسجد الكتبية وبها الصومعة الهائلة العجيبة صعدتها فظهر لى جميع البلد منها»(٤٢).

ولقد سار العلماء الغربيون فيما عدا سوفاجيه (Sauvaget) وتبعهم فى ذلك العرب المحدثون فى منهج البحث عن اصل المئذنة وعن حلقات تطوراتها الأولى على نفس الأسلوب الذى سارت عليه بقية دراسات الوحدات والعناصر المعمارية الإسلامية خلال عصرها المبكر، وهو الأسلوب الذى يهدف إلى نسبة مصدرها إلى مصادر غير عربية وغير إسلامية وذلك عن طريق محاولات التأصيل والدراسات المقارنة للوحدات والعناصر المعمارية فى العمائر السابقة على الإسلام، وخاصة فى العمائر الساسانية والهندية والرومانية والبيزنطية والقبطية

واذكر من بين أراء العلماء الغربيين ما ذكره العالم كريسويل (Creswell) من خلال دراسة عن تطور عمارة المئذنة انتهى فيها إلى ان فكرة المئذنة نشأت فى سوريا خلال العصر الأموى، وأن المئذنة الأولى اشتقت معماريا من برج الكنيسة السورية التى تميزت عبر قرون عديدة بتقاليد طراز الابراج المربعة، ولقد اشاد معظم من تعرض للبحث فى اصل وتطور وحدة المئذنة من الباحثين العرب بجهود كريسويل فى هذا السبيل، ومن هذا المنطلق جاء تعريفهم للمئذنة بأنها بناء يشبه ابراج الكنائس اتخذه المسلمون للاذان والدعاء إلى الصلاة وان المئذنة الإسلامية الأولى سواء فى الشام أو فى المغرب والاندلس اشتقت جميعا من الإبراج السورية[٤٣].

والواقع أنه كان من الطبيعى ان تتبلور فكرة المئذنة معماريا فى تكوين معمارى بسيط للغاية، وبدأ المسلمون يفكرون فى مكان الاذان، فإنه من المعروف انه كلما كان الاذان معلنا من مكان مرتفع كلما صار مسموعا لمسافة ابعد ولعدد اكبر، وقد زودنا ابن سعد فى الطبقات بالبداية الأولى لاعلان الاذان من فوق سطح بيت، ثم بمرحلة اخرى انتقلت فيها فكرة اعلان الاذان من سطح بيت إلى تكوين معمارى بسيط يعلو المسجد النبوى فى ركن من اركانه، حيث قال «اخبرنا محمد بن عمر، حدثنى معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، قال اخبرنى من سمع النوار ام زيد بن ثابت تقول: كان بيتى اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى ان بنى رسول الله ﷺ مسجده، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد وقد رفع له شىء فوق ظهره»[٤٤] وهو الامر الذى يتضح فى ضوئه ان المسجد النبوى كان يشتمل منذ السنة الأولى للهجرة على تكوين معمارى عبارة عن كتلة بنائية من اللبن فوق ركن المسجد، حيث يتيسر اقامتها، فإنه لا يمكن اقامتها فوق سطح المسجد المكون من عوارض وسعف وطين على سوارى من جذوع النخل، ويمكن ان نتخيل الرقى إلى أعلى هذه الكتلة بواسطة درجات توضع فوق احد جدران المسجد، وارتفاع الكتلة المعمارية البسيطة فوق ركن المسجد وما يستلزمه ذلك من وجود

درجات أمرا طبيعيا لتأدية الوظيفة الانتفاعية وخدمة الغرض العملى ليصل الصوت إلى اكبر عدد من الناس معلنا الاذان ومعلما بدخول وقت الصلاة.

ويذكر لنا السمهودى نقلا عن ابن زبالة مرحلة اكثر تطورا واستقلالية عن المرحلة السابقة عن مكان الاذان ووصفه، حيث اورد «كان فى دار عبد الله بن عمر اسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى اليها بأقتاب والاسطوان مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار وهى فى منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر»(٤٥).

وقد امدنا المؤرخ يحيى بن الحسين بنص بالغ الاهمية يتعلق بالمئذنة خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك فى حوادث عام ٢٩ هـ، حيث أورد فيما يتعلق بزيادة عثمان فى المسجد النبوى ما نصه «فيها زاد عثمان فى مسجد رسول الله ﷺ الزيادة العظيمة وجعل طوله مائة وستين ذراعا، وعرضه مائة وخمسين ذراعا، وحملت له الحجارة من بطن نخل، ووضع فى عمده الرصاص، وجعل ابوابه ستة على ما كانت عليه فى عهد عمرو من مآثر عثمان بناء المنارات للاذان وكانت فى زمنه مربعة الشكل وأمر بهدم قصر غمدان بصنعاء»(٤٦).

وما يؤكد النص الذى اورده المؤرخ يحيى بن الحسين ويجعلنا نقرر مطمئنين ان المئذنة خلال عهد عثمان اصبحت وحدة معمارية لها كيانها الخاص ما أورده الشيخ عبد الحى الكتانى فى التراتيب الادارية ونصه «فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء والزوراء قيل أنه مرتفع كالمنارة»(٤٧)، ويعد الخليفة عثمان بن عفان أول من رزق المؤذنين(٤٨).

هذا وقد اورد البلاذرى عن جامع البصرة ومئذنته ما نصه «وقال الوليد بن هشام بن قحذم لما بنى زياد المسجد وجعل صفته المقدمة خمس سوارى وبنى منارته بالحجارة»(٤٩)، ويتضح من خلال هذه العمارة ان زيادا والى العراق من قبل معاوية بن ابى سفيان هدم الجامع الأول واعاد تشييده من جديد فى عام

٤٥هـ/٦٦٥م، لذا فإنه من المرجح ان الجامع كان يشتمل على منارة بسيطة التكوين خلال عصر الخليفة عثمان على نمط منارات عثمان بن عفان فى المسجد النبوى.

ويعد ما ذكره ابن عبد الحكم عن مآذن جامع عمرو بن العاص وبقية مساجد الفسطاط اقدم ما لدينا من ذكر لمآذن مصر، قال ابن عبد الحكم «ثم أن مسلمة بن مخلد الانصارى زاد فى المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له ومسلمة الذى كان اخذ اهل مصر ببنيان المنار للمساجد كان اخذه اياهم بذلك فى سنة ثلث وخمسين فبنيت المنار وكتب عليها اسمه»[٥٠]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه ان الوالى مسلمة بن مخلد امر ببناء المنارات لجامع عمرو وأمر بأن تشيد منارات فى معظم مساجد الفسطاط الاخرى، وأمر مؤذنى جامع عمرو بن العاص بأن يبدءوا الاذان للصلوات ثم يتلوهم المؤذنون فى المنارات، وعلى الرغم من ان المؤرخ ابن عبد الحكم لم يذكر هيئة هذه المنارات وتكوينها المعمارى شأنه فى ذلك شأن المؤرخ البلاذرى عند ذكره منارة زياد بن ابيه فى جامع البصرة، الا اننى ارى ان منارات مساجد الفسطاط «المسجد الجامع والمساجد الصغيرة» كانت تتألف من بدن مربع من القاعدة إلى ما يقرب القمة يرقى اليه بدرجات من الخارج.

أما فيما يتعلق بنشأة المئذنة فى المغرب الإسلامى، فقد كان لمصر دور بالغ الأهمية فى فتح بلاد المغرب والاندلس ونشر الإسلام فيها ثم العمل على استقرار هذا الفتح من خلال موقعها الجغرافى الفريد الذى تميزت به عبر عصورها، كما كان لمصر دور بالغ الأهمية فى اشعاع تيارات حضارية وتقاليد معمارية لها أهميتها البالغة إلى هذه البلاد منذ فجر الإسلام، فقد تمكن عمرو بن العاص بعد فتح مصر من فتح إقليم برقة ثم طرابلس الغرب كما تقدم؛ وهو الأمر الذى يؤدى بالضرورة إلى إقامة مسجد جامع للجماعة ومساجد لتأدية الصلوات غير الجامعة، وإعلان الآذان لإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة، خاصة فى إقليم برقة الذى استقرت فيه الفتوحات الإسلامية، وثبتت فيه دعائم الحكم الإسلامى، وظل به عقبة بن نافع وحاميته العسكرية ومن ثم ازدهرت به الحضارة الإسلامية ازدهاراً

عظيماً، ونظرا لازدهار عمارة المئذنة فى عهد والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى (٤٧-٦٢هـ/ ٦٦٧-٦٨١م) ازدهرت عمارة المئذنة فى إقليم برقة وما يليها غربا من البلاد، خاصة مدينة القيروان وعمائرها الدينية فى ذات الفترة، خاصة وأنه تولى حكم المغرب وفى ذلك يذكر ابن عبدالحكم «ثم ولى مسلمة بن مخلد البلاد وجمعت له مصر والمغرب وهو أول وال جمع له ذلك»(٥١)، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن الطراز المربع للمئذنة وفد إلى مصر من المشرق العربى ثم انتقل منها إلى إقليم برقة وما يليها غربا من منطلق تبعية برقة من الناحيتين السياسية والحضارية لمصر.

ولقد اجمع المؤرخون وعلماء الآثار، على أن أقدم مئذنة باقية بالمغرب هى مئذنة جامع القيروان ٥٠-٥٥هـ/ ٦٧٠-٦٧٥م (شكل ٢٦, ٢٧) التى تنسب إلى عمل الوالى بشر بن صفوان فيما بين سنتى ١٠٥ و ١٠٩هـ/ ٧٢٤ و ٧٢٩م على أساس الأدلة التاريخية، وإلى ٢٢١هـ/ ٨٣٦م على أساس الأدلة المعمارية، وهى فى الحالة الأولى تعد أقدم مثل باق للمآذن، وهى فى الحالة الثانية تعد ثان الأمثلة الباقية، اذ تسبقها منارة قصر الحير الشرقى فى بلاد الشام والتى تؤرخ فى حوالى ١١٠هـ/ ٧٣٠م، والتكوين المعمارى لكل من المئذنتين جاء مربعا(٥٢).

ولقد كان التكوين المربع معروفا فى الجزيرة العربية قبل الإسلام معماريا، فقد كان للعرب قبل الإسلام فن معمارى ازدهر وانتشر خارج الجزيرة العربية تمثل فى عمارة الحصون والاطام، وكانت فى كثير من الأحيان ذات تخطيط مربع، وتتألف من عدة طبقات، ويحف بها أسوار ولها رحاب ومداخل حصينة، وكانت هذه الاطام تتخذ مساكن للقبائل والبطون وأسواقا ومستودعات وأبراجا للمراقبة وغير ذلك، وكان بالمدينة المنورة على عصر النبى صلى الله عليه وسلم حصون واطام، فقد أورد ابن منظور ما نصه «وفى حديث بلال: أنه كان يؤذن على اطم»(٥٣)، وإضافة لما تقدم فقد كانت الكعبة من تكوين معمارى مربع، ومن المرجح أن المئذنة بنيت على تكوينها، وذكر ابن عبد الحكم عند ذكره دار عبد الله بن عمرو بن العاص ما نصه «وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الأولى»(٥٤).

مما تقدم يتضح أن المآذن الأولى التى إنتشرت فى أقطار عديدة خلال القرن الأول الهجرى/السابع الميلادى قد استطاعت أن تحقق لنفسها طرازا معماريا مميزا جاء مربعا من قاعدته إلى قمته يرقى إليه من خلال اقتاب (درجات) تلتصق به من إحدى جهاته الأربع، وهو الأمر الذى أضفى على الطراز الإسلامى طابعه الذى يتميز ويتسم به وهو طابع الوحدة الظاهرة.

ومن أهم المآذن المغربية على الأطلاق التى تـ ع هذا الطراز فى بلاد المغرب مئذنة القيروان (شكل ٢٦، ٢٧) التى جاءت من ثلاثة طوابق مربعة تتوجها قبة مضلعة، وتفصيل ذلك أن الطابق الأول يمثل القاعدة التى ترتفع بمقدار ١٨ر٨٧م، وتشتمل على ثلاث نوافذ مستطيلة أعلى المدخل، تتوجها عقود حدوية فى الجهة الجنوبية الشرقية جهة الصحن، وتقابل هذه النوافذ طوابق السلم الثلاثة داخل المئذنة، كما تشتمل فى الجهة الشمالية الغربية منها على ثلاث فتحات تشبه المزاغل، وكذلك تشتمل فى الجهة الجنوبية الغربية على فتحتين، وقد أوجد المعمار هذه الفتحات بغرض الاضاءة والتهوية داخل المئذنة، وتتوج القاعدة شرفة اذان مربعة المسقط، يتوصل إليها من الطابق الثانى أو الطابق الأول أعلى القاعدة، ويرتفع هذا الطابق بمقدار ٥م، ويرتد إلى الداخل، ويتكون من هذا الارتداد ممر الشرفة الأولى، وتحدد هذا الممر شرافات ترتفع بمقدار ١٩ر١م، ويزدان الطابق فى كل ضلع من أضلاعه بثلاث دخلات تتوجها عقود حدوية، أما الطابق الثالث فقد جاء مربعا يرتفع بمقدار ٤٢ر٥م حتى الكورنيش، ويرتد هذا الطابق إلى الداخل قليلا عن الطابق الثانى، ويتكون من هذا الارتداد ممر الشرفة الثانية، وهى مربعة تحددها شرافات تماثل فى هيئتها شرافات الشرفة الأولى، وترتفع ١٥ر١م، ويزدان هذا الطابق فى كل ضلع من أضلاعه بثلاث دخلات تتوجها عقود حدوية، الوسطى نافذة يتوصل من خلالها إلى أرضية الشرفة، وترتكز على عمودين، وتتوج هذا الطابق خمس حنايا فى كل ضلع، الوسطى منها نافذة، ثم تتوج المئذنة قبة نصف كروية مضلعة بإرتفاع ٢م. (شكل ٢٦, ٢٧).

وعلى الرغم من شيوع لفظ صومعة فى المغرب والأندلس للدلالة على المئذنة من جهة وارتباط هذا اللفظ بالتكوين المعمارى المربع الذى جاءت عليه معظم مآذن المغرب والأندلس من جهة أخرى إلا أننا نجد طرزا أخرى عرفتها المئذنة المغربية الأندلسية منذ وقت مبكر، وهو الأمر الذى يتضح جليا فى كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى، فقد عرفت ليبيا فى ولايتى برقة وطرابلس المآذن المثمنة والأسطوانية المسدسة، قال البكرى عند ذكره اجدابية إحدى مدن إقليم برقة ما نصه «وبها جامع حسن البناء بناء أبو القاسم بن عبيد الله، له صومعة مثمنة بديعة العمل»[٥٥]، يتضح من النص أن عمارة المسجد والمئذنة قد ارتبطت بالدولة الفاطمية والخليفة الفاطمى القائم أبو القاسم محمد (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م)، حيث تبعت ليبيا ممثلة فى ولايتى طرابلس وبرقة الدولة الفاطمية فى المغرب ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م منذ ولاية الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى، خاصة مدينة طرابلس التى سيطر عليها منذ اليوم الأول لإعلان دولته، ثم قام بالسيطرة على برقة خلال الحملة الأولى ٣٠١-٣٠٢ هـ/ ٩١٤-٩١٥م التى توجهت لفتح مصر، فأصبحت برقة منذ ذلك التاريخ ولاية فاطمية[٥٦].

وظهور المآذن ذات الطراز المثمن أو الطابق المثمن وجد فى مصر فى العصر الفاطمى، حيث نجده فى مئذنة مسجد ومشهد الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م (شكل ٢٨) حيث جاء التكوين المعمارى لها يشتمل على ثلاثة طوابق، يمثل الأول القاعدة وقد جاء مربعا يرتفع بمقدار ٨م فوق سطح المدخل، وجاء الطابق الثانى أيضا مربعا أعلى القاعدة يرتد إلى الداخل قليلا ويرتفع بمقدار ٥٠ر٢م، أما الطابق الثالث فقد جاء مثمنا يرتفع بمقدار ٥٠ر١م فتح المعمار فى كل ضلع من أضلاعه نافذة معقودة بعقد مدبب من مركزين، ويرتد إلى الداخل قليلا عن الطابق الثانى، ويعد هذا الطابق أقدم طابق يلى الطابق الثانى فى عمارة المئذنة المصرية فى مدينة القاهرة، حيث يرجع الطابق المثمن العلوى فى مئذنتى جامع الحكام بأمر الله إلى عهد الأمير بيبرس الجاشنكير فى سلطنة الملك الناصرى محمد بن قلاوون.

هذا وقد وجدت المآذن المثمنة فى مصر أيضا فى العصر الفاطمى قبل مئذنة الجيوشى فى جامع الحاكم بأمر الله فى المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م فى القسم المتبقى منها الذى يرجع إلى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله والذى شيد بالحجر ويتكون من قاعدة مربعة يعلوها طابق مثمن. (شكل ٢٩) (لوحة ١٤).

ومن المآذن الفاطمية التى اشتملت على طابق مثمن مئذنة مشهد أبى الغضنفر أسد الفائزى ٥٥٢هـ/١١٥٧م آخر مشاهد العصر الفاطمى فى مصر، وقد سجل تاريخ المشهد واسم منشئه الأمير أبو الغضنفر أسد الفائزى الصالحى على لوحة تعلو باب المشهد كتب عليها بالخط الكوفى، وقد جدد المشهد فى العصر المملوكى البرجى، حيث وجدت لوحة أخرى داخل المشهد كتب عليها بالخط النسخى أن القبة شيدت فى عام ٨٦٦هـ/١٤٦١م، وتتركز أهمية هذا المشهد فى قبته ومئذنته، أما القبة فهى تمثل نهاية التطور فى عمارة القباب فى العصر الفاطمى.

وتقع المئذنة فى الركن الشمالى الشرقى للمشهد، وتعد المثل الوحيد للمآذن الفاطمية خلال القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى، لذا فهى تمثل آخر مرحلة من مراحل تطور عمارة المئذنة الفاطمية فى مدينة القاهرة. (لوحة ١٥)

تتكون مئذنة أبى الغضنفر من قاعدة مربعة المسقط تعلوها شرفة خشبية للمؤذن ترتكز على كوابيل ومساند خشبية ويعلوها طابق أول مثمن المسقط يلى هذه القاعدة المربعة والشرفة الخشبية ثم قمة المئذنة، وهى عبارة عن قبة صغيرة مضلعة بحيث تماثل قبة المشهد الكبيرة، وترتفع المئذنة نحو ١٩م فوق سطح الأرض، وقد بنيت المئذنة من الآجر المغطى بطبقة من الجص، وتفصيل ذلك أن القاعدة مربعة المسقط تزدان فى الواجهة الشمالية الشرقية بطاقات اشعاعية بديعة التكوين من الجص، وتشتمل فى الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية على نافذة صغيرة، وتتميز القاعدة بإرتفاعها الواضح، وتنتهى بشرفة للآذان ترتكز على مسند خشبى من كوابيل، وهى مثمنة تشتمل على درابزين من الخشب من مستويين، ويعلو الشرفة طابق مثمن أكثر دقة فى تنفيذه من طابق مئذنة الجيوشى، ثم تتوج المئذنة مبخرة عبارة عن قبة سطحها الخارجى جاء مفصصا أو

مقسما إلى ضلوع بارزة، وهى تماثل القبة الكبيرة فى المشهد، وهو الأمر الذى أوجد توازنا رائعا وتناسقا بديعا بين عمارة القبة وعمارة المئذنة، وهو الأمر الذى نلحظه لأول مرة فى العمارة الدينية فى مصر، حيث نجد فى الفترة السابقة على هذا المشهد أن المعمار المسلم اهتم اهتماماً عظيماً بعمارة وزخرفة المئذنة من منطلق أنها أهم الوحدات المعمارية فى العمارة الدينية، وهو مانلحظه بوضوح فى عمائر العصر الفاطمى بمصر، إذ أنه على الرغم من وجود القباب فى عمائر الفاطميين الدينية إلا أننا نرى أنها لم تنل تلك الرعاية العظيمة من قبل المعمار والفنان الفاطمى التى نالتها عمارة المئذنة. (لوحة ١٥)

ويوجد بين القبة والطابق المثمن الأول رقبة مثمنة فتحت فى كل جانب من جوانبها فتحة ثلاثية والواقع أن هذه الرقبة من خلال هذا التصميم تميز هذه المئذنة تميزاً واضحاً حيث نجدها هنا فى هذه المئذنة لأول مرة، فقد خلت منها مآذن العصر الفاطمى السابقة عليها. (لوحة ١٥)

وإضافة إلى المآذن المثمنة التى وجدت فى برقة الإقليم فى مدينة اجدابية عرفت مدينة طرابلس الليبية المآذن ذات الطوابق المستديرة والمسدسة، وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما أورده الرحالة التجانى عند ذكره جامع طرابلس الأعظم، حيث قال «وبه منار متسع مرتفع قائم من الأرض على أعمدة مستديرا فلما تم نصفه كذلك سدس»[٥٧]، ويتضح من النص أن مئذنة جامع طرابلس التى شيدت مع الجامع فى العصر الفاطمى جمعت بين التكوين الأسطوانى والمسدس، أما فيما يتعلق بالطابق الأسطوانى فقد وجد فى مئذنة جامع الحاكم بأمر الله الشمالية فى القسم السفلى الذى يرجع إلى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله فى عام ٣٩٣هـ/١٠٠٣م، وهو القسم الذى شيد بالحجر، وبصفة عامة فان جامع الحاكم بأمر الله ٣٨٠-٤٠٣هـ/ ٩٩٠-١٠١٢م تأثر من الزلزال الذى أصاب القاهرة فى عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، فجدد الجامع فى عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، وقد كانت له آثار بالغة الأهمية على مئذنتى الجامع، حيث سقط القسم العلوى فى المئذنتين وأعيد بناؤه بالآجر على يد الأمير بيبرس الجاشنكير عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م كما تقدم وذلك فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون. (لوحة ١٦)

أما الطوابق المسدسة فقد ظهرت فى المآذن المصرية فى مئذنة اسنبغا البوبكرى ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م، والواقع أن هذه المئذنة تمثل من خلال تكوينها المعمارى والزخرفى حلقة هامة من حلقات تطور المئذنة المصرية، حيث احتوت على عناصر معمارية تظهر لأول مرة فى عمارة مآذن القاهرة، كما احتوت على عناصر زخرفية فريدة تظهر أيضا لأول مرة فى عمارة مآذن القاهرة.

ترتفع المئذنة فوق المدخل الرئيسى للمدرسة على الطرف الأيسر منه، تشرف على الشارع العمومى، وقد بنيت كلها بالحجر، تتكون من قاعدة مثلثة المسقط وهى سمة فريدة تظهر لأول مرة فى عمارة مآذن القاهرة، ويعلو هذه القاعدة طابق مسدس المسقط عن طريق مناطق انتقال ركنية عبارة عن مثلثات ركنية متزلقة ومقلوبة بواقع مثلث فى كل ركن من أركان مثلث القاعدة مخلق به شكل جناح ونتوء، وقد ترتب على وجود ثلاثة مثلثات ركنية تحويل مثلث القاعدة إلى طابق مسدس المسقط يظهر لأول مرة فى عمارة مآذن القاهرة، ثم تعلو الطابق شرفة آذان حجرية مستديرة المسقط، يعلوها طابق مستدير يزدان بزخرفة رائعة تعتبر من مميزات هذه المئذنة وهى عبارة عن جفت مضفور من أشكال ميمات زخرفية دائرية وجفوت لاعبة بديعة متداخلة بشكل أفقى بحيث تنتهى هذه الجفوت اللاعبة من أسفل ومن أعلى بهذه الميمات الزخرفية، وتتداخل هذه الجفوت بشكل أفقى بديع بحيث تلتف حول البدن الدائرى بأسلوب رائع يدل بما لايدع مجالا للشك على أن الفنان بلغ درجة عظيمة من الدقة والاتقان فى تنفيذ الزخارف الحجرية على ابدان المآذن المملوكية. (شكل ٣٠) (لوحة ١٧, ١٨)

وتلى هذا الطابق شرفة حجرية مستديرة المسقط، يعلوها جوسق مثمن من دعامات حجرية تتقدمها أعمدة حجرية مخلقة بديعة التكوين ثم نجد مقر نصا من ثلاث حطات تعلوه حلية قالبية بديعة يرتكز عليها صف من الشرافات الورقية الثلاثية التى تماثل شرافات المنشأة الرئيسية، وهى أقدم شرافات وصلت إلينا، ثم تتوج المئذنة خوذة ذات قطاع مدبب. (شكل ٣٠) (لوحة ١٧, ١٨).

مما تقدم يتضح أن المآذن الليبية شهدت تطوراً فى أنماطها المعمارية خلال العصر الفاطمى شأنها فى ذلك شأن بقية الوحدات والعناصر المعمارية، وهو الأمر الذى

يمكن استخلاصه بشكل كبير من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطى.

وبصفة عامة فانه من الواضح فيما يتعلق بالعمارة الإسلامية فى ليبيا فى العصر العثمانى، خاصة فى المنطقة الشرقية إن فلسفة بنائى المساجد الليبية خاصة فى برقة هى البساطة فى البناء والخلو من الزخرفة، حيث نظر المعمار إلى تخطيط وتنفيذ المسجد خلال تلك الفترة على أنه شيد لغرض وظيفى بحت، وهو الأمر الذى نتج عنه عدم التأنق فيه من الناحيتين المعمارية والزخرفية، وهو مانلحظه جليا فيما تبقى من مساجد بمدينة المرج خلال العهد العثمانى الثانى.

ظاهرة الحاق المدافن بالعمارة الدينية

من خلال استعراض مساجد مدينة برقة يتضح أن مسجد الشيخ حمد الشتيوى اشتمل على ضريح للشيخ حمد الشتيوى الذى عين قيما عليه عند الفراغ من عمارته فى عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، حيث دفن به، ويقع الضريح فى الطرف الشرقى من الجدار الشمالى، وهو من مساحة مربعة كما تقدم يتوصل إليها من مدخلين أحدهما يفتح على الشارع العمومى، والآخر يتوصل إليه من داخل المسجد، حيث يقع على يمين الداخل من الباب العمومى للمسجد.

والواقع أنه أطلقت على أماكن دفن الموتى عدة مسميات تتمثل فى مدافن وجبانات وترب ومقابر وقرافات وأضرحة ومشاهد، وتعد القبة الصليبية ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م أقدم مثل باق للمدفن ذى القبة فى العصر الإسلامى، ويقوم هذا الأثر على مرتفع طبيعى أوتل فى الجانب الغربى من دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق يطل على حوض النهر من منطقة تقابل الجوسق الخاقانى، ويضم البناء رفات ثلاثة من الخلفاء العباسيين الذين حكموا فى سامراء وهم المنتصر بالله المتوفى ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، والمعتز بالله المتوفى ٢٥٥هـ/٨٦٨م، والمهتدى المتوفى ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، وقد شيدت بأمر من أم الخليفة المنتصر بالله، وذكر أن التسمية جاءت من أن هذه السيدة كانت صليبية قبل أن يتزوجها الخليفة، كما ذكر أن التسمية جاءت من شكل تخطيط البناء[٥٨]. (شكل ٣١)

هذا وقد عرفت مصر إقامة القباب فوق المدافن، وقد اختلف العلماء فيما بينهم بشأن أقدم الأمثلة التى ظهر فيها هذا النوع من المدافن فمنهم من ذكر أن مشهد آل طبا طبا ٣٣٤هـ/ ٩٤٣م الذى يرجع إلى العصر الأخشيدى هو أقدم مثال لهذا النوع فى مصر (شكل ٣٢)، ومنهم من ذكر أن مشهد القباب السبع بالفسطاط بداية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى هو أقدم أمثلة هذا النوع فى مصر، وقد فقدت هذه المدافن قبابها[٥٩]. (لوحة ١٩)

ويعد مسجد ومشهد الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م أول منشأة معروفة فى مدينة القاهرة تشتمل على مشهد ملحق بها من الجهة الشمالية الشرقية (شكل٢٨)، وقد ذكر أن ظاهرة الحاق المدافن بالمنشآت الدينية ظهرت فى سوريا أولا عندما أسس نور الدين محمود فى دمشق مدرسته سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م، وألحق بها مدفنا لنفسه، ومنذ ذلك الوقت استقر هذا الأسلوب وتطور هناك، والواقع أن عهد هذه الظاهرة يسبق تاريخ مسجد ومشهد الجيوشى فى مصر ومدرسة السلطان نور الدين محمود فى دمشق، حيث وجد فى المسجد النبوى بالمدينة، فقد ألحق قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بمسجده فى خلافة الوليد بن عبد الملك، ثم وجد هذا الأسلوب فى أثر سابق على مسجد ومشهد الجيوشى، عندما قام شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمى فى عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م ببناء قبة على قبر الإمام أبى حنيفة وإلى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية[٦٠].

وقد وجد هذا الأسلوب فى مصر فى العصر الأيوبى فى المدفن ذى القبة الملحق بمدرسة الملك الصالح نجم الدين أيوب (شكل ٣٣)، وقد ازدهر هذا الأسلوب فى مصر ازدهاراً عظيما فى العصرين المملوكى والعثمانى.

وقد انتشر هذا الأسلوب انتشاراً كبيراً فى العمارة الليبية، وسوف نتناول هنا مثالا واحدا من طرابلس الغرب يتمثل فى مدرسة عثمان باشا الساقزلى ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٤م بشارع درغوت (شكل ٣٤)، وهى أولى المدارس المستقلة الباقية التى ألحق بها ملاحق أصغر منها تعود عليها بالنفع وبالإضافة إلى ذلك تشتمل على مدفن لمؤسسها وحوش جنائزى، وقد قام بدراسة هذه المدرسة د. مصطفى نجيب[٦١]، وقد تولى عثمان باشا حكم طرابلس فيما بين سنتى ١٠٦٠

و ١٠٨٣هـ/ ١٦٤٩ و ١٦٧٢م، وتشرف المدرسة من خلال واجهتها العمومية الجنوبية الشرقية المشتملة على المدخل الرئيسى ونوافذ لمساكن الطلبة وشباكى المدفن على شارع درغوت، كما تشرف من خلال الواجهة الشمالية الشرقية على زنقة الخمرى، أما الواجهة الجنوبية الغربية فتشتمل على نوافذ لبعض مساكن هذا الجانب وتشرف على ميدان السيدة مريم، أما الجانب الشمالى الغربى لها فلصق الجار[٦٢]. (شكل ٣٤)

جاء تخطيط المدرسة من مساحة مستطيلة تقريبا مقاييسها ٨٧ر١٢ X ٧٢ر١٢م، يشتمل على صحن وظلة ومساكن للطلبة ومصلى وميضأة ومستحم ومطبخ، إضافة لوجود امتداد آخر من الجانب الشرقى جاء من مساحة مستطيلة ولكن بهيئة أصغر يلتصق ضلعها الجنوبى مكونا امتدادا للواجهة العمومية الجنوبية الشرقية للمدرسة، ويشتمل على مدفن وحوش جنائزى «روضة»[٦٣]. (شكل ٣٤)

أما الصحن فلا يتوسط المساحة الكلية للمدرسة نظرا لوجود ملاحق خلف مساكن الجانب الجنوبى الغربى، وهو مكشوف جاء من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٧٠ر٨م تنخفض أرضيته عن أرضية الظلة التى تحيط به، وقد بلطت هذه الأرضية بترابيع من البلاط الجيرى، ويتوسط الصحن حاليا مساحة مربعة يحددها سور قصير يعلوه سياج خشبى، يحيط بمجموعة من النباتات تتوسطها شجرة حناء قديمة، وقد كان يشتمل عند إنشائه على فوارة كانت مصنوعة من المرمر، غير أنها اندثرت ولم تصل إلينا، ويحيط بالصحن بائكة ثلاثية العقود على هيئة نصف دائرية، وتشرف الظلة المحيطة بالصحن من خلال هذه البائكة عليه[٦٤]. (شكل ٣٤)

جاءت الظلة بشكل متعامد فى التفافها حول الصحن ترتفع أرضيتها عن أرضية الصحن بمقدار درجة وتتقدم مساكن الطلبة بمقدار ٢م من كل جانب، وتمتد متصلة الأطراف عدا طرفى الركن الشرقى نظرا لوجود مصلى المدرسة، ويغطى امتداد هذه الظلة أقبية طولية نصف برميلية، أما عن تعامد أطرافها فيغطيها قباب صغرى ذات شكل دائرى عدا قبة الركن الشرقى حيث اتخذت شكلا بيضاويا.

أما مساكن الطلبة فقد جاءت تلتف حول الظلة، يبلغ عددها فى الضلع الشمالى الغربى من سبعة مساكن، وقد ميز المسكنين الركنيين بإتساعهما عن بقية المساكن، وهى خمسة جاءت متساوية، أحدهما يمتد من الشمال إلى الجنوب يتوصل إليه من الظلة، والآخر يمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب يتوصل إليه من خلال استطراق مكشوف بالركن الغربى للظلة، وفى الأضلاع الأخرى أوجد المعمار ثلاثة فى كل ضلع فقط ويعزى هذا لمشاركتها ملاحق أخرى ففيما يتعلق بالضلع الجنوبى الشرقى فيشتمل على مصلى فى ركنه الشرقى وعلى دركاة المدخل فى ركنه الغربى، وهى مربعة تفضى إلى الصحن، أما الضلع الشمالى الشرقى فيشتمل فى ركنه الشرقى على مساحة مربعة تؤدى إلى المصلى، كما استخدمت كمنفذ يؤدى إلى استطراق يؤدى بدوره إلى المدفن والحوش الجنائزى، أما الضلع الجنوبى الغربى فقد اشتمل على استطراقين بطرفيه أحدهما يؤدى إلى المسكن السابع الذى تقدم ذكره ويمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب، والآخر يؤدى إلى الميضأة ودورة المياه والمطبخ. (شكل ٣٤)

وقد جاء تخطيط هذه المساكن على شكل مستطيل يختلف امتداده وإتساعه من ضلع لآخر، وان كانت فى معظمها متقاربة، ويشتمل كل مسكن على فتحة مدخل يتوجه عقد نصف دائرى، ويغلق عليه باب خشبى من مصراعين، ويجاور كل منها نافذة مربعة يتوجها عتب أو عقد مستقيم، ويعلو كل باب ونوافذ هذه المساكن نافذة أخرى تقرب من السقف، وقد غطيت هذه المساكن بأقبية طولية نصف برميلية[٦٥].

والمصلى عبارة عن حجرة مربعة يبلغ طول ضلعها ٥م يتوسط ضلعها الجنوبى الشرقى المحراب، وهو عبارة عن حنية نصف دائرية ترتكز طاقيته على عمودين مدمجين، وتغطى المصلى قبة ترتكز على مثلثات كروية قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى، وتلاصق قبة المدفن المصلى وتتميز بأنها أكبر من قبة المصلى، أما قبة الدركاة فهى صغيرة، وتزدان هذه القباب بتفصيصات.

ويعد المدفن من أهم ملحقات المدرسة، ويذكر د. مصطفى[٦٦]. نجيب أنه من الممكن أن يكون إنشاء المدرسة كان لأجل الحاقها به، وهو يلاصق المصلي من

الجهة الجنوبية الغربية، وقد جاء تخطيطه على شكل مربع يبلغ طول ضلعه ٦م، ويشتمل كل ضلع فيه على نافذتين، ويتوصل إليه من مدخل يتوسط الضلع الشمالى الغربى، لذ جاءت نافذتى هذا الضلع أقل حجما من النوافذ الأخرى، وتشتمل أرضية هذا المدفن على اثنتى عشرة تركيبة قبر أكبرها قرب الركن الجنوبى وهى لعثمان باشا الساقزلى مؤسس المدرسة، ويذكر د. مصطفى[٦٧]نجيب أنه يلاحظ أن وحدة المحراب غير موجودة بهذا المدفن، وذلك تأثير مغربى، حيث امتنع المعمار عن إيجاد مثل هذه الوحدة على إمتداد تراب بلاد المغرب، وذلك لمعتقدات دينية، لا مثلما هو حادث بأضرحة ومدافن المشرق من إدخال وحدة المحراب عليها. أما الحوش الجنائزى فيلى المدفن، وهو منفصل عنه من خلال بلاطة ذات بائكة حجرية اتخذت كمقصورة جنائزية تشتمل على أربع تراكيب دفن بها ذوى المنزلة لدى المؤسس، وتخطيط الحوش من مساحة مستطيلة مكشوفة تشتمل على خمس تراكيب، وفكرة الروضة هنا أوجدها المعمار كما يذكر د. مصطفى[٦٨]نجيب كنوع من أعمال البر والصدقة التى كان هو وغيره من الواقفين لمثل هذه المنشآت يقومون بها لدفن من يلوذون بهم.

هوامش الفصل الخامس

(١) د. على مسعود : موسوعة، جـ٢، ص ١٣٩.

(٢) د. على مسعود : موسوعة، جـ٢، ص ١٣٩.

(٣) د. على مسعود : موسوعة، جـ٢، ص ١٤٢.

(٤) د. على مسعود : موسوعة، جـ٢، ص ١٤٢- ١٤٣.

(٥) د. على مسعود : موسوع، جـ٢، ص ١٤٥.

(٦) مزيد من التفاصيل عن ليبيا فى العصر الفاطمى انظر:

Hamdani Abbas : Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid Period University of Libya, Faculty of Arts, Libya in History Historical Conference 16-23 March, 1968, pp. 3-21.

(٧) Hamilton, James : Wanderings in North Africa, London, 1956, pp 188-189., Abdussaid, A.: Barqa, p. 126.

(٨) البكرى : المسالك، جـ٢، ص ٦٥٠.

تعد التربة الحمراء من أهم الترب المميزة لمنطقة شمال بنغازى، وتوجد بصفة خاصة فى كل إقليم البحر المتوسط، وخاصة فوق طبقات الصخور الجيرية.

د. سالم على الحجاجى : ليبيا الجديدة، دراسة جغرافية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ١٩٨٩، ص ٤٤.

(٩) هذه المقارنة من واقع الزيارة الميدانية، إلا أننى لم أتمكن من تصويره لظروف خارجة عن إرادتى.

(١٠) جاء فى الموسوعة الأثرية الليبية أن هذا المسجد يقع فى وسط حى تجارى نشيط، وقد قمت بزيارته عدة مرات أثناء تواجدى فى ليبيا وقمت بتصويره، وهو من المساجد التى تتبع الطراز المغلق أى تلك التى لاتشتمل على صحن، حيث غطى المسجد بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية، وترتكز القباب على عقود نصف دائرية

ترتكز بدورها على أعمدة رخامية، وتفصيل ذلك كما جاء فى الموسوعة أن المسجد يشتمل على عقود يبلغ عددها (٦٥) ترتكز من جهة على أعمدة رخامية يبلغ عددها (٣٠) ومن جهة أخرى على أكتاف يبلغ عددها (٣٠)، ويبلغ إرتفاع كل عمود حوالى خمسة أمتار بما فى ذلك القاعدة والتاج، والأعمدة مستجلبة من عمائر قديمة على الإسلام ذات تيجان كورنثية، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف صغير يتوجه عقد حدوى يرتكز على عمودين صغيرين، ويشتمل المسجد على أربعة أبواب، كما يشتمل على مئذنة مثمنة تشتمل بدورها على شرفة دائرية للاذان وتنتهى المنارة بقمة مخروطية على النسق العثمانى وترتفع المئذنة حوالى خمسة عشر مترا، ويوجد إلى الجنوب منها باب المسجد الخارجي الذى يفضى إلى سوق الظلام.

مزيد من التفاصيل انظر :

د. على مسعود البلوشى وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، جـ٢، ص ص ١٢١-١٢٤.

(١١) من الناحية الجغرافية تتمتع تركيا بموقع جغرافى هام، اذانها تمثل حلقة وصل بين الشرق والغرب، حيث تقع فى قارتين هما آسيا وأوربا، وتطل على بحر ايجه من الغرب، وعلى البحر المتوسط من الجنوب، وتمثل الأناضول القسم الآسيوى من تركيا، وهى على هيئة مستطيلة تقريبا تتكون من هضبة متوسطة يحيط بها من الشمال والجنوب والغرب حزام جبلى، بينما تكتنفها من الشرق منطقة جبلية متدرجة، وقد أدى تنوع السطح إلى تنوع كبير فى المناخ مما كان له أكبر الأثر فى تشكيل الفن السلجوقى.

تامارا تالبوت رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفى الخورى وإبراهيم الداقوقى، بغداد، ١٩٦٨م، ص ١٦١.، هدايت على تيمور : جامع الملكة صفية «دراسة أثرية معمارية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص ص ٢٩-٣٠.

(١٢) السلاجقة فرع من الأتراك الغز ينتسبون إلى سلجوق بن يقاق أو تقاق أو دقماق أحد رؤساء الأتراك، كانوا يقطنون سهل التركستان الغربية، ثم هاجروا منها حوالى عام ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥م إلى بلاد ما وراء النهر وخراسان نتيجة ظروف اقتصادية وسياسية، فى وقت كان العالم السلامى فيه ينقسم إلى ثلاث خلافات هى : العباسية فى بغداد، والفاطمية فى مصر، والأموية فى قرطبة، كما كانت تتنازعه عدة دول ودويلات اذكر منها على سبيل المثال السامانية والغزنوية والبويهية. ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، (١١

جزء)، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م، جـ٨، ص ٥٠٠، Goodwin, G: Ahistory of Ottoman Architecture, London, 1971, pp. 9-15., Teurkey, London, 1987, p. 237.

د. عبد النعيم محمد حسنين : دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م، ص ١٨.

(١٣) جاء تخطيط المسجد فى سيرت ٥٢٣ هـ/١١٢٩م من مساحة مستطيلة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب تشتمل على ثلاث قباب، يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب تفتح على بلاطتين ، وقد استخدمت الأقبية البرميلية إلى جانب القباب فى التغطية.

Bates, Ülkü : Architecture, Turkish Art, Edited by Esin Atil, Washington, New York, 1980, p. 48.

(١٤) يماثل تخطيط مسجد بتليس المسجد الجامع فى سيرت، حيث جاء من مساحة مستطيلة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب، قسمها المعمار إلى ثلاث بلاطات تمتد موازية لجدار القبلة، تغطيها أقبية برميلية، وتعلو المحراب قبة.

Kuran, A. : L'Architecture Seldjoukids en Anatolie, L'Arten Turquie, Officedu Livre, 1981, p. 88.

(١٥) مسجد ميافارقين (سيلوان) ٥٤٧ - ٥٥١هـ/١١٥٢-١١٥٧م جاء من مساحة مستطيلة تمتد أفقيا من الشرق إلى الغرب قسمها المعمار إلى أربع بلاطات موازية وتسع عمودية، وتتميز قبة المحراب بضخامتها، وتظهر على هذا النحو لأول مرة فى عمارة آسيا الصغرى.

voget, Göknil, U.: Grands Courants de L'Architecture Islamique, Mosquée, Chén, 1971, pp. 142-143.

(١٦) ميافارقين : ذكرها ياقوت فقال «أشهر مدينة بدياربكر، قالوا : سميت بميابنت لأنها أول من بناها، وفارقين هو الخلاف بالفارسية».

ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ٥، ص ٢٧٣.

(١٧) تشتمل مساحة المسجد المستطيلة على قبتين احداهما تعلو المحراب وهى الكبيرة، واستخدم المعمار الأقبية المدبية والمتقاطعة إلى جانب القباب فى التغطية.

اوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، الطبعة الأولى، استانبول، ١٩٨٧م، ص ٣٢.

(١٨) جامع الناقة : يقع هذا الجامع فى حى الفنيدقة وهو من أقدم الجوامع بمدينة طرابلس، وذكر أن هذا الجامع شيد فى أيام الخليفة المعز لدين الله الفاطمى عندما مر بطرابلس فى طريقه إلى القاهرة، وقد أشار إليه التجانى عند زيارته إلى طرابلس، ويشغل بيت الصلاة الجزء الشمالى من المسجد، وهو عبارة عن قاعة شبه مستطيلة يبلغ طول جدار القبلة بها ٢٥ر٣٩م والجدار المقابل له ٤٠ر٣٩م، بينما يبلغ طول الجدار الشمالى ٣٥ر١٩م والجدار الجنوبى الغربى ٣٠ر٢٠م، ويبلغ سمك الجدار حوالى ٤٠سم، ويتوسط المحراب جدار القبلة، أما المئذنة فهى عبارة عن برج مربع الشكل يبلغ إرتفاعها حوالى عشرة أمتار. مزيد من التفاصيل انظر:

د. على مسعود البلوشى وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٠، جـ١، ص ص ٣٩-٤٣.

(١٩) جامع الشيخ سالم المشاط : يقع هذا الجامع قرب خزان المياه الرئيسى وتطل واجهته الشمالية على شارع سالم المشاط وواجهته الغربية على زنقة سالم المشاط، ويوجد الجامع على هضبة أعلى من مستوى الشارع على ارتفاعات مختلفة، ويحتوى الجامع على مسجدين وتربة عامة وضريح وتربة خاصة، ويشغل المسجد مساحة مستطيلة مقسمة من خلال عمودين من الرخام إلى ستة أقسام مغطاة بست قباب، ويتوسط المحراب جدار القبلة، ويشتمل المسجد على منبر خشبى يتكون من سبع درجات تغطيه فى نهايته قبة خشبية ترتكز على أربعة أعمدة خشبية. مزيد من التفاصيل عن المسجد انظر:

د. على مسعود البلوشى : موسوعة الاثار، جـ١، ص ص ٤٤ - ٤٧.

(٢٠) جامع الدباغ : يقع هذا المسجد بشارع الدباغ بوسط مدينة طرابلس القديمة، وكان هذا الشارع إلى وقت قريب سوقا لصناعة الأدوات الجلدية وهو الآن منطقة تجارية، وقد تصدع المسجد وقامت هيئة الأوقاف العامة بإعادة بنائه فى عام ١٩٧٧م، يتوصل إلى المسجد من خلال مدخل رئيسى بشارع الدباغ ويتكون المسجد من بيت للصلاة وفناء صغير متصل بمدخل المسجد مباشرة وميضأة بالجانب الشرقى من الفناء، يتكون بيت الصلاة من قاعة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٥٠ر٥م، يتوسطها عمود واحد قصير من الحجر، ويغطى سقف المسجد أربع قباب نصف دائرية، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يحيط به اطار من أعلى من الزليج مربع الشكل يزدان بزخارف نباتية.

مزيد من التفاصيل انظر :

د. على مسعود البلوشي وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية، جـ١، ص ص ٩٢ - ٩٤.

(٢١) مسجد الشيخ عبد الوهاب : يقع هذا المسجد فى الجهة الشمالية الشرقية من جامع أحمد قورجى وقوس ماركوس أوريليوس، وقد كان ملاصقا لسور المدينة القديمة، وقد أجريت عليه عدة تعديلات، وقد أشار الرحالة التجاني إلى قبر عبد الوهاب القيس الذى يوجد خارج السور بين شرق وشمال، وقد هدم السور بعد الاحتلال الايطالي وبهذا يتضح أن المسجد لم يشيد فى الفترة التى زار فيها التجانى مدينة طرابلس، ويبلغ طول جدار المسجد الشمالى الغربى ٢ر٨م، وطول الجدار الشمالى الشرقى ١٦م، أما بيت الصلاة فيشغل مساحة مستطيلة أوجد المعمار عمودين فى وسطها من الرخام، مما جعل بيت الصلاة من ثلاثة أروقة أو بلاطات عمودية مغطاة بثلاثة أقبية، ومحراب المسجد بسيط الشكل، عبارة عن تجويف داخل جدار القبلة، ويشتمل المسجد على صحن ومئذنة. مزيد من التفاصيل انظر :

د. على مسعود وآخرون : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ٤٨-٥٠.

(٢٢) جامع درغوت : يقع جامع درغوت بمنطقة باب البحر يحده غربا شارع درغوت وجنوبا زنقة الحمام الصغير وشمالا شارع باب البحر، ويعد الجامع من أهم الجوامع بمدينة طرابلس، شيد الجامع على مساحة مستطيلة الشكل تتوسطها قاعة الصلاة وإلى الشمال والغرب منها توجد ساحة مكشوفة منها المئذنة التى بنيت على الطراز العثمانى، أما الميضأة فتوجد فى الركن الجنوبى الغربى، وخلف جدار القبلة أوجد المعمار حجرتين مربعتين، تغطى كل منهما قبة، وفى احداهما قبر درغوت باشا، وقد جاء تصميم بيت الصلاة على شكل حرف T، وقد قسم المعمار بيت الصلاة إلى ثلاثة أقسام، وتغطى هذه المساحة قباب ترتكز على أعمدة رخامية. مزيد من التفاصيل انظر:

د. على مسعود وآخرون : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ٦٠-٦٢.

(٢٣) مسجد قنابة : يقع هذا المسجد بشارع الغدامسى واشتهر باسم مسجد المفتى، ويقال عرف باسم ابن مقيل الذى كان خطيبا فيه، وفى رواية أخرى عرف باسم مفتى البلاد ولعله يكون ابن مقيل الذى تولى الافتاء بطرابلس أيام والى طرابلس محمد شائب العين، ويتكون المسجد من بيت للصلاة وميضأة، وقد جاء بيت الصلاة من قاعة صغيرة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٥م يغطيها قبة نصف دائرية، ويتوسط المحراب جدار القبلة.

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٢٤) مسجد النخلي : شيد هذا المسجد رمضان خازندار فى عام ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م كما هو مدون فى لوحة رخامية فوق مدخل المسجد، ويقع المسجد بشارع كوشة الصفار، وهو مسجد صغير يشتمل على مدخل معقود فى الجانب الشمالى الغربى، ويتكون من قاعة واحدة تشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٨م ويتوسط القاعة عمود يقسم القاعة إلى أربعة أقسام مغطاة بأربع قباب نصف دائرية.

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ١٢٦-١٢٨.

(٢٥) يقع جامع محمود وسط مدينة طرابلس القديمة، وتطل واجهته الرئيسية الشمالية الشرقية على شارع جامع محمود، والواجهة الشمالية الغربية على زنقة السراعى، أما الواجهة الجنوبية فتطل على شارع محمد زريق، انشأ هذا الجامع محود خازندار الذى كان أمينا للخزانة فى عهد والى طرابلس محمد الحداد الأناضولى، يتكون الجامع من مساحة مستطيلة تشتمل على بيت للصلاة من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤٢م تشتمل على عمود فى الوسط يقسم المساحة إلى أربعة أقسام مغطاة بأربع قباب، والمحراب بسيط الشكل يكتنفه عمودان صغيران من الرخام يزدان فى باطنه بزخارف نباتية، ويشتمل المسجد على منبر خشبى، أما المئذنة فتقع فى الركن الشمالى الغربى وتتكون من قاعدة مربعة ترتكز عليها أربعة جدران تميل إلى الداخل، ثم البدن الإسطوانى وتنتهى بقمة مخروطية على الطراز العثمانى، وتشتمل المئذنة على شرفة واحدة.

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ٧٤-٧٥.

(٢٦) مسجد بن صوان : يقع فى شارع كوشة الصفار، ويشتهر الآن باسم حواص لأنه كان إماما فيه، والمسجد بسيط التكوين يتكون من بيت للصلاة عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل يبلغ طولها ٩م وعرضها ٦م تشتمل على عمودين فى الوسط من الحجر، أما المحراب فيتوسط جدار القبلة، وهو بسيط الشكل عبارة عن تجويف داخلى يتوجه عقد حدوى يحيط به إطار من بلاطات القاشانى الملون

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٢٧) مسجد الشيخ الحطاب : يقع هذا المسجد فى نهاية زنقة كفالة، ويقع مدخل المسجد الخارجى فى الجانب الجنوبى منه ويفتح على شارع الشيخ الحطاب مباشرة، ويتكون بيت الصلاة من قاعة مستطيلة الشكل طولها حوالى ٩م تقريبا وعرضها ٦م ويوجد بوسط القاعة عمودان من الحجارة يكونان ثلاث بلاطات عمودية مغطاة بتسع قباب نصف دائرية، أما المحراب فيتوسط جدار القبلة تقريبا، وهو بسيط الشكل يكتنفه

عمودان، يرتكز عليهما عقد نصف دائرى، ويشتمل المسجد على ميضأة وكتاب وضريح عبارة عن مساحة مربعة تغطيها قبة نصف دائرية.

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ٥٥-٥٧.

(٢٨) د. صلاح أحمد البهنسى : العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول (٩٥٨ - ١١٢٣ هـ/١٥٥١-١٧١١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ - ١٩٩٤م، ج١، ص ١٩٦.

(٢٩) جامع شائب العين : يقع هذا الجامع بشارع سوق الترك، وقد شيده محمد باشا الملقب بشائب العين عندما تولي ولاية طرابلس، ويتكون من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٩م وذلك عند إنشائه، ثم أضيف إليه فيما بعد، وللجامع عدة مداخل، وقد جاء بيت الصلاة من أربع بلاطات تمتد بشكل عمودى على جدار القبلة، تغطيه قباب صغيرة، ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن تجويف يزدان بآيات قرآنية، أما المنبر فهو مصنوع من الرخام، وقد شيدت المئذنة على الطراز العثمانى، وهى تشتمل على شرفة واحدة.

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ٦٣-٦٨.

(٣٠) مسجد عبد الواحد الدوكالي : يقع هذا المسجد بمدينة مسلاتة بجهتها الغربية «بناحية الزعفران»، ويتكون من مجموعة من المنشآت، حيث يشتمل على بيت للصلاة وزاوية بخلاويها وضريح، وكان يدرس بتلك الزاوية العلوم الدينية من فقه وشريعة وتفسير وقرآن وأحاديث نبوية، وكان من شيوخ هذه المدرسة الشيخ عبد الواحد الدوكالى وهو من أصل مغربى نزح أهله من بلد دوكالة بالمغرب وسكنوا مدينة مسلاتة، واشتهر هذا الشيخ فى تلك الفترة وتتلمذ على يديه العديد من الشيوخ، وقد توفى هذا الشيخ ودفن بضريحه القائم أمام بيت الصلاة، بذلك يرجع بناء المسجد والزاوية لفترة حياة الشيخ عبد الواحد الدوكالى أو قبله بقليل الذى عاش بالنصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى وبداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى.

مزيد من التفاصيل عن عمارة المسجد انظر :

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ٢١٧-٢٢٣.

(٣١) جوميث مورينو : الفن الإسلامى فى إسبانيا، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفى عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ٢٥٢.

(٣٢) Abdussaid, A. : Barqa, P. 124.

(٣٣) Schacht, Joseph.: Ein Archaischen Minaret Type in Agypten and Anatolien, ARS Islamica, Michigan, 1938, pL11, I Ann.

(٣٤) د. على مسعود : موسوعة، جـ٢، ص ١٦.

(٣٥) د. على مسعود : موسوعة، جـ٢، ص ١٦.

(٣٦) البكرى : المسالك، جـ٢، ص ٦٥١.

(٣٧) التجانى : رحلة، ص ٢٥٣.

(٣٨) د. صلاح البهنسى : العمارة الدينية، ص ٢٣٢، لوحة ٦٦.

مسجد ابن سليمان : يقع مسجد ابن سليمان بشارع ابن سليمان ويدعى كذلك باسم أبى الخير، ويرجع المسجد إلى العصر العثمانى الأول، ويوجد المدخل الرئيسى فى الجدار الشمالى، ويشتمل المسجد على بيت للصلاة عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل ويبلغ طولها ٩٠ر٥م وعرضها ٧٢ر٥م تتكون من بلاطتين، وتغطى القاعة ست قباب ترتكز على أعمدة قصيرة من الحجارة ويقع المحراب فى منتصف جدار القبلة، وهو بسيط الشكل عبارة عن تجويف داخل جدار القبلة، أما المئذنة فتوجد على يمين الداخل يتوصل إليها من خلال حجرة من الخشب بها سلم يؤدى بدوره إلى المئذنة.

د. على مسعود : موسوعة الآثار، جـ١، ص ص ١١٧- ١١٨.

(٣٩) ابن منظور : لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، جـ١، ص٥٣.

(٤٠) ابن منظور : لسان العرب، جـ١، ص٥٣.،

Creswell (K.A.C.) : The evolution of the Minaret, Bur Lington, (Magazine) Mars, Mai, Juin, 1926, P.I., Abu Seif (D.B.) : The Minarets of Cairo, The American University in Cairo Press, 1985, P. 11., Bloom. Jonathan.: Minaret Symbol of Islam, Published by Oxford University Press, pp. 29-31.

(٤١) مزيد من التفاصيل عن نشأة المئذنة فى المدينة المنورة وتطور عمارتها، راجع رسالتنا للدكتوراه.

د. عبد الله كامل موسى عبده : تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٤٢) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٦١٧.

(٤٣) د. السيد عبد العزيز سالم : المآذن المصرية (نظرة عامة على أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى)، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ص ٩.

(٤٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، مج٨، ص ٤٢٠.

(٤٥) السمهودى : وفاء الوفا، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، جـ٢، ص ٥٣٠.

(٤٦) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، جـ١، ص ٨٨.

(٤٧) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، بيروت، ص ٧٩.

(٤٨) السمهودى : وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٣٠.

(٤٩) البلاذرى : فتوح البلدان، ص ٣٤٣.

(٥٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ١٣١.

(٥١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ٢٣٣.

(٥٢) د. فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٦٤٠.

(٥٣) ابن منظور : لسان العرب، جـ١، ص ٩٣.، د. حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، ص ص ٢٢-٢٥.

(٥٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩٧.

(٥٥) البكرى : المسالك ، جـ٢، ص ٦٥١.

(٥٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، جـ٦، ص ٦٣١.، د. محمد بركات البيلى : استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد «التاسع الهجرى»، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب بمقره فى القاهرة ٢٥-٢٦ رجب ١٤١٨هـ/٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ص ١٠١-١٠٢.

(٥٧) التجاني : رحلة، ص ٢٥٣.

(٥٨) د. عيسى سلمان وآخرون : العمارات العربية الإسلامية في العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، ص ٦٨.

(٥٩) مزيد من التفاصيل انظر:

د. محمد حمزة إسماعيل الحداد : قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك - دراسة حضارية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، الجزء الأول، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٦٠) د. محمد حمزة : قرافة القاهرة، ص ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(٦١) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان بطرابلس الغرب الساقزلي والكاتب، دراسة أثرية معمارية، مجلة الآثار.

(٦٢) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان، ص ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٦٣) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان، ص ١٤٨.

(٦٤) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان، ص ١٤٩.

(٦٥) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان، ص ص ١٥٠ - ١٥١.

(٦٦) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان، ص ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٦٧) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان، ص ١٥٤.

(٦٨) د. مصطفى نجيب : مدرستان مستقلتان، ص ص ١٥٤ - ١٥٥.

بيان الأشكال واللوحات

أولاً - الأشكال :

ثانياً - اللوحات :

لوحة (٩) الجدار الغربى بمسجد المدينة (تصوير الباحث).

لوحة (١٠) فتحات القسم الشمالى من الجدار الغربى (تصوير الباحث).

لوحة (١١) الجدار الشمالى الغربى وقسم من الميضأة بمسجد المدينة (تصوير الباحث).

لوحة (١٢) صهريج مسجد المدينة (تصوير الباحث).

لوحة (١٣) محراب المسجد العتيق بمدينة درنة (تصوير الباحث).

لوحة (١٤) مئذنة جامع الحاكم الغربية.

لوحة (١٥) مئذنة مشهد أبى الغضنفر أسد الفائزى.

لوحة (١٦) مئذنة جامع الحاكم الشمالية.

لوحة (١٧) مئذنة اسنبغا البوبكرى.

لوحة (١٨) تفصيل من الطابق الأسطوانى فى مئذنة اسنبغا.

لوحة (١٩) مشهد القباب السبع فى الفسطاط.

الخاتمة

وبعد فهذه دراسة لمدينة برقة (المرج حاليا) فى العصر الإسلامى تناولنا فيها الجوانب المختلفة للمدينة وما حولها من مدن وقرى تابعة لإقليم برقة، وهى المدينة التى ازدهرت ازدهارا عظيماً فى القرون الأربعة الأولى للهجرة، ومن أبرز العوامل التى ساعدت على ذلك موقعها الجغرافى واستقرار الحكم الإسلامى فيها منذ دخلها المسلمون بقيادة عقبة بن نافع الفهرى من قبل والى مصر عمرو بن العاص، حيث غدت منذ ذلك الوقت قاعدة أساسية لجيش المسلمين فى غرب مصر تستقر فيها وتنطلق منها الجيوش الإسلامية الوافدة من الحجاز ومصر لمواصلة الفتوحات الإسلامية فيما يليها غربا، كما اسهمت بدور بارز فى استقرار الفتوحات الإسلامية فى المغربين الأوسط والأقصى قبل وبعد تشييد القيروان، وهو الأمر الذى ساعد كثيرا على إنتعاش الحركة التجارية فازدهرت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ازدهاراً عظيماً خلال تلك الفترة، حيث ظلت علاقة برقة التجارية فى العصر الإسلامى مع مصر من جهة، وبقية البلاد فى شرق وغرب العالم الإسلامى من جهة أخرى على ما كانت عليه من ازدهار فى الفترات القديمة، ومن ثم ظلت برقة حلقة وصل بين أقاليم المشرق والمغرب فيما يتعلق بالنواحى التجارية، كما أدى ارتباط برقة بمصر بروابط سياسية ودينية إلى أن تكون معبرا للحضارة الإسلامية الوافدة من شرق العالم الإسلامى ومصر إلى ما يليها غربا من البلاد.

ونظرا لارتباط برقة بمصر من الناحيتين السياسية والجغرافية قبل العصر الإسلامى كان لابد من القاء الضوء على المدينة وأحوال أفريقية قبل العصر

الإسلامى، فتطرقنا إلى لفظ أفريقية، ثم تحديد لفظ المغرب وسكان أفريقية، ثم الأحوال السياسية والحضارية والدينية، وذلك فى الفصل الأول من الكتاب. هذا وقد تناول الكتاب فى الفصل الثانى فتح برقة وطرابلس وفزان ولايات ليبيا الثلاث، ثم أهمية موقع برقة، كما تناول الأسماء التى أطلقت على المدينة قبل العصر الإسلامى وبعده فى دراسة جديدة، خاصة فيما يتعلق باسم المرج الذى يطلق على المدينة حاليا، كذلك تناول الفصل طبيعة أهل برقة ودورها فى استقرار الفتوحات الإسلامية فى المغربين الأوسط والأقصى.

وفى الفصل الثالث تناول الكتاب برقة فى كتاب الجغرافيين والرحالة المسلمين فى العصور الوسطي، حيث كان لهذه الكتابات دور هام وبارز فى كشف العديد من أوجه الحياة فيها : سياسيا وجغرافيا، وتاريخيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وعمرانيا، ومن الجغرافيين والرحالة الذين ذكروا برقة اليعقوبى، وابن خرداذبه، والاصطخرى، وابن حوقل، والمقدسى، والبكرى، والإدريسى، وياقوت الحموي، وابن سعيد، والعبدرى، وأبو الفدا والحشائشى.

وفى الفصل الرابع تناول الكتاب الآثار الدارسة وتتمثل فى الاستحكامات الحربية والعمائر الدينية، وضريح الصحابى رويفع بن ثابت الأنصارى والآراء التى دارت حوله.

أما الفصل الخامس فقد اهتم بعمل دراسة أثرية معمارية لمساجد مدينة المرج (برقة)، وهى أول دراسة متخصصة تتناول تخطيط هذه المساجد وعناصرها المعمارية والزخرفية فى ضوء المؤثرات البيئية من جهة، والدراسات المقارنة مع مثيلاتها فى مواقع المنطقة الشرقية من ليبيا بشكل خاص، وبقية أرجاء ليبيا بشكل عام من جهة أخرى.

وتتمثل الدراسة الأثرية فى دراسة ميدانية تسجيلية لثلاثة مساجد هى الشيخ حمد الشتيوى والمدينة والزاوية، وقد تم توصيفها توصيفا أثرياً، ورفعها رفعا معمارياً دقيقاً، ثم تصويرها فى دراسة تفصيلية تعد الأولى من نوعها، ثم تناول

الفصل السمات العامة المميزة لمساجد مدينة المرج، وهى الدراسة التى شملت مادة البناء، والتخطيط، والتغطيات، والأعمدة والعقود، والواجهات بما تشتمل عليه من مداخل ونوافذ وفتحات، والمآذن، وأخيراً قام الباحث بعمل دراسة مقارنة بين هذه المساجد ومثيلاتها فى داخل وخارج الجماهيرية لحصر التأثيرات الوافدة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر :

● ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم) ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣م:

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، (بدون تاريخ).

- الكامل في التاريخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (١١ جزء)، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

● ابن بطوطة:

- رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

● ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) المتوفى في حدود ٣٠٠ هـ :

- المسالك والممالك (ويلية نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (بدون تاريخ).

● ابن أبي دينار القيرواني :

- المؤنس في تايخ أفريقية وتونس، تونس، ١٢٨٦ هـ/ ١٨٦١ - ١٨٦٢.

● ابن سعد :

- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).

● ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن الليث المصري) ت ٢٥٧ هـ/ ٨٦٧ م:

- فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٢م.

● ابن عذارى :
- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق .ح.س كولان و أ. ليفى. بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

● ابن غلبون :
- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧م.

● ابن منظور :
- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (بدون تاريخ).

● الاصطخرى (ابن اسحق ابراهيم بن محمد) (النصف الأول من القرن الرابع) :
- المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

● البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م:
- المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م.

● البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م:
- فتوح البلدان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

● التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)
- رحلة التجانى (تونس - طرابلس ٧٠٦/٧٠٨ هـ)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١.

● الحشائشى (محمد بن عثمان التونسى) :
- رحلة الحشائشى إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تحقيق على مصطفى المصراتى، دار لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.

● الحميرى (محمد بن عبد المنعم) ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م:
- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

- **السمهودى:**
  - وفاء الوفا، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- **العياشى (عبد الله بن محمد بن أبى بكر):**
  - ماء الموائد (الرحلة ليبيا - طرابلس وبرقة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، (بدون تاريخ).
- **القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م:**
  - صبح الأعشى فى صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومى (بدون تاريخ).
- **المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله) ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م:**
  - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- **المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م:**
  - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- **الناصرى (أبو العباسى أحمد بن خالد):**
  - الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصرى، محمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
- **ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م:**
  - معجم البلدان ، طهران، ١٩٦٥م.
  - المشترك وضعا المفترق صقعا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.
- **يحيى بن الحسين:**
  - غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ثانياً - المراجع العربية :

- **د. إبراهيم العدوى :**
  - مصر الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، (بدون تاريخ).
- **حسن خليفة، حسين مراد، أحمد إبراهيم :**
  - تاريخ العرب فى أفريقية والأندلس، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.
- **د. حسين مؤنس :**
  - فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، (بدون تاريخ).
- **د. سالم على الحجاجى :**
  - ليبيا الجديدة، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ١٩٨٩م.
- **د. السيد عبد العزيز سالم :**
  - المآذن المصرية (نظرة عامة على أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى)، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، (بدون تاريخ).
  - تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (بدون تاريخ).
- **د. صلاح أحمد البهنسى :**
  - العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول (٩٥٨ - ١١٢٣هـ/ ١٥٥١ - ١٧١١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ - ١٩٩٤م.
- **د. عبد اللطيف محمود البرغوثى :**
  - تاريخ ليبيا الإسلامى من الفتح حتى بداية العصر العثمانى، الجامعة الليبية، دار صادر، دار بيروت، (بدون تاريخ).
- **د. عبد الله كامل موسى عبده :**
  - تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة منذ الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى - دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع، ١٩٩٥م.

● د. عبد النعيم محمد حسنين :

- دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.

● د. عصام الدين الفقى :

- تاريخ المغرب والأندلس، نهضة الشرق، (بدون تاريخ).

● على سالم لترك :

- مدينة توكرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

● د. على مسعود البلوشى وآخرون :

- موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الآثار، ليبيا، (بدون تاريخ).

● د. عيسى سلمان وآخرون :

- العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م.

● د. فتحى أحمد الهرام :

- التضاريس والجيومورفولوجيا، الدار الجماهيرية، سرت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

● د. فريد شافعى :

- العمارة العربية فى مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

● د. محمد بركات البيلى :

- استيلاء الفاطميين على مصر وبلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد - التاسع الهجرى، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب بمقره فى القاهرة ٢٥-٢٦ رجب ١٤١٨هـ/ ٢٥-٢٦ نوفمبر ١٩٩٧م، القاهرة، ١٩٩٧م.

● د. محمد حسين المرتضى :

- أهم المعالم الأثرية الإسلامية بمنطقة الجبل الأخضر (مجلة آثار العرب، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا، العدد الثالث، ١٩٩١م.

- طلائع الفتح الإسلامى فى ليبيا وجهاد زهير البلوى ورويفع الأنصارى، البيضاء، ١٩٩٢م.

● د. محمد حمزة الحداد :

- قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك، دراسة حضارية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، الجزء الأول ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

● د. محمد عبد الهادى شعيرة :

- الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية (ليبيا فى التاريخ - المؤتمر التاريخى ١٦ - ٢٣ مارس ١٩٦٨م)، الجامعة الليبية، كلية الآداب، ١٩٦٨م.

● محمد على دبوز :

- تاريخ المغرب الكبير، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

● د. محمد محمد زيتون :

- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

● د. محمد يوسف نجم، د. إحسان عباس :

- ليبيا فى كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م.

● هدايت على تيمور :

- جامع الملكة صفية «دراسة أثرية معمارية»، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.

ثالثاً - المراجع الأجنبية المعربة :

- **أنتوري روسي :**

- ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- **أوقطاي أصلان آبا :**

- فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

- **تامارتالبوت رايس :**

- السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، بغداد، ١٩٦٨م.

- **جوميث مورينو :**

- الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (بدون تاريخ).

- **شارل فيرو :**

- الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

رابعاً - المراجع الأجنبية :

* **Abdussaid, Abdul Hamid.:**

- Barqa Modern El-Merj, Estrattoaa "Libya Antiqua", Vol. VIII, The Department of Antiquities, Tripoli, 1971.

* **Abu Seif (D.B.):**

- The Minarets of Cairo, The American University in Cairo Press, 1985.

* **Bates, Ülkü :**

- Architecture, Turkish Art, Washington, New York, 1980.

* **Bloom, J.:**

- Mainaret Symbolof Islam, Published by Oxford University Press.

* **Creswell (K.A.C.):**

- The Evolution of the Minaret, Burlington, *Magazine) Mars, Mai, Juin, 1926.

* **Goodwin, G.:**

- A History of Ottoman Architecture, London, 1971.
- Turkey, London, 1987.

* **Hamilton, James.:**

- Wandering in North Africa, London, 1956.

* **Hmdani, Abbas.:**

- Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid Period, University of Libya, Faculty of Arts, Libyain History, Historical Conference 16-23 March, 1968.

* **Kuran, A.:**

- L'Architecture Seldjou rkids en Anatolie, L'Art en Turquie, Officedu Livre, 1981.

* **Schacht, Joseph.:**

- Ein Archaischen Minaret - Type in Agypten und Anatolien, ARS Islamica, Michigan, 1938.

* **Voget, Göknil.:**

- Grands Courants de L'Architecture Islamique, Mosquée, chéne, 1975.

بحوث وكتب صدرت للمؤلف

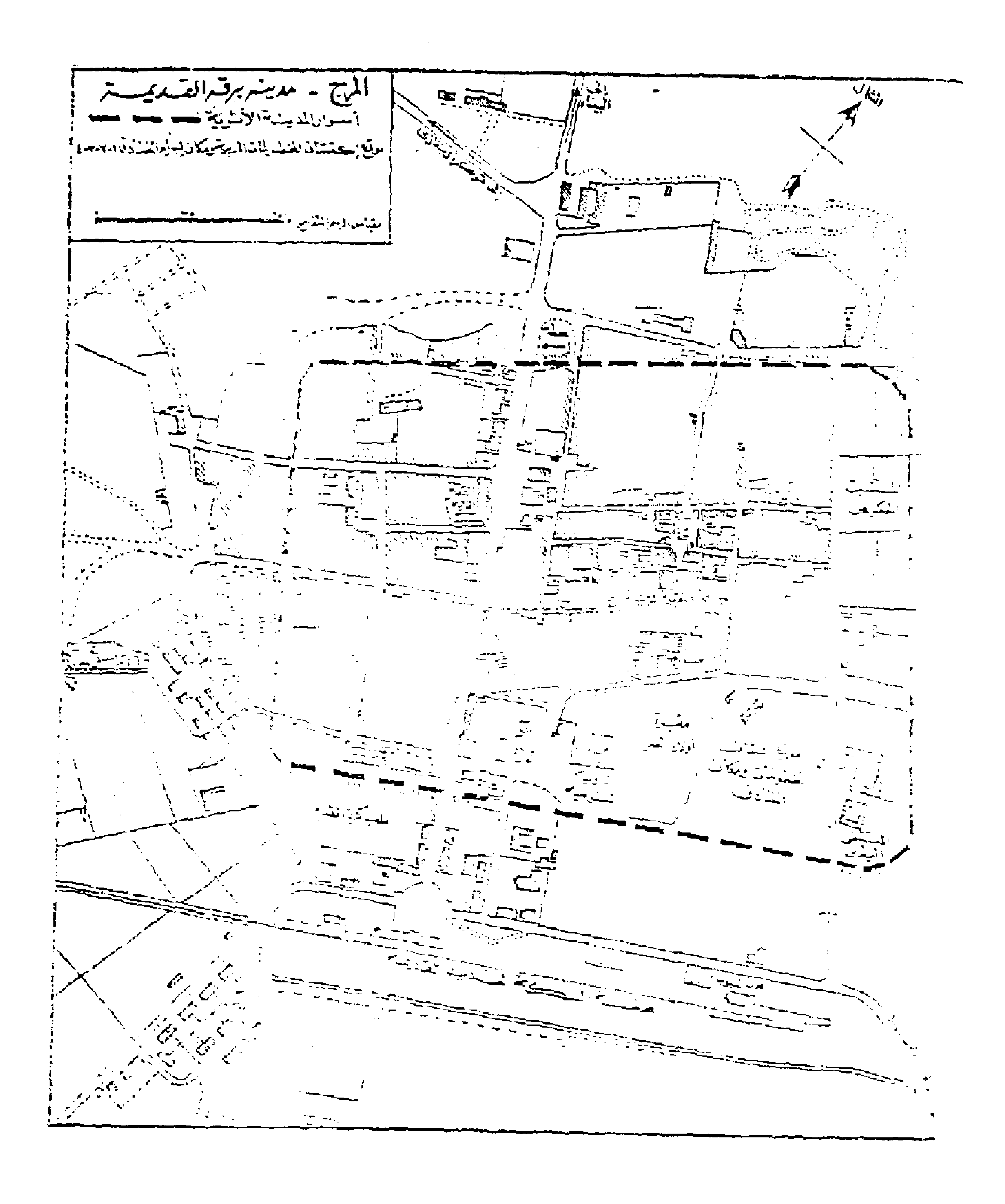
أولاً - البحوث :

- الجامع الكبير بصنعاء «رؤية تاريخية أثرية فيما أثير حول عمارة الرواق الشرقى»، مجلة الأكليل، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- متنزه سرياقوس فى العصر المملوكى، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد الثالث، ١٩٩٤م.
- الاستحكامات الحربية بالثغور المصرية فى عصر الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد الرابع، ١٩٩٥م.
- أضواء جديدة على بعض منشآت امراء المماليك فى القرنين السابع والثامن للهجرة (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد) منشآت الأمير الجاولى وسلار فى مصر والشام، مجلة المؤرخ العربى، العدد الرابع، المجلد الأول، مارس ١٩٩٦م.
- دراسة أثرية وثائقية للمنصورة منذ نشأتها وحتى نهاية القرن السابع عشر، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ١٩٩٧م.
- منزل وقف السادات الوفائية «دراسة أثرية وثائقية، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد السابع، ١٩٩٧م.
- المبخرة . . من روائع العمارة الإسلامية، مجلة المنهل، العدد ٥٥٠، المجلد ٩٠، العام ٦٤، يونية ١٩٩٨م.
- سلطنة عمان فى كتابات الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى، مجلة المنهل، العدد ٥٥٩، المجلد ٦١، العام ٦٥، يوليو وأغسطس ١٩٩٩م.

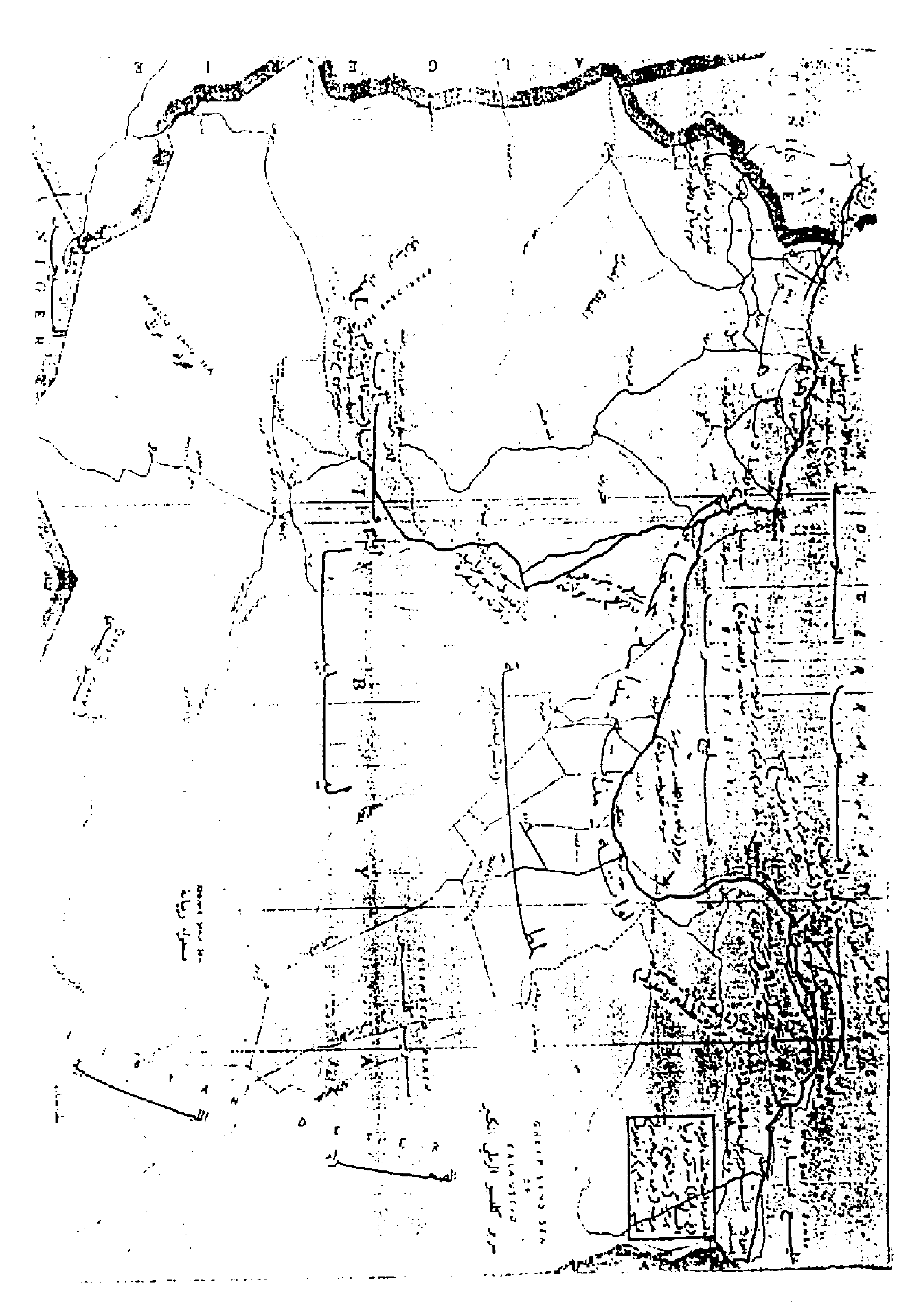
ثانياً - الكتب :

* The Fatimid Architecture in Cairo, G.E.B.O., 1996.

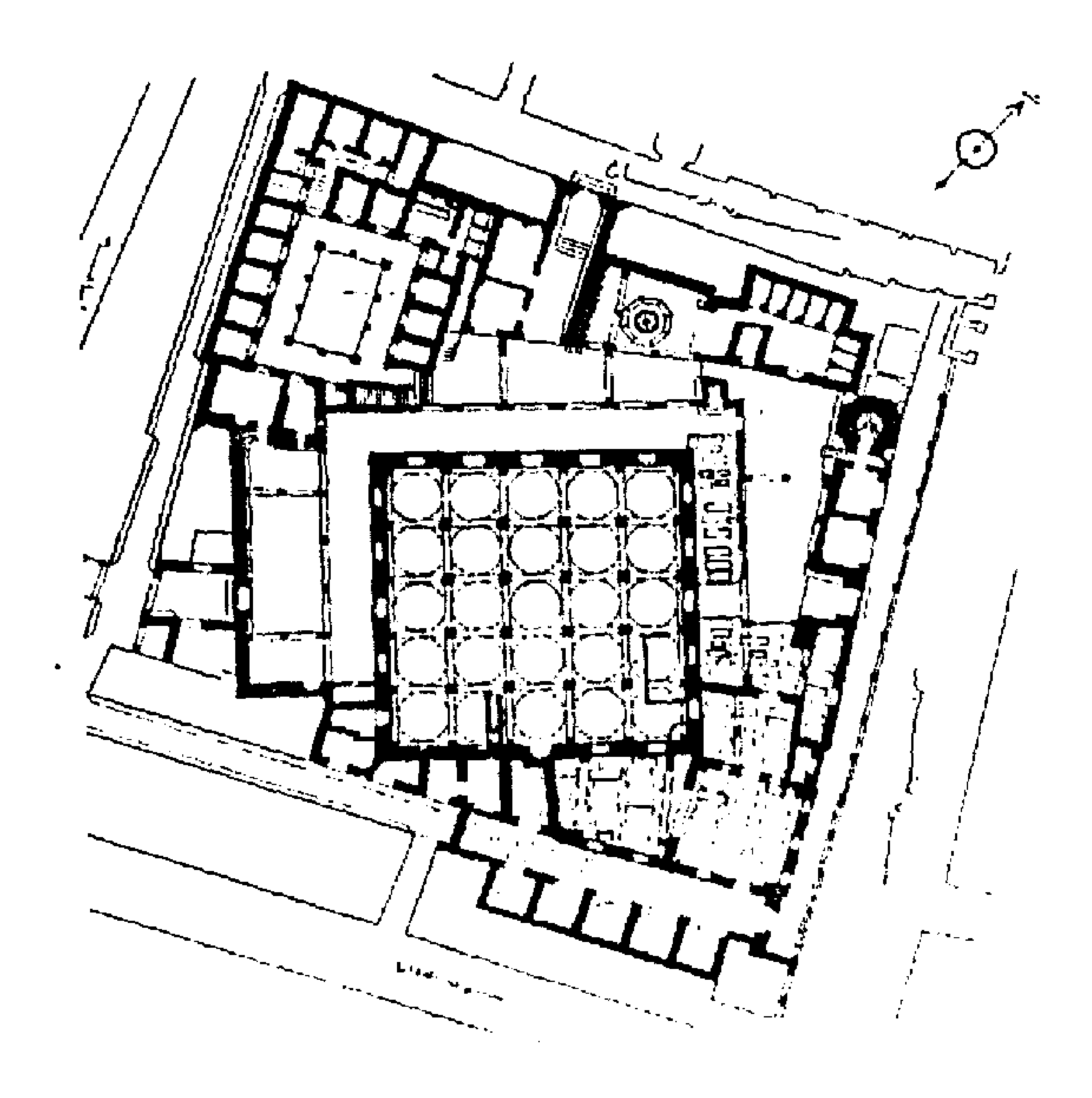
● المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى - تحت النشر.



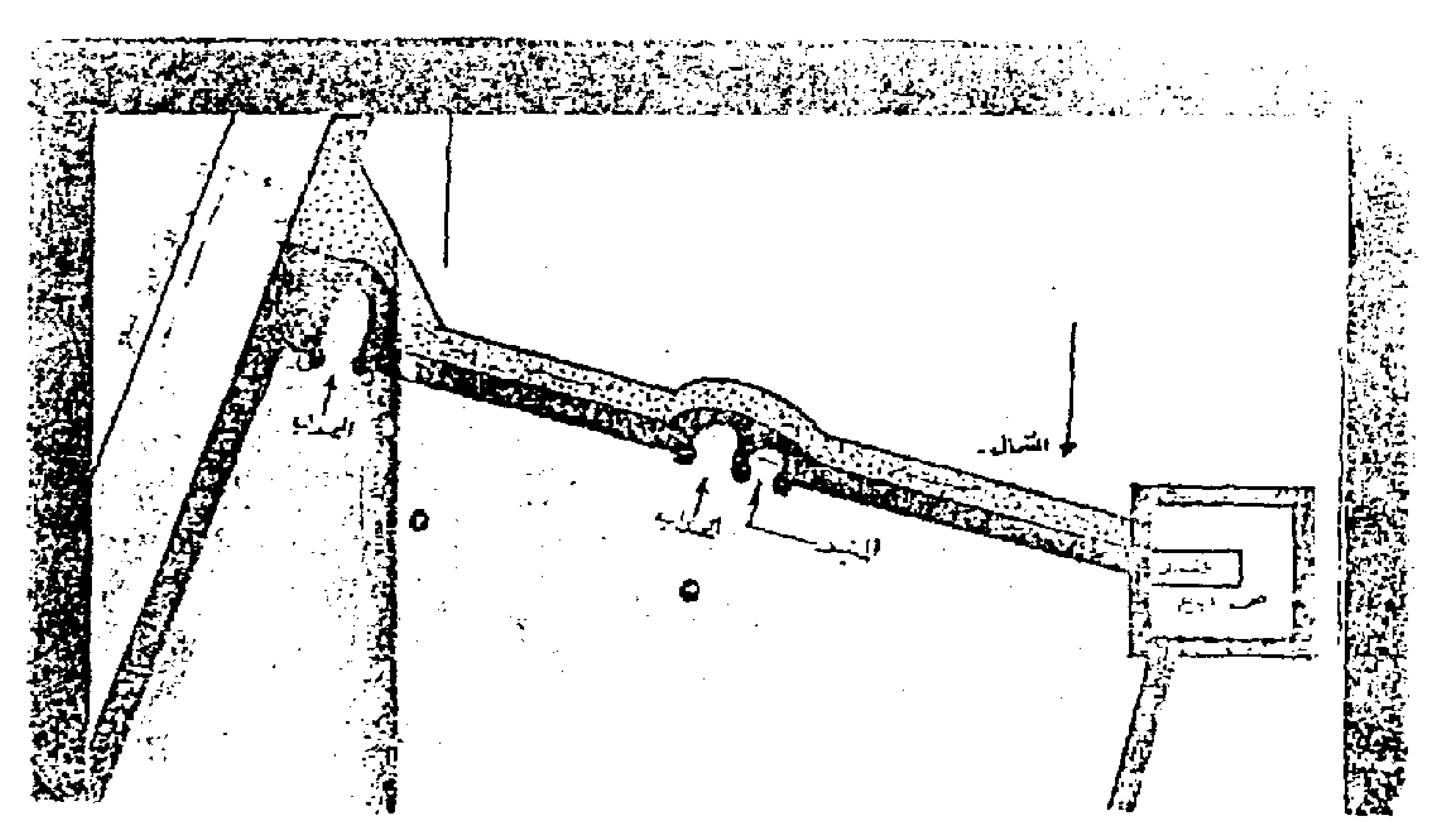
شكل(١)   مدينة المرج القديمة عن عبد الحميد عبد السيد.



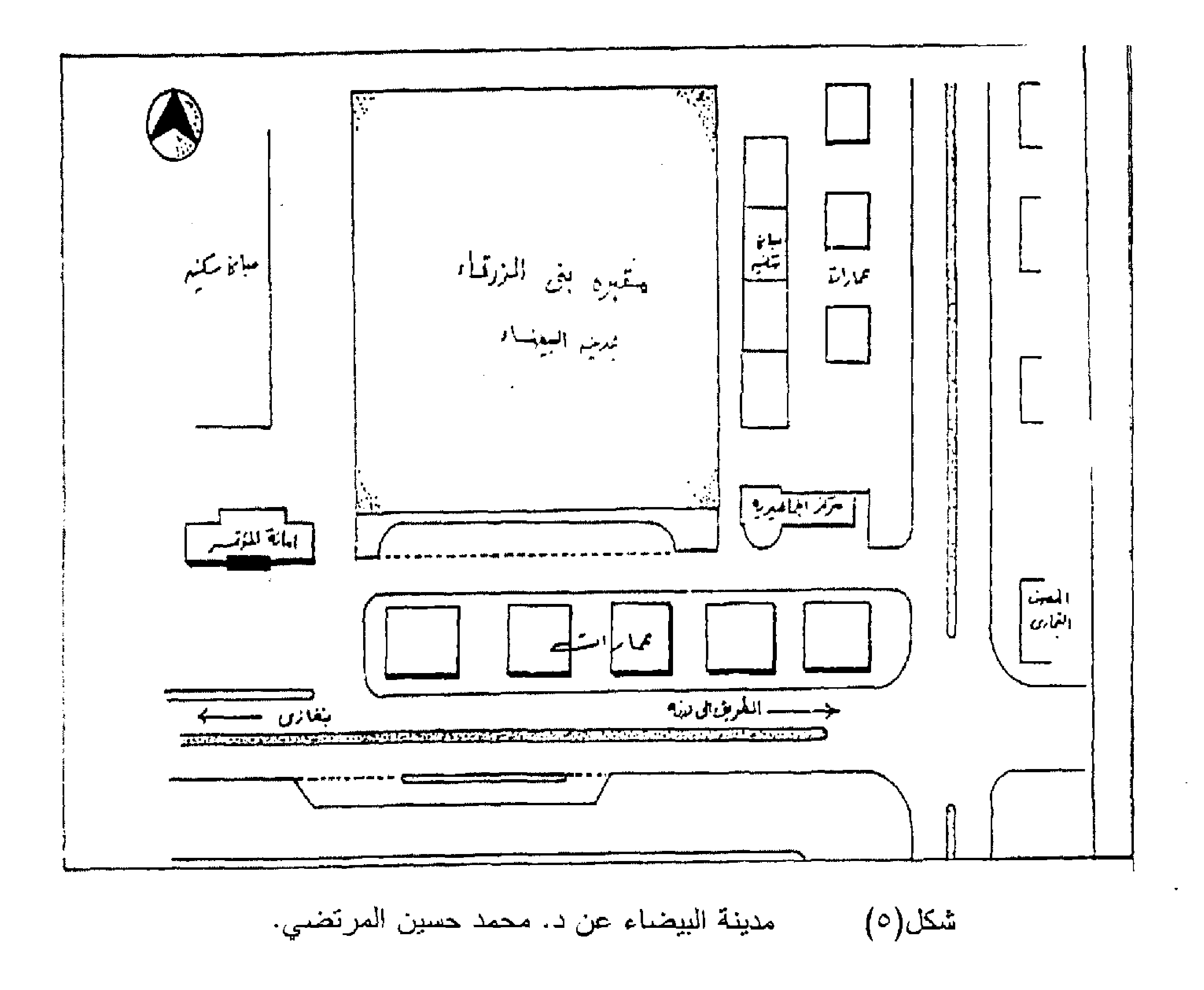
شكل(٢) سكان ليبيا عند اليعقوبي عن د. عبد القادر أحمد طليمات.



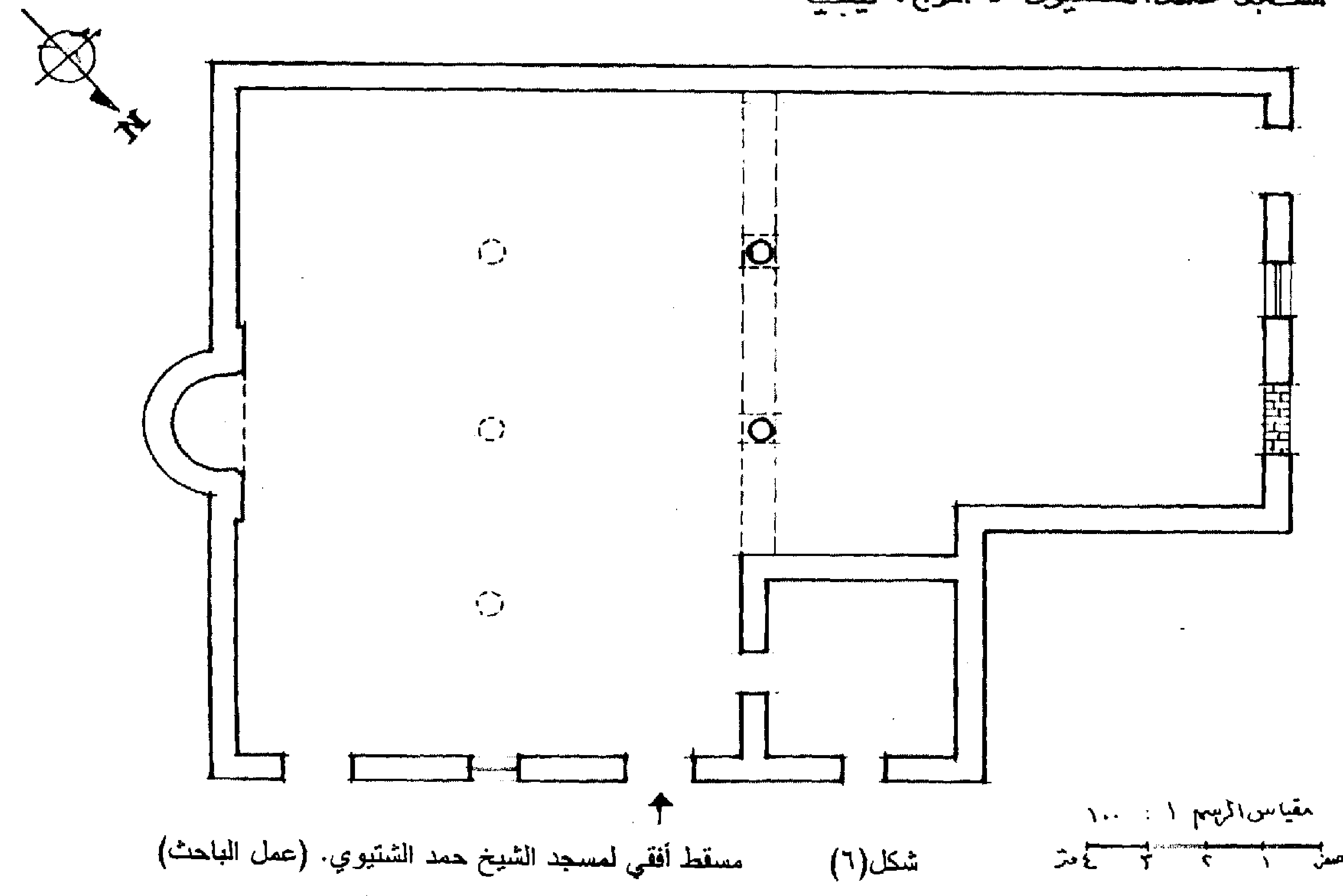
شكل(٣) مسقط أفقي لمسجد أحمد باشا بطرابلس عن الموسوعة (الجزء الأول).



شكل(٤) البقايا القديمة بمسجد عقبة بن نافع بغدامس عن الموسوعة (الجزء الثاني)



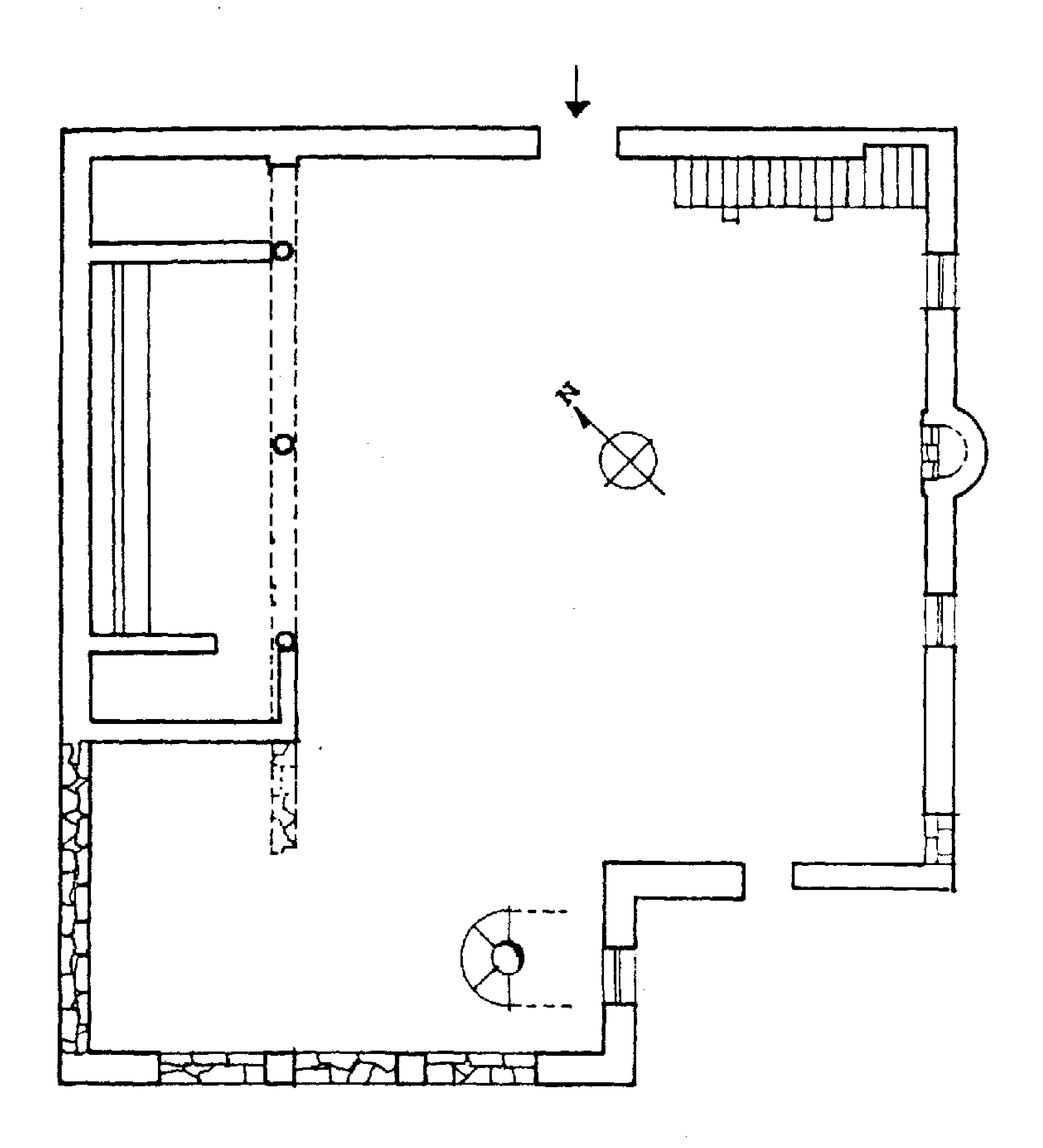
شكل(٥)   مدينة البيضاء عن د. محمد حسين المرتضي.



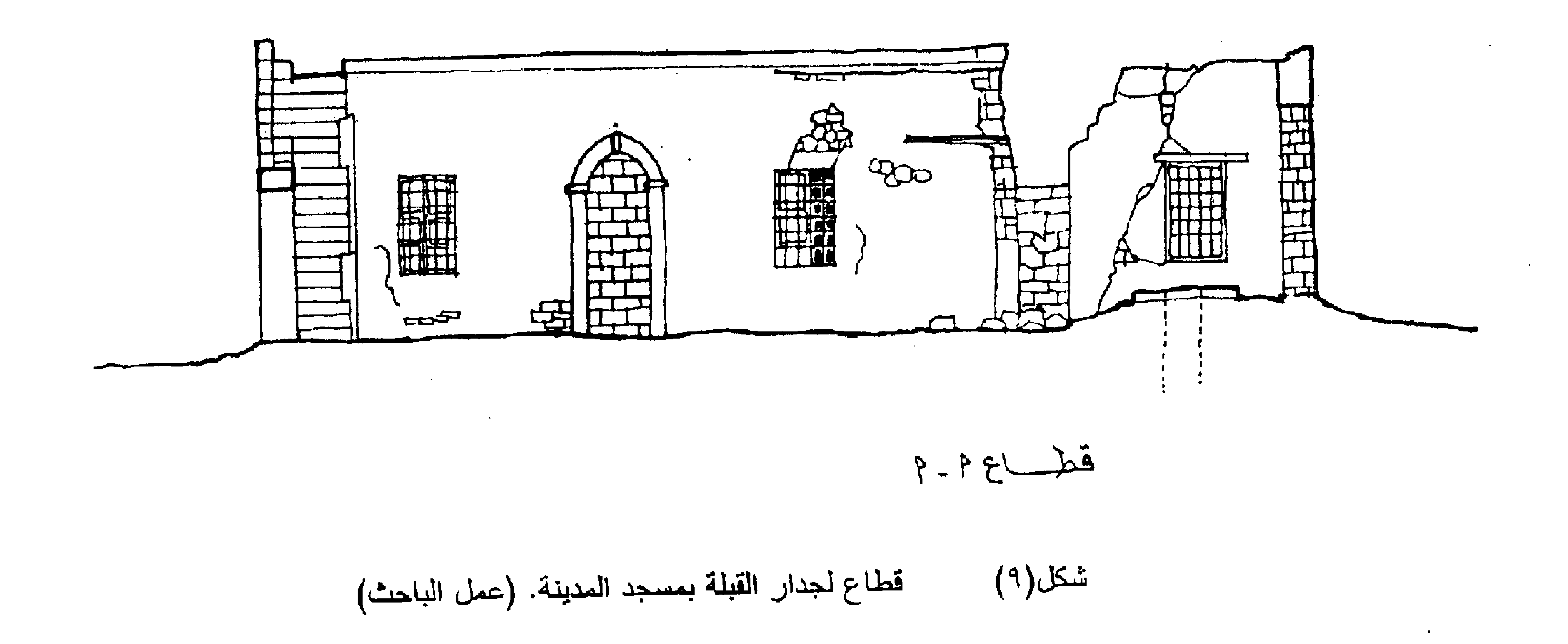
شكل(٦) مسقط أفقي لمسجد الشيخ حمد الشتيوي. (عمل الباحث)



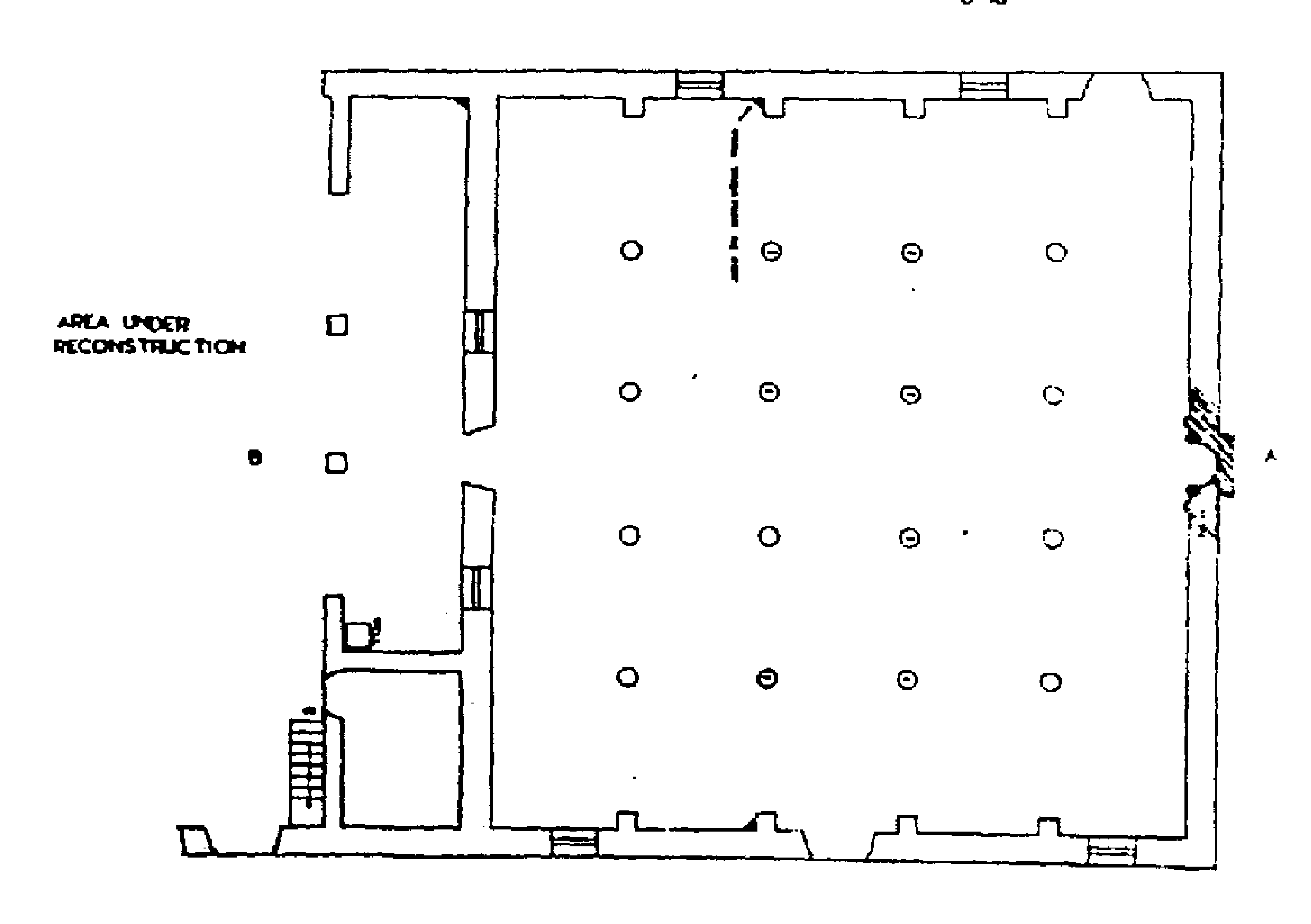
شكل(٧)　　　منظور لواجهة مسجد حمد الشتيوى العمومية. (عمل الباحث)



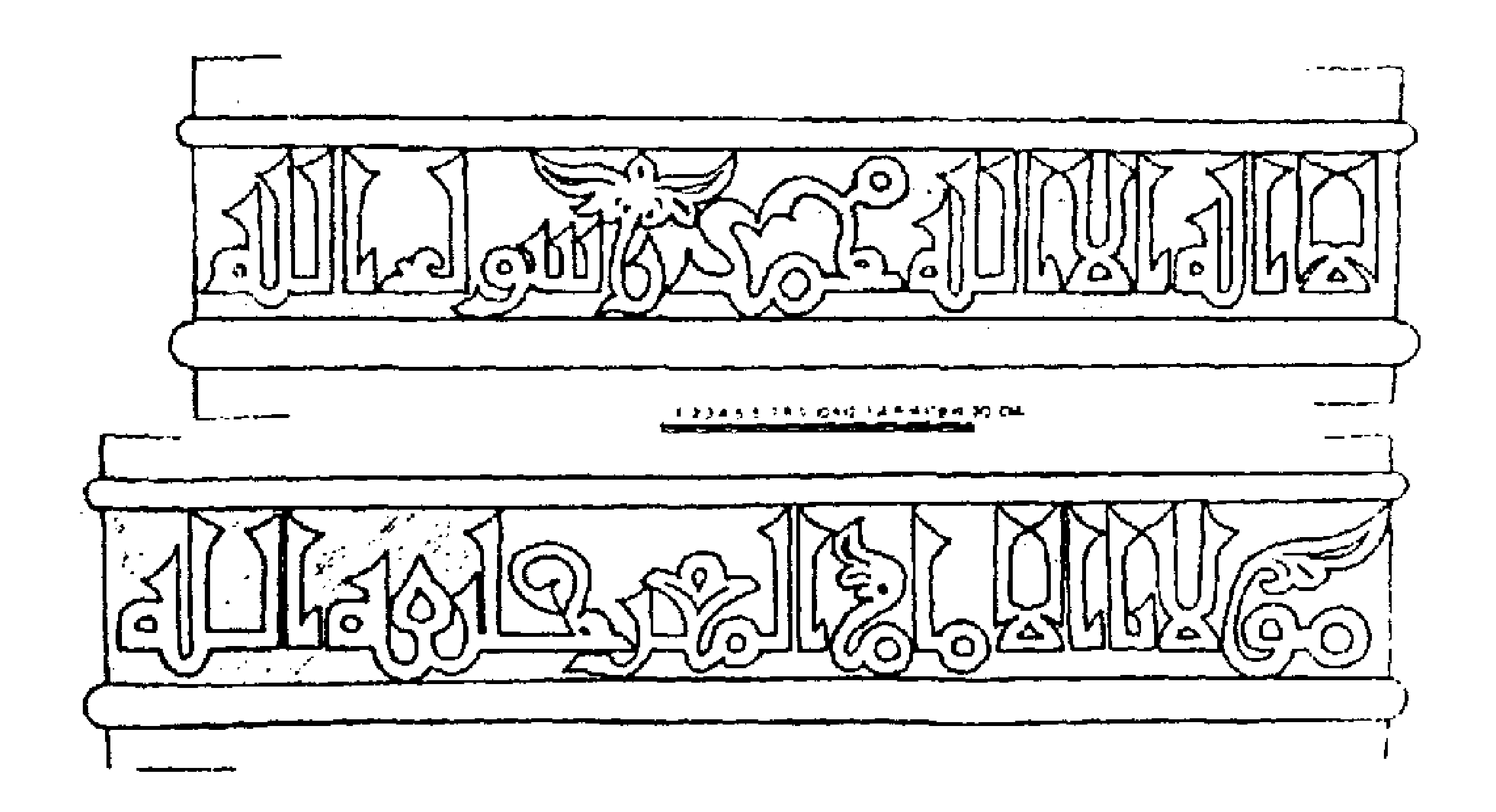
شكل(٨) مسقط أفقي لمسجد المدينة. (عمل الباحث)



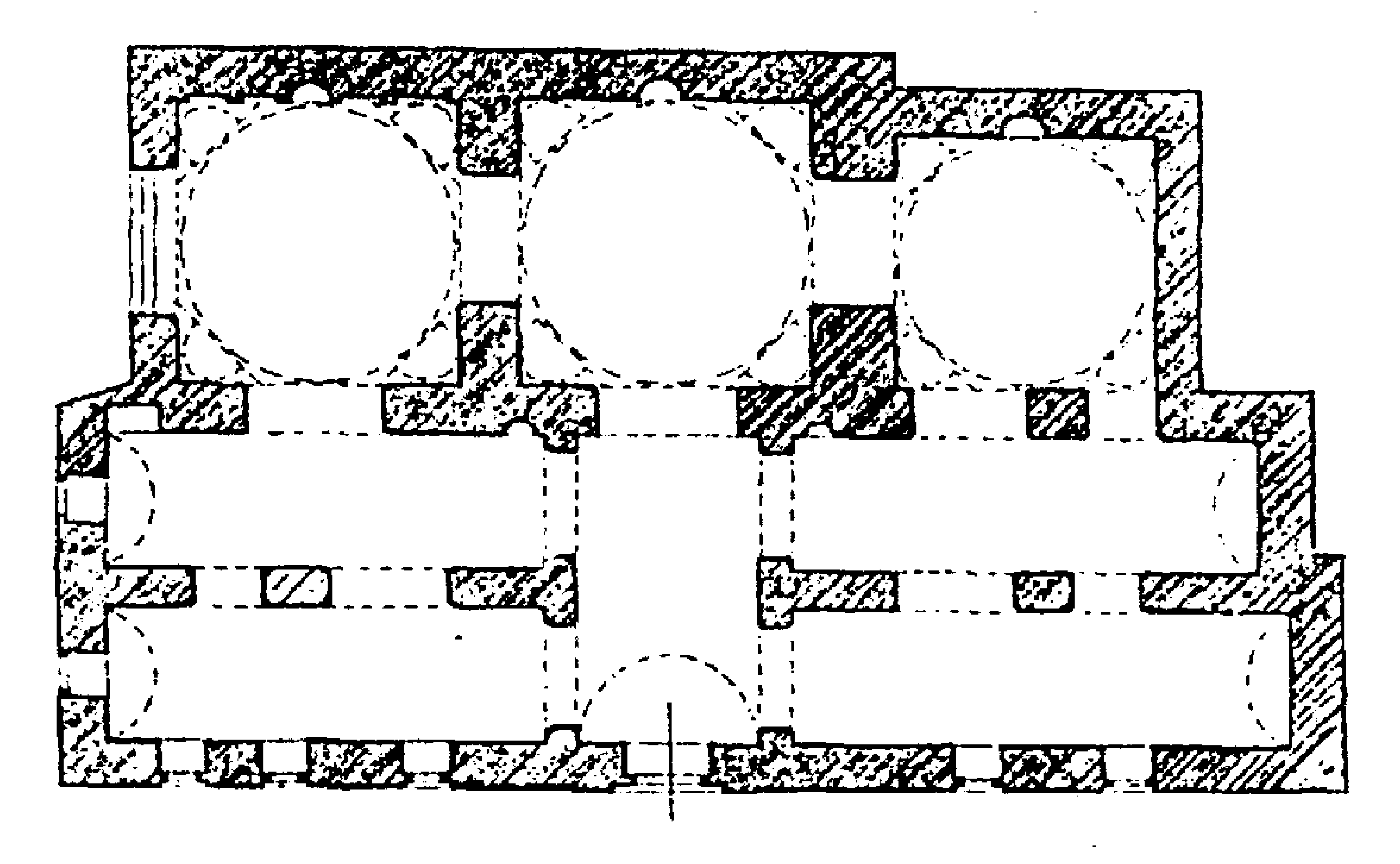
شكل(٩) قطاع لجدار القبلة بمسجد المدينة. (عمل الباحث)

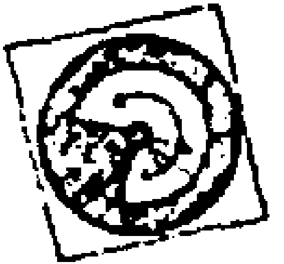


شكل(١٠)   مسقط أفقي لمسجد الزاوية. عن عبد الحميد عبد السيد



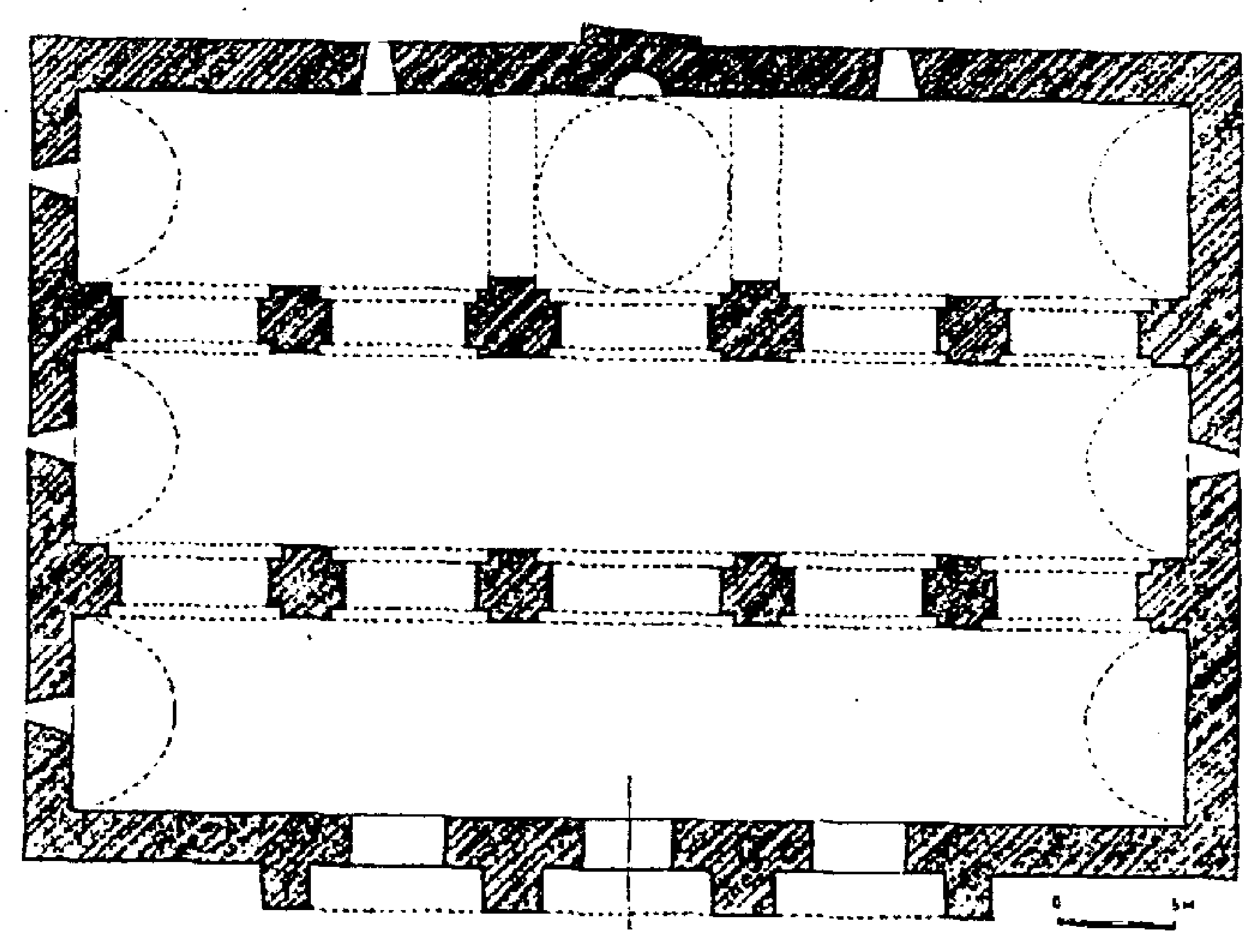
شكل(١١)   كتابات كوفية من مسجد الزاوية عن عبد الحميد عبد السيد



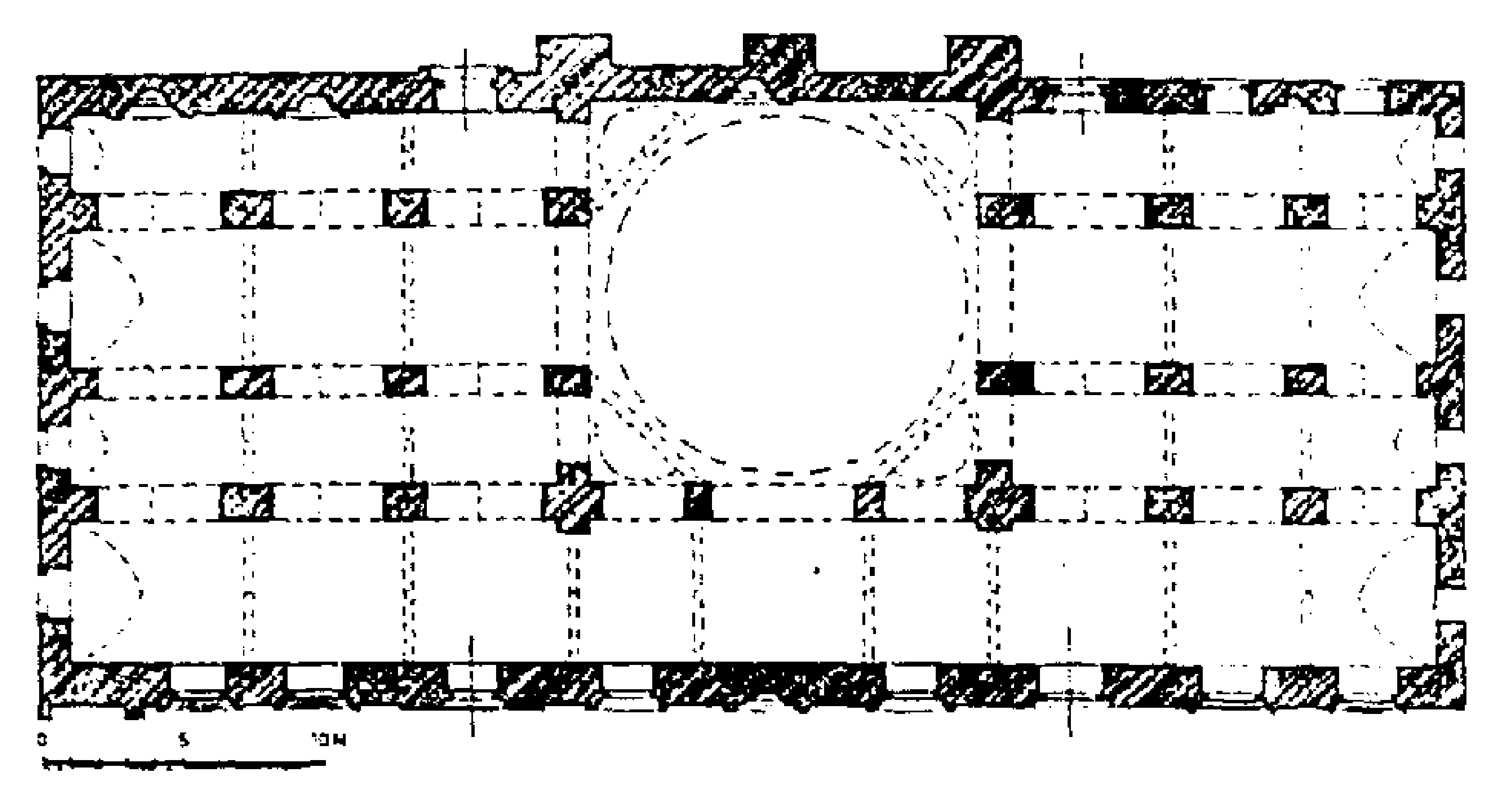


0 1 2 3M

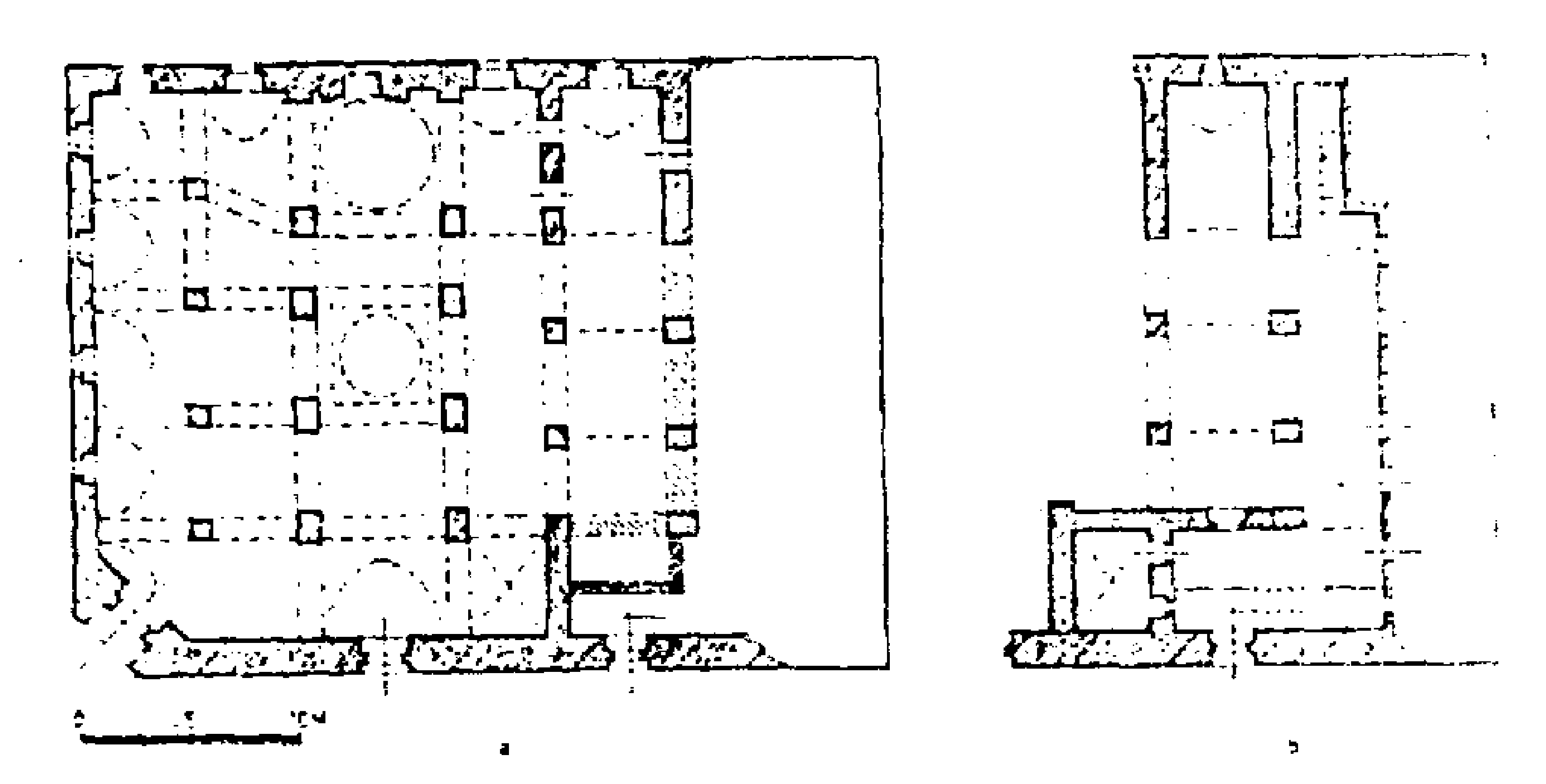
شكل(١٢) مسقط أفقي لمسجد سيرت عن أصلان آبا.



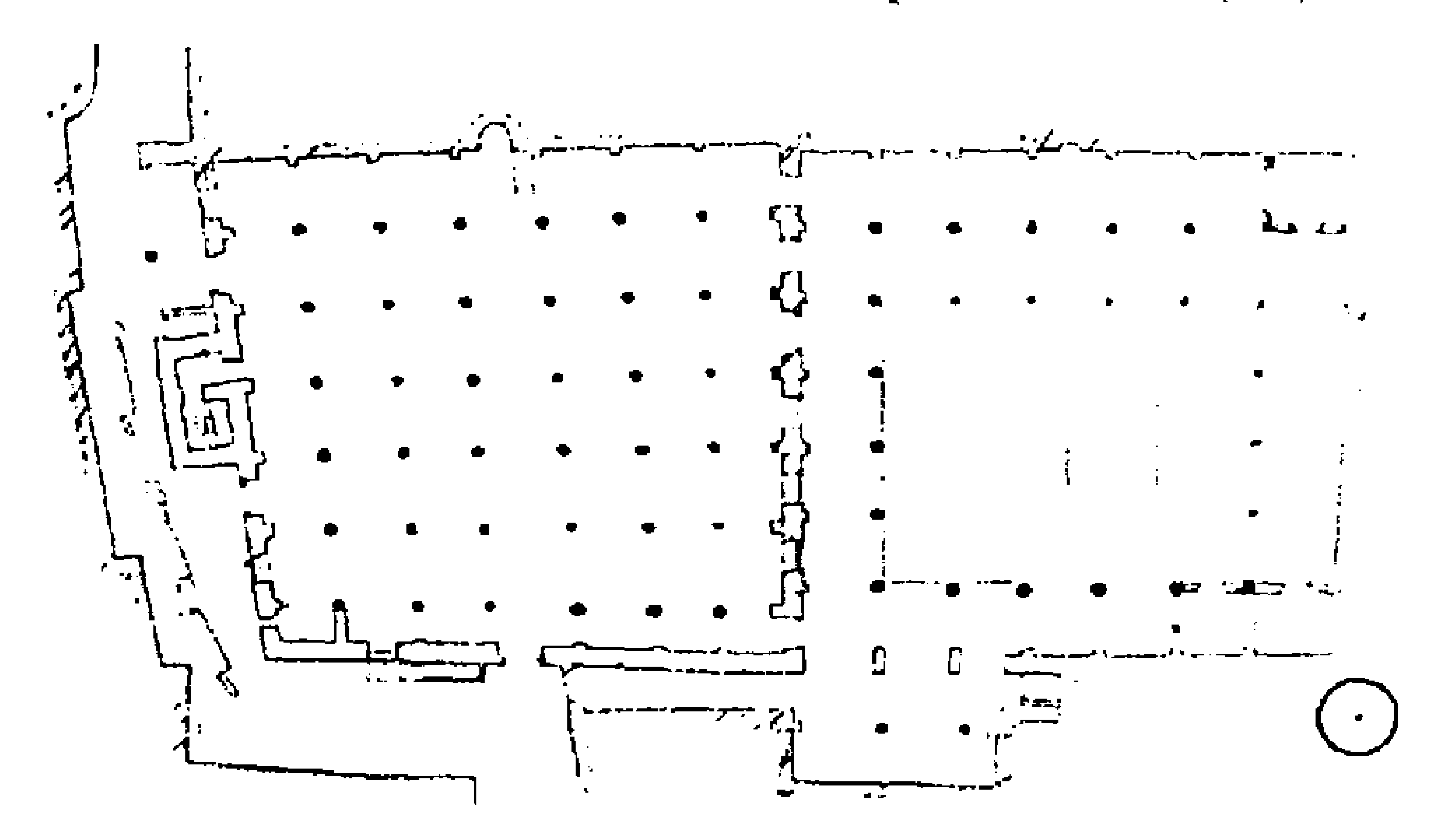
شكل(١٣) مسقط أفقي لمسجد بتليس عن آصلاناب .



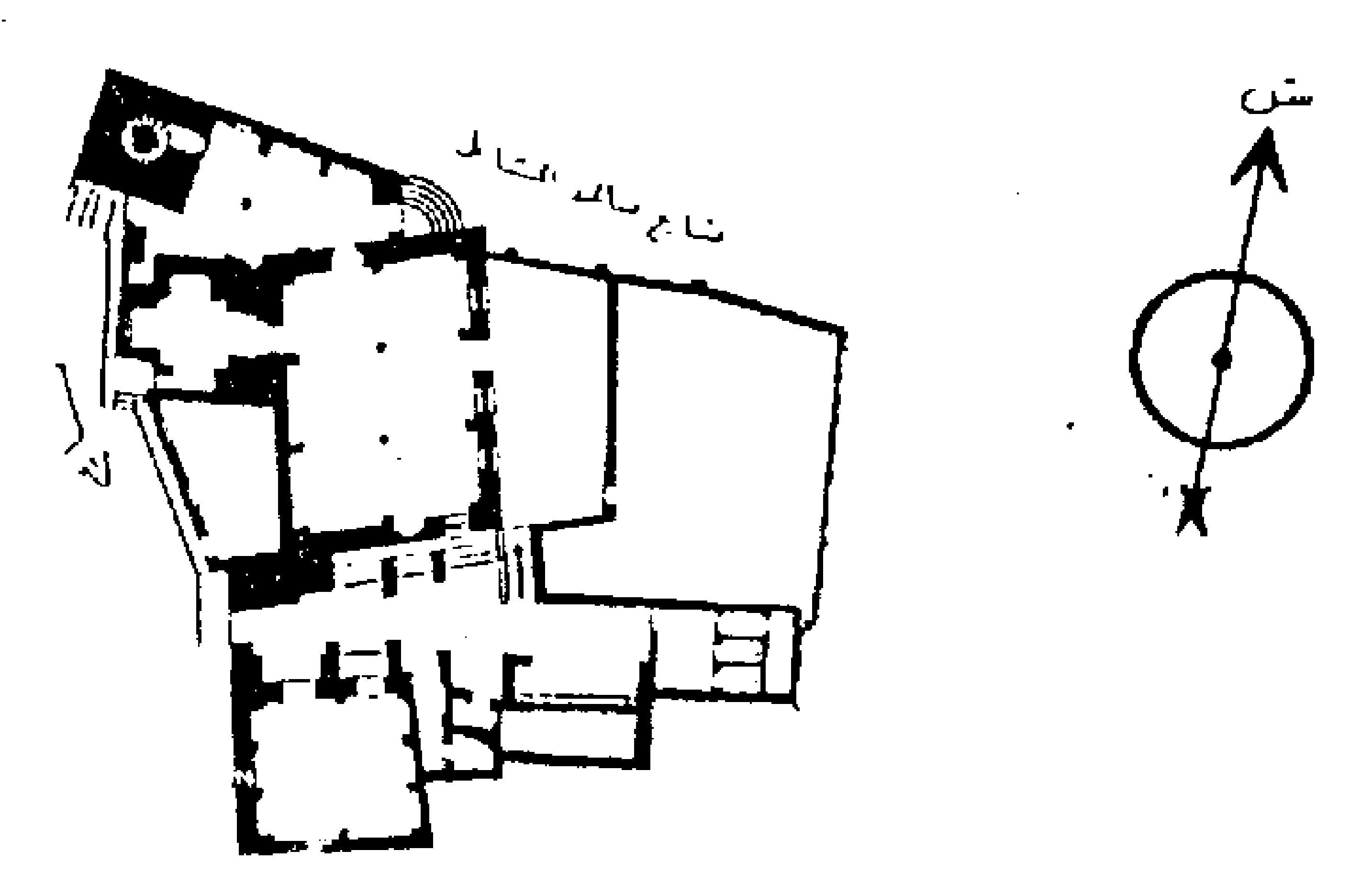
شكل(١٤)　　مسقط أفقي لمسجد ميافارقين عن أصلان آبا.



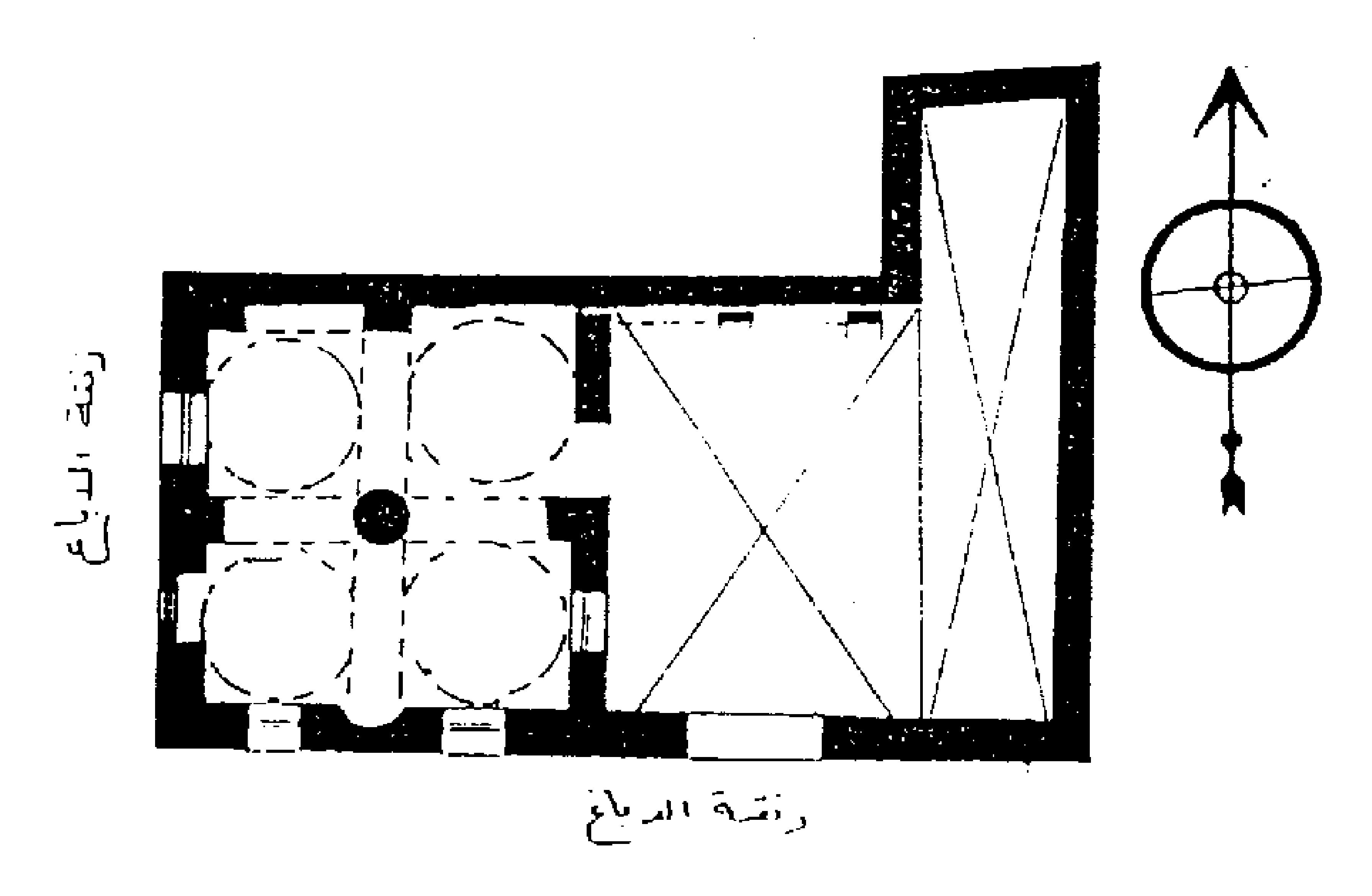
شكل(١٥)　　مسقط أفقي لمسجد كولوك عن أصلان آبا.



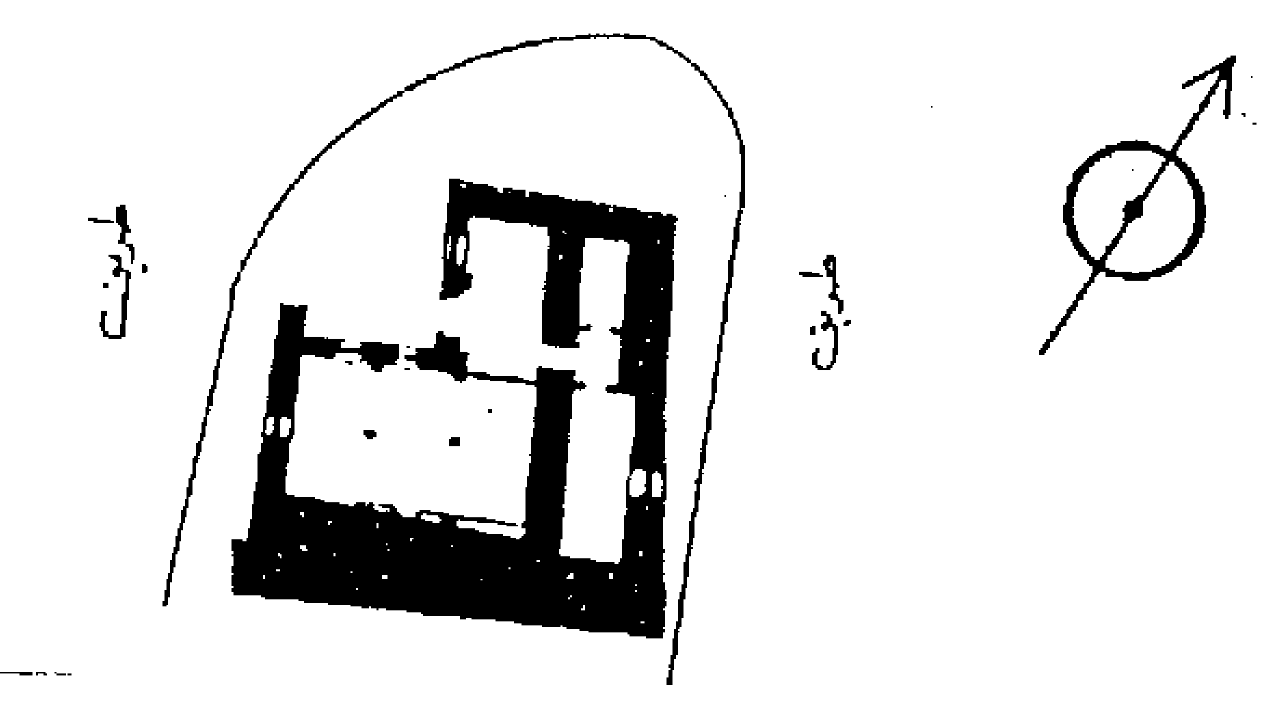
شكل(١٦)　　مسقط أفقي لجامع الناقة عن الموسوعة (الجزء الأول).



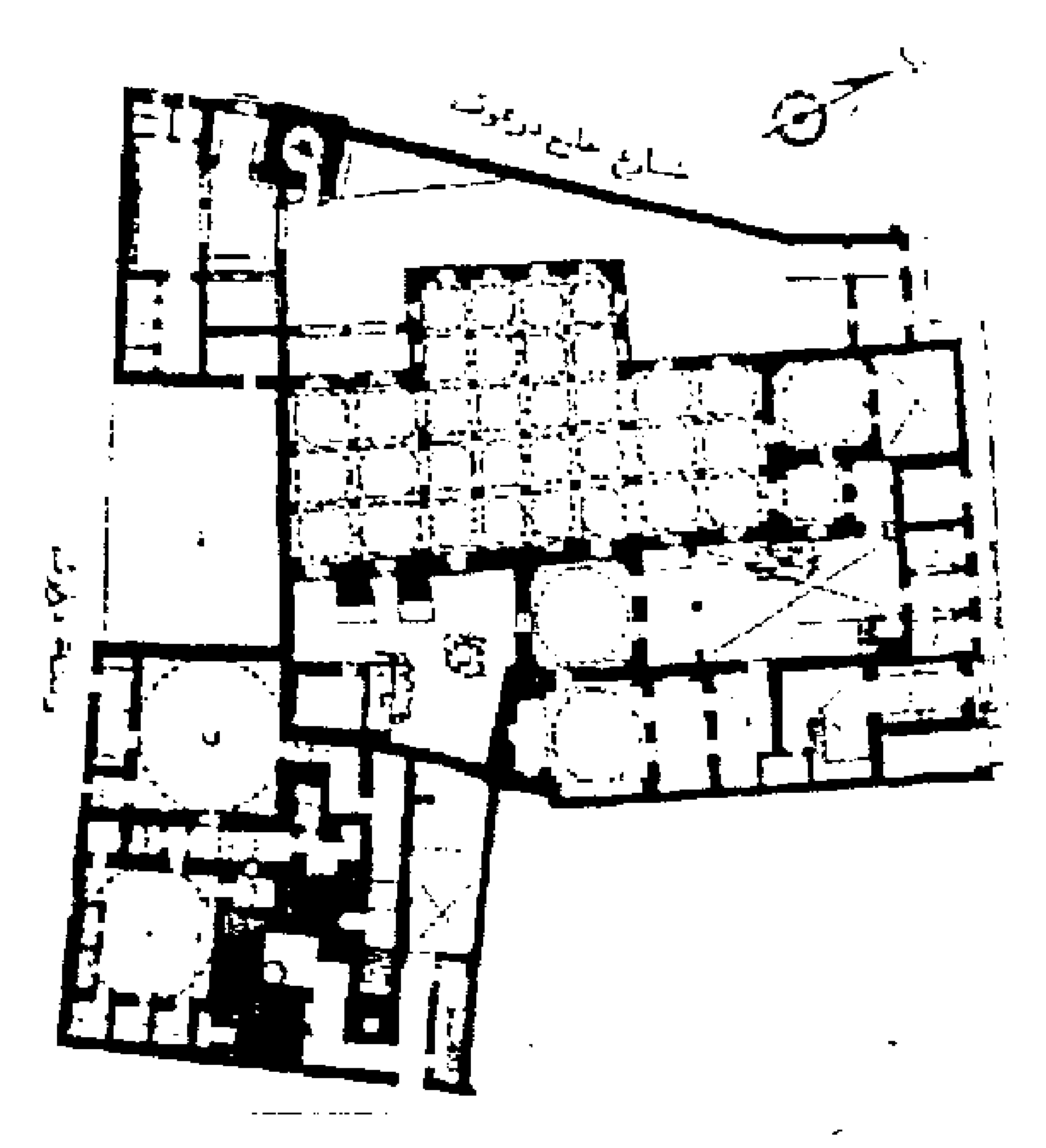
شكل(١٧)   مسقط أفقي لجامع سالم المشاط عن الموسوعة (الجزء الأول).



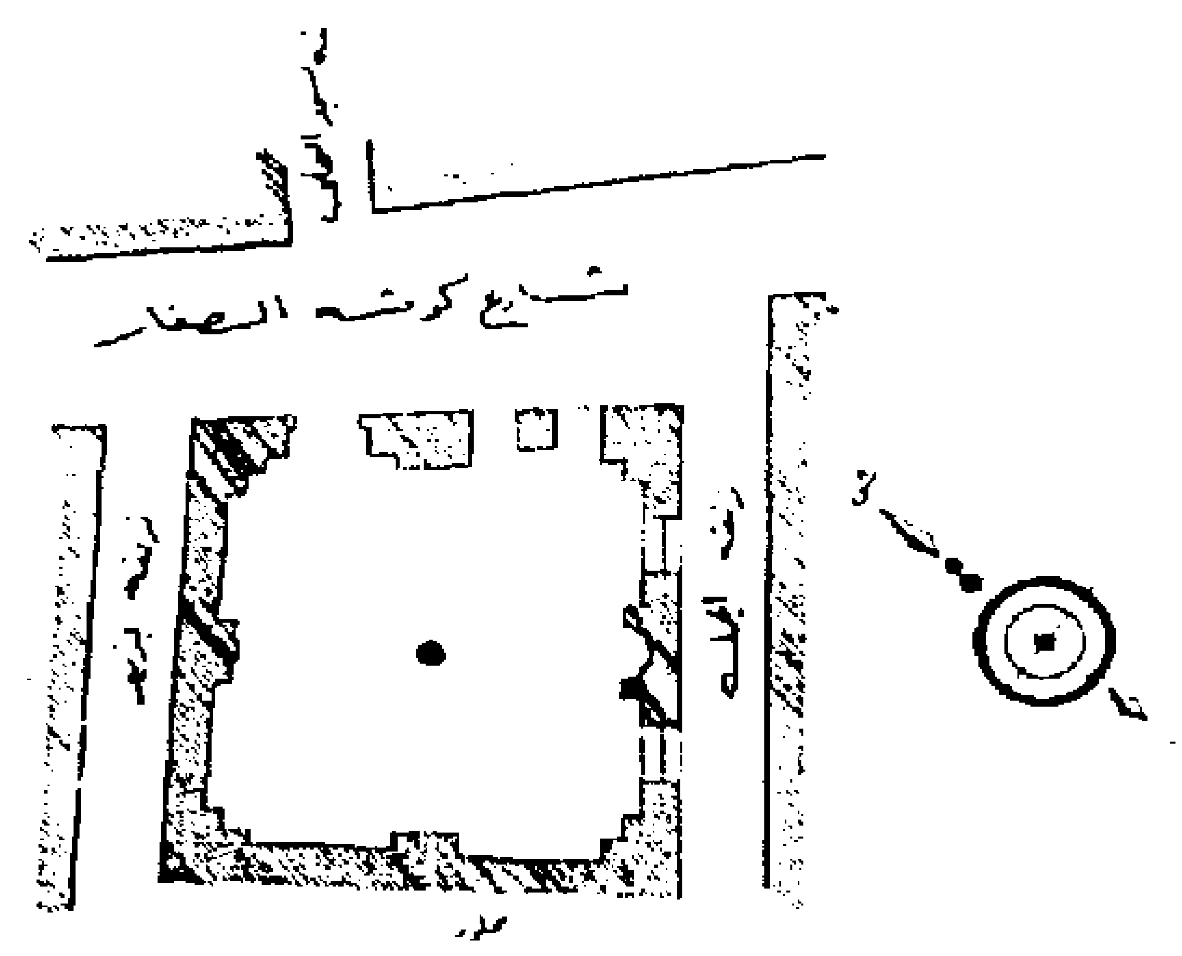
شكل(١٨)   مسقط أفقي لجامع الدباغ عن الموسوعة (الجزء الأول).



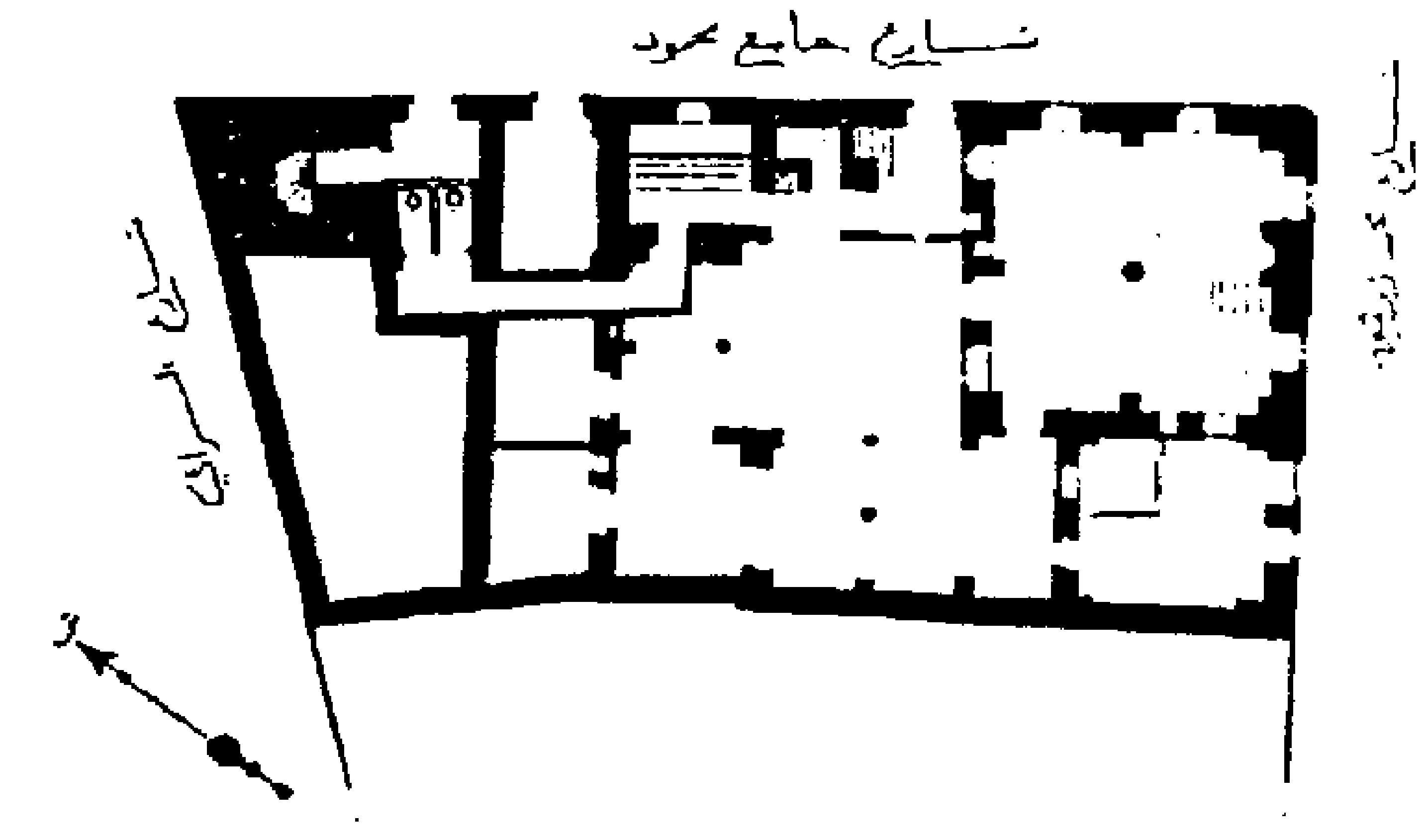
شكل(١٩)   مسقط أفقي لجامع الشيخ عبد الوهاب عن الموسوعة (الجزء الأول).



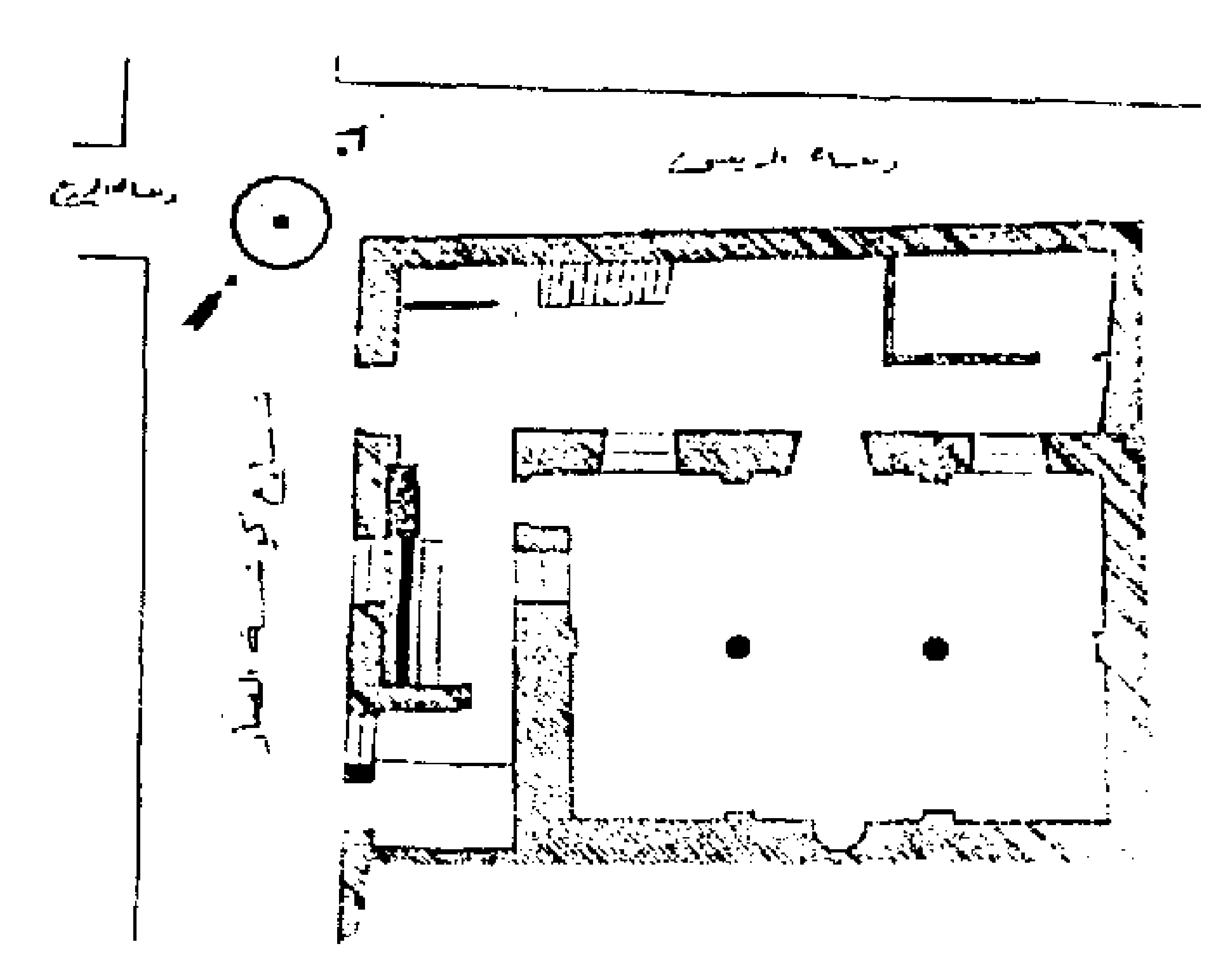
شكل(٢٠)   مسقط أفقي لجامع درغوت باشا عن الموسوعة (الجزء الأول).



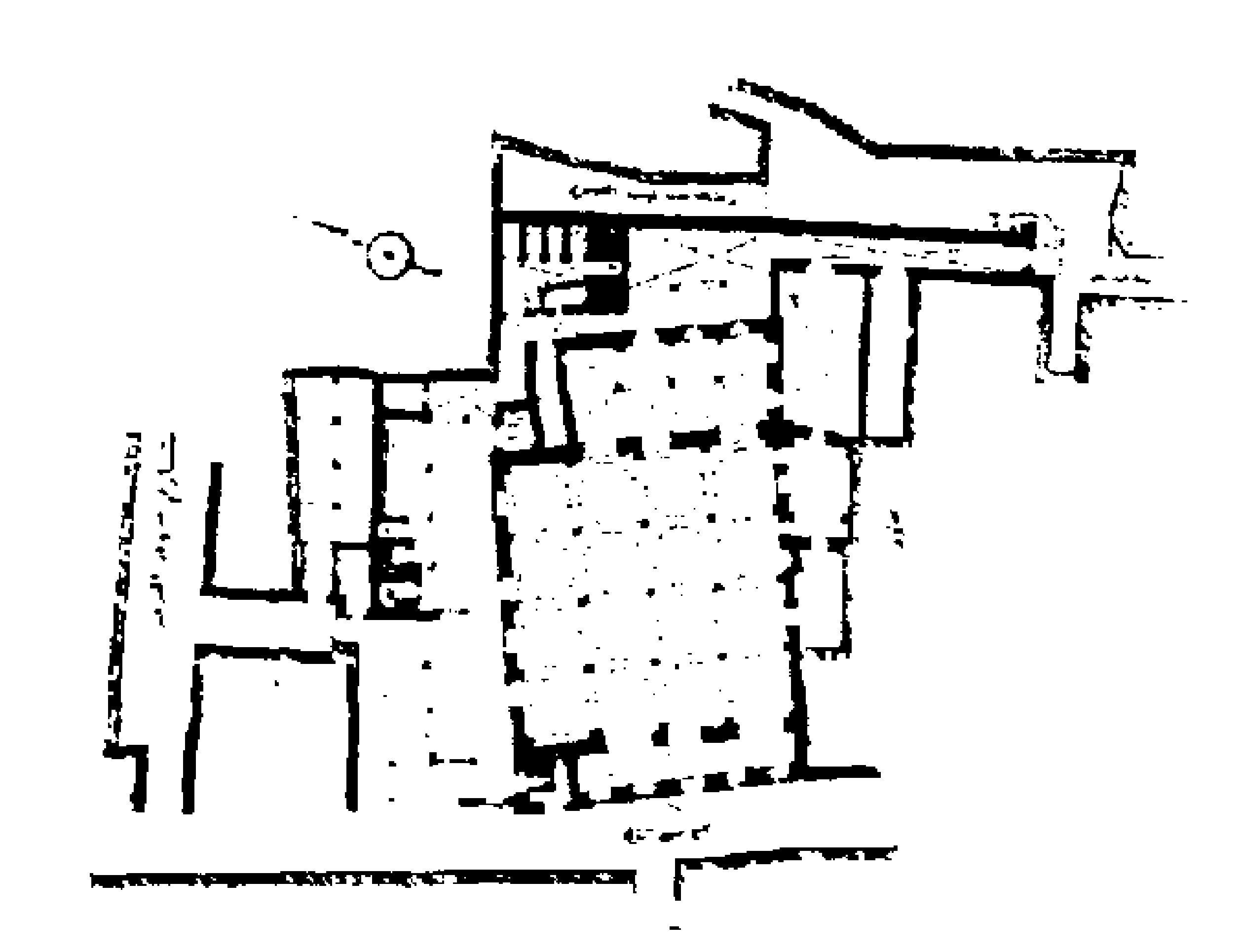
شكل(٢١)   مسقط أفقي لجامع النخلي عن الموسوعة (الجزء الأول).



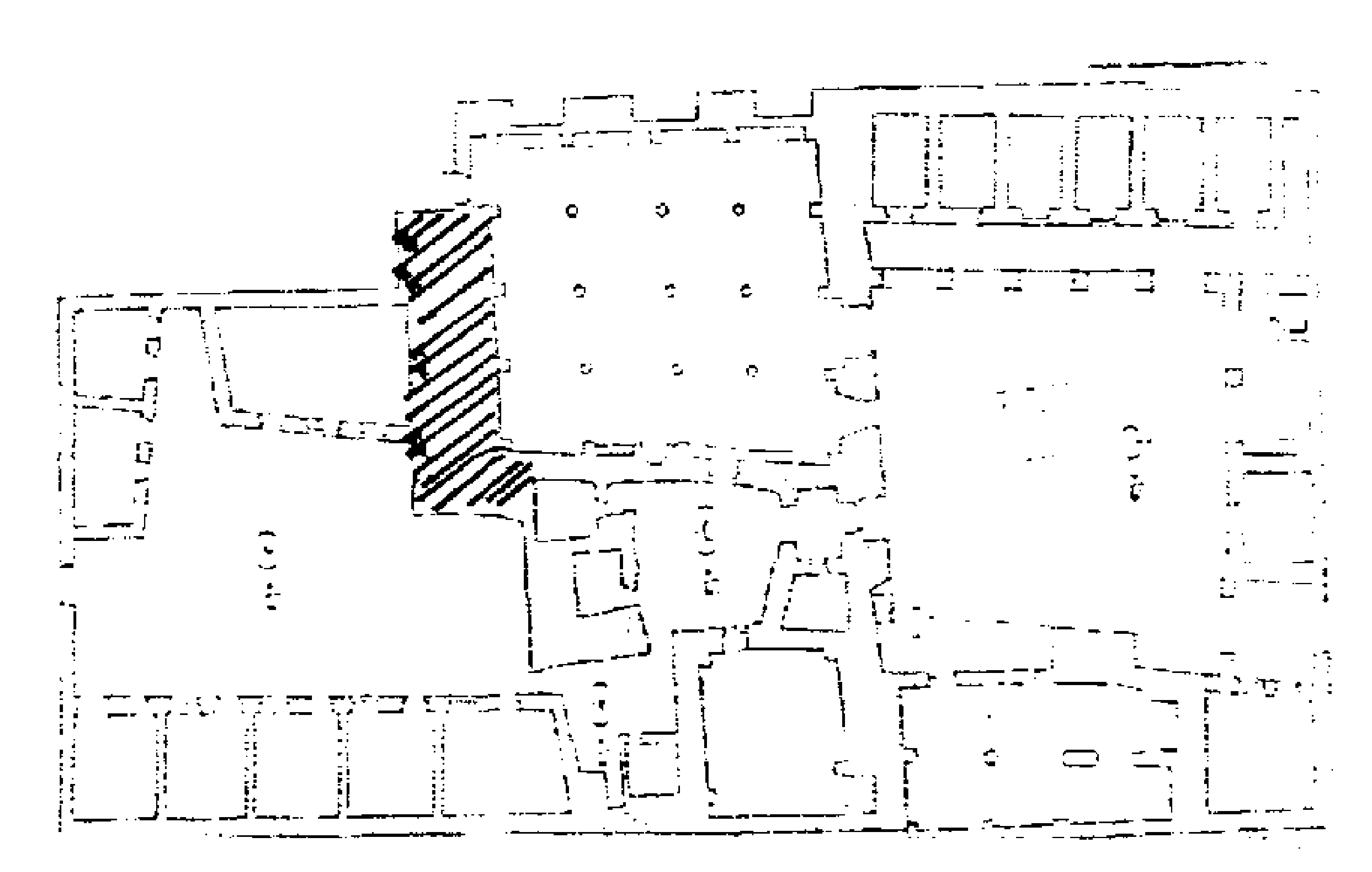
شكل(٢٢)   مسقط أفقي لجامع محمود عن الموسوعة (الجزء الأول)



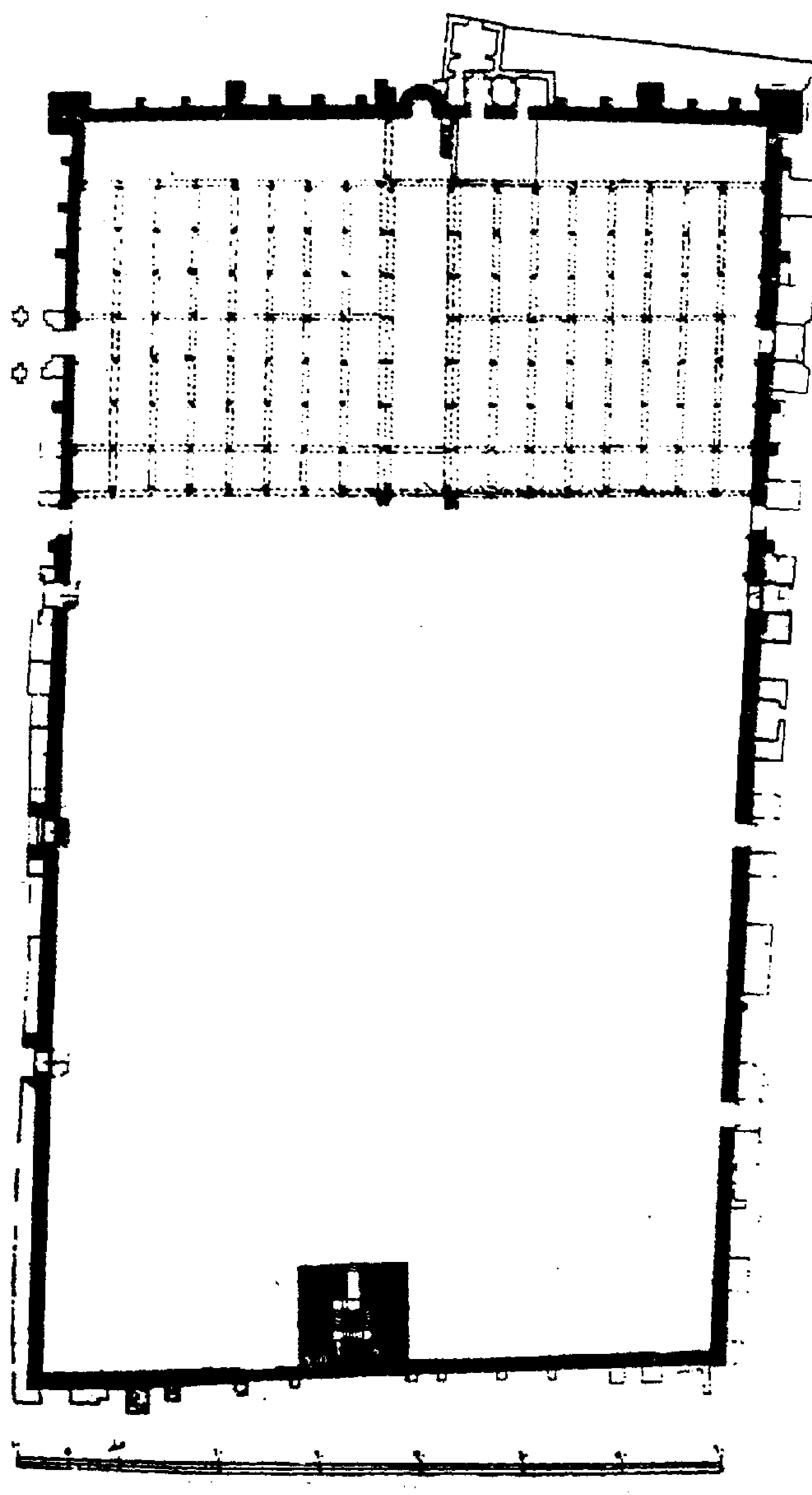
شكل(٢٣)   مسقط أفقي لجامع ابن صوان عن الموسوعة (الجزء الأول).



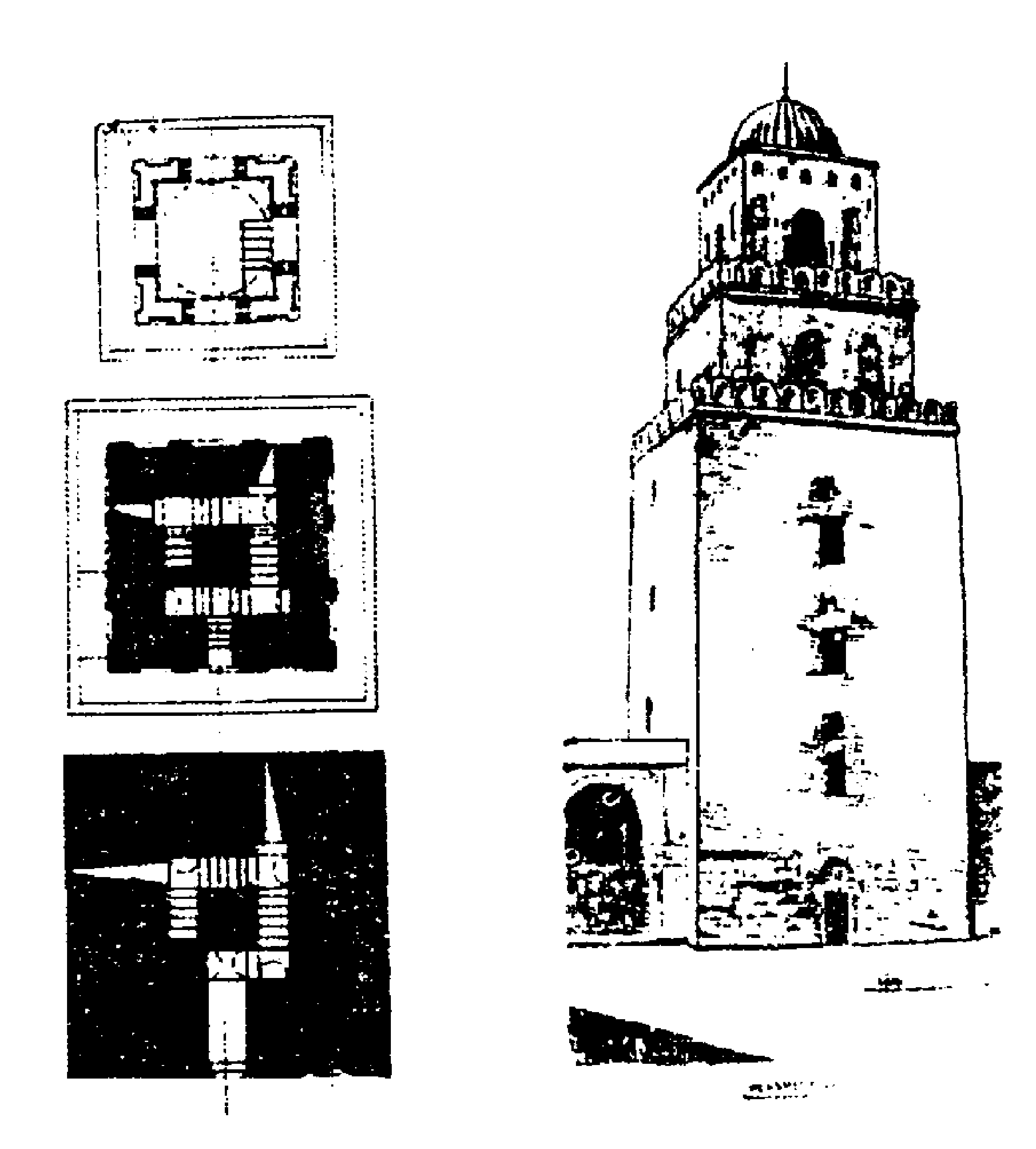
شكل(٢٤)   مسقط أفقي لجامع شائب العين عن الموسوعة (الجزء الأول).



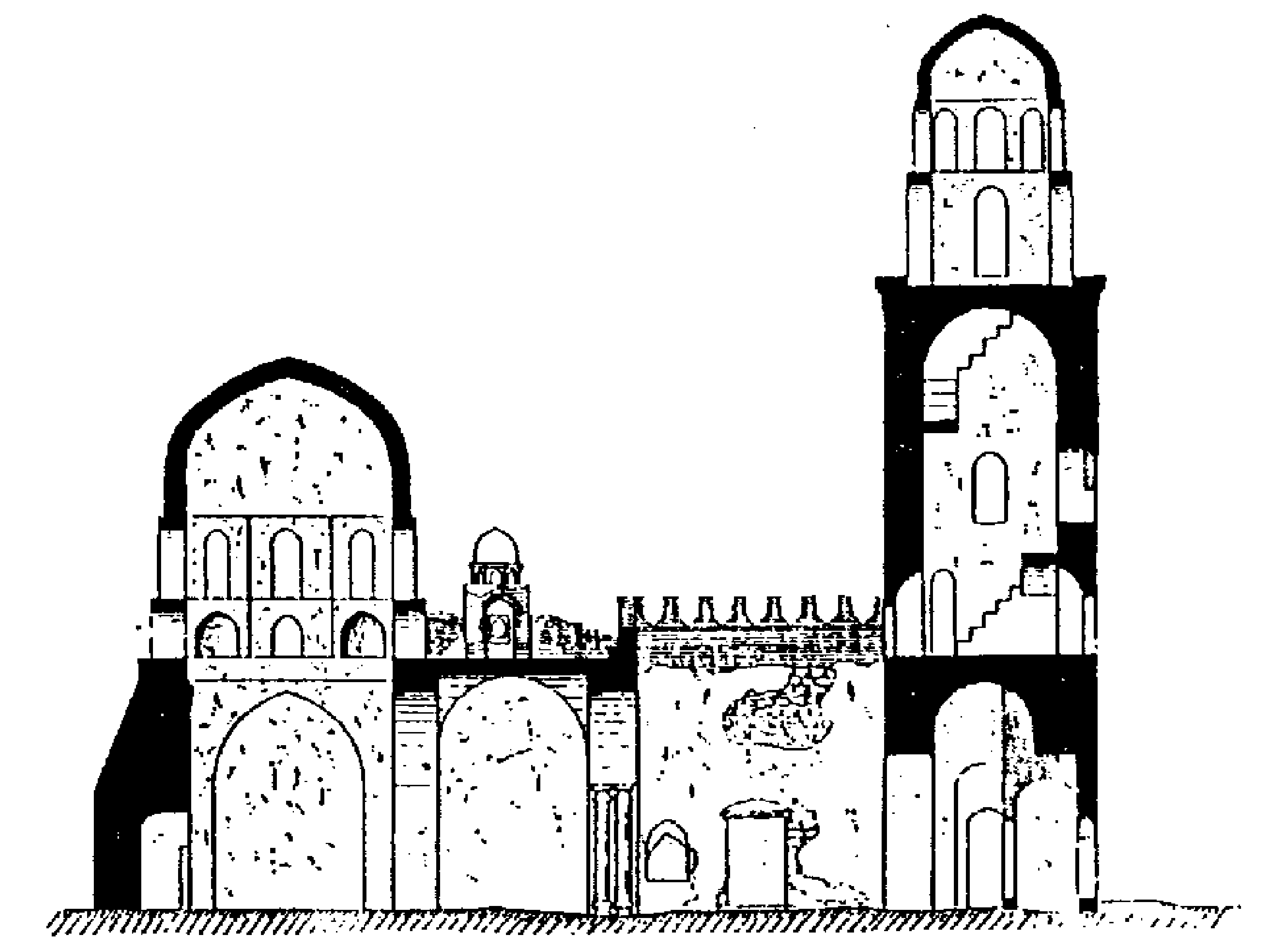
شكل(٢٥) مسقط أفقي لجامع عبد الواحد الدوكالي عن الموسوعة (الجزء الأول).



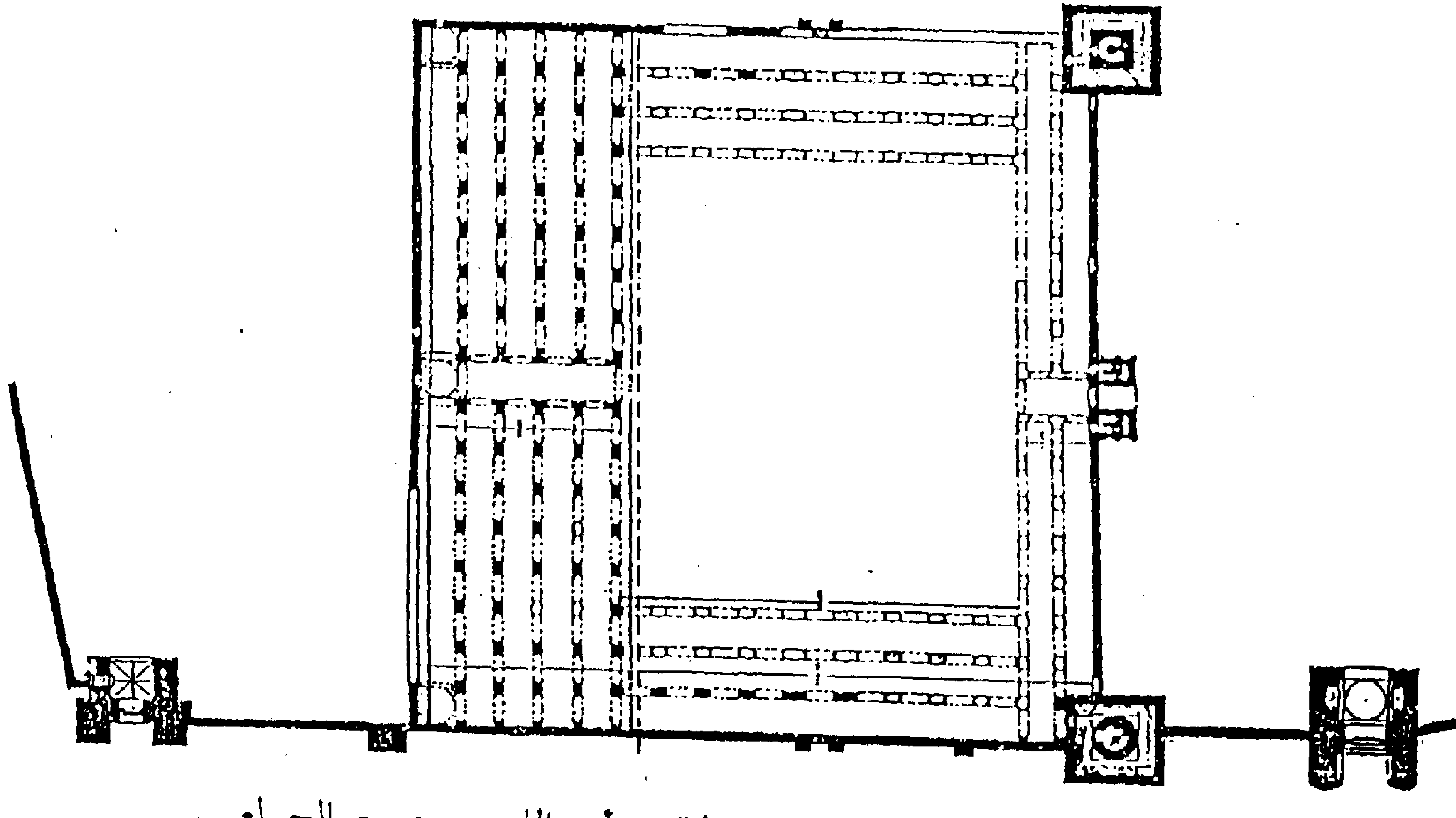
شكل (٢٦) مخطط جامع القيروان عن د. فريد شافعى.



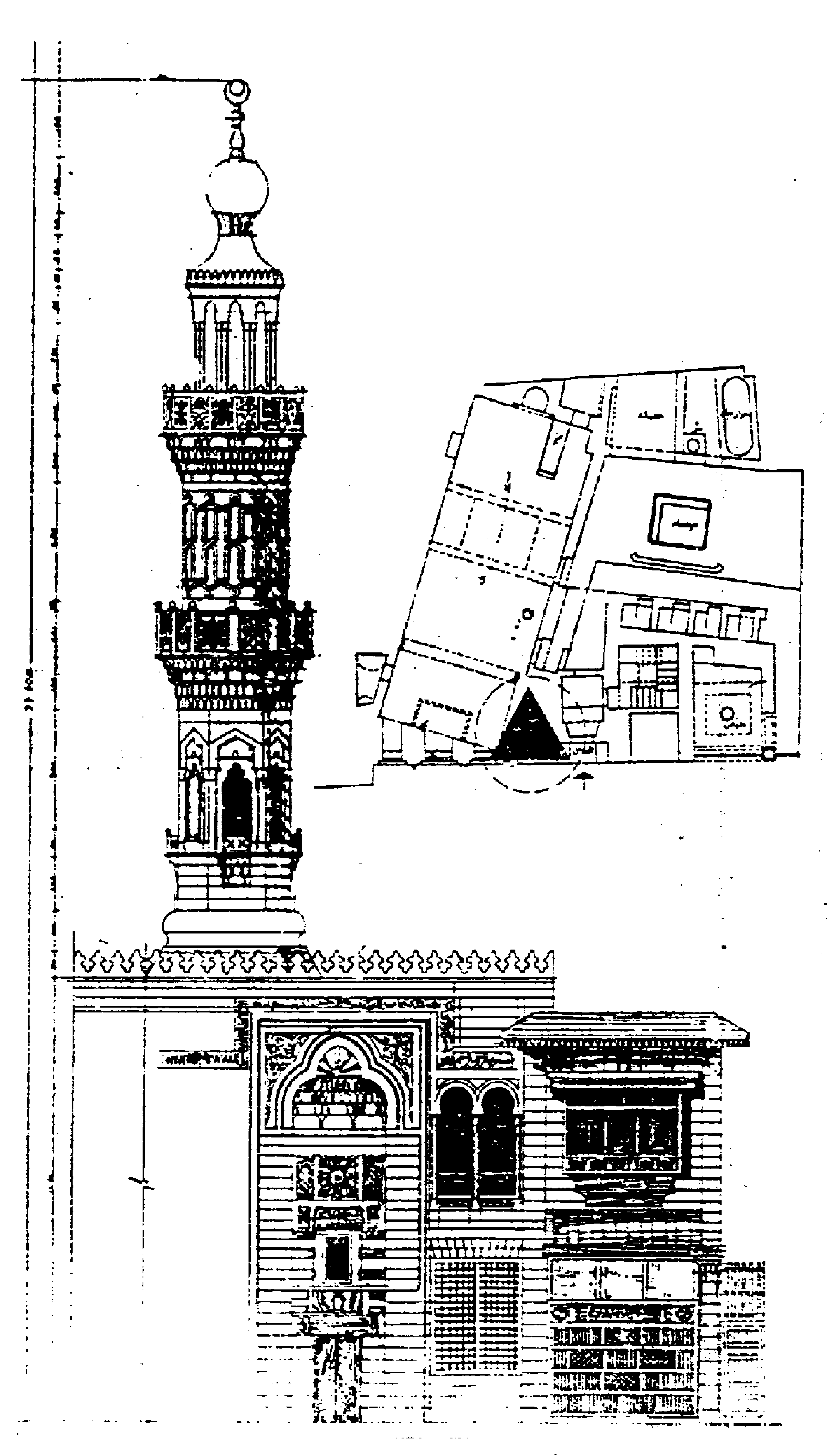
شكل (٢٧) مئذنة جامع القيروان عن د. فريد شافعى.



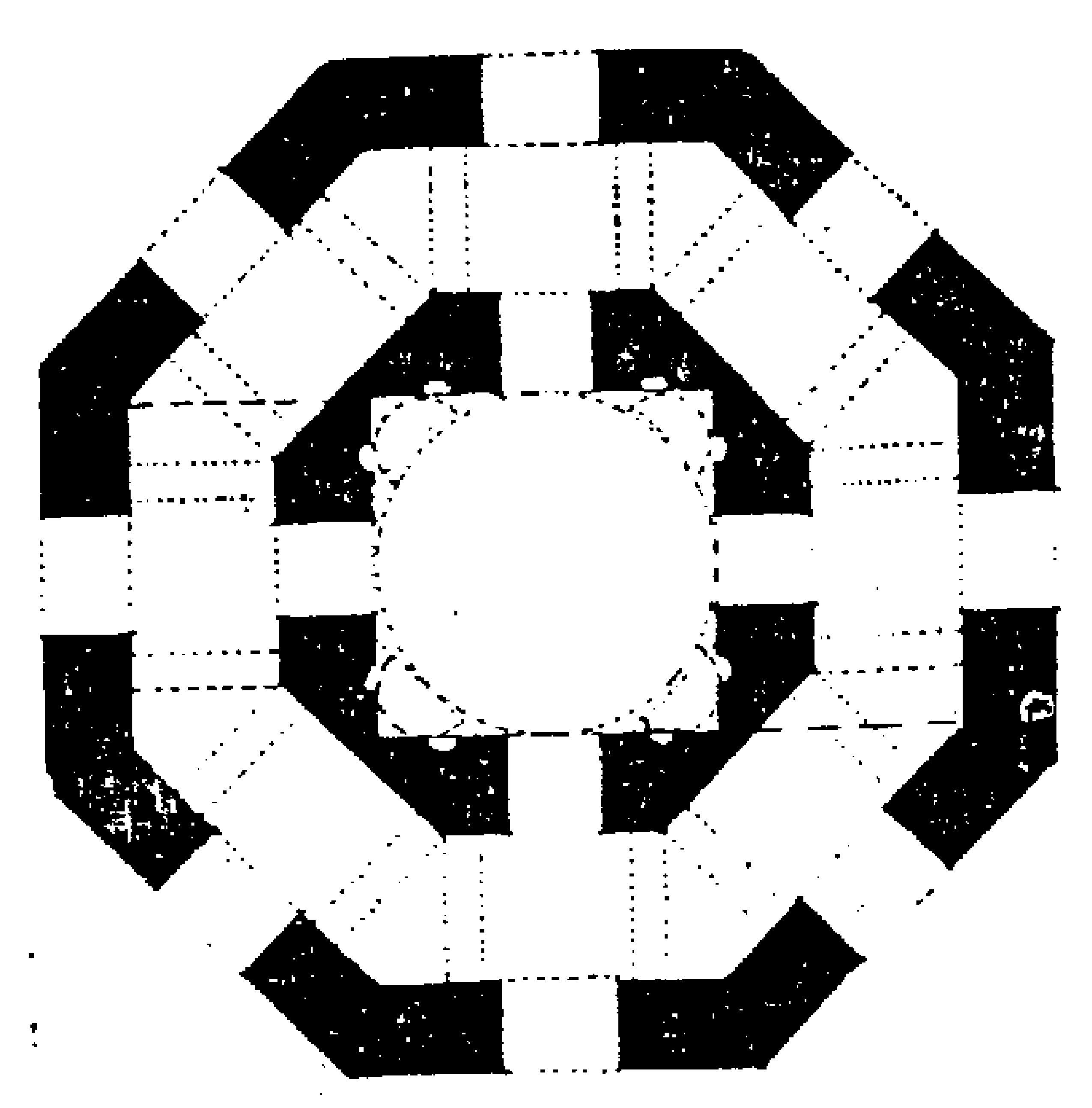
شكل (٢٨) قطاع لمشهد الجيوشى عن د. فريد شافعى.



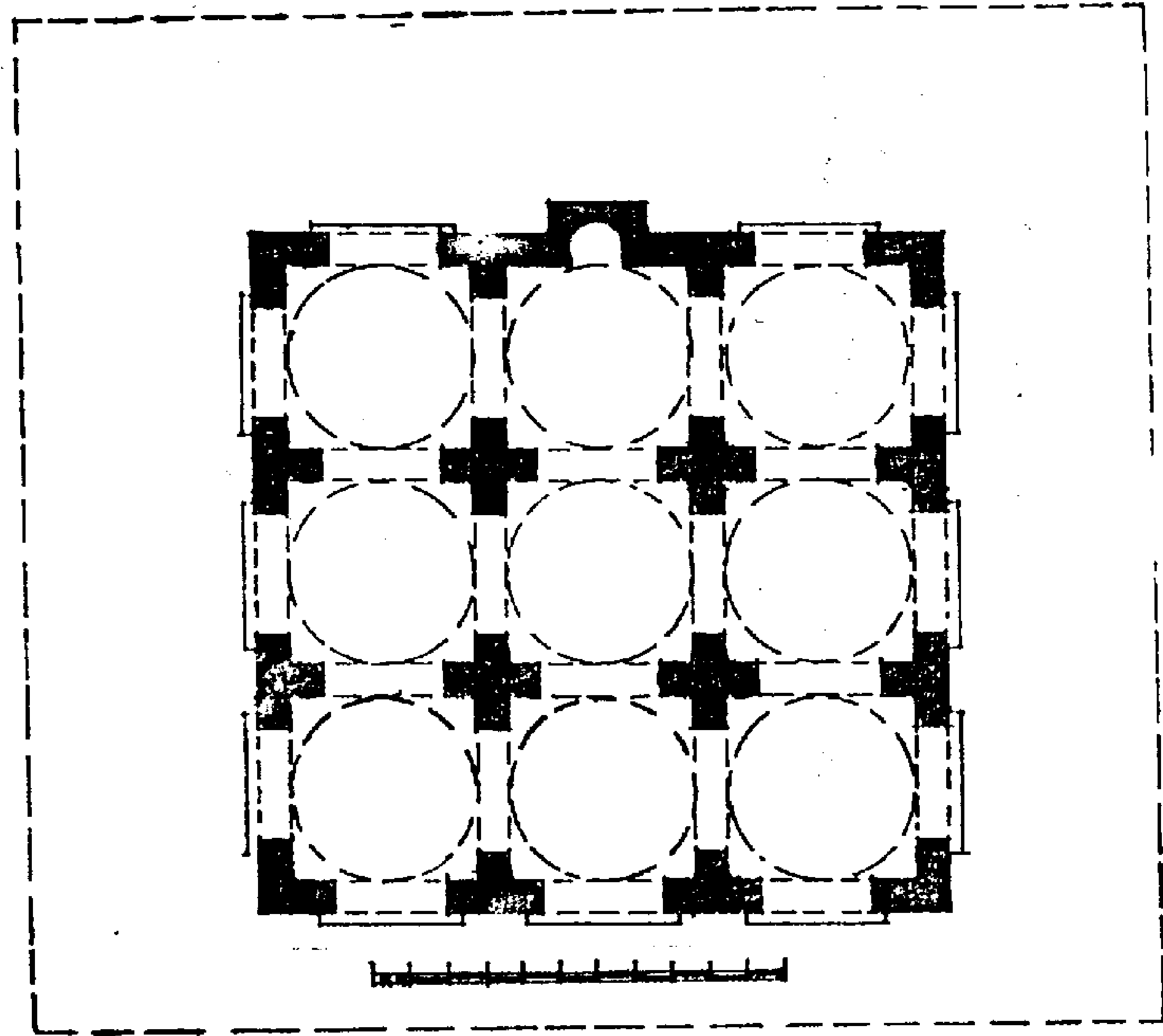
شكل (٢٩) مخطط لجامع الحاكم بأمر الله عن د. صالح لمعى.



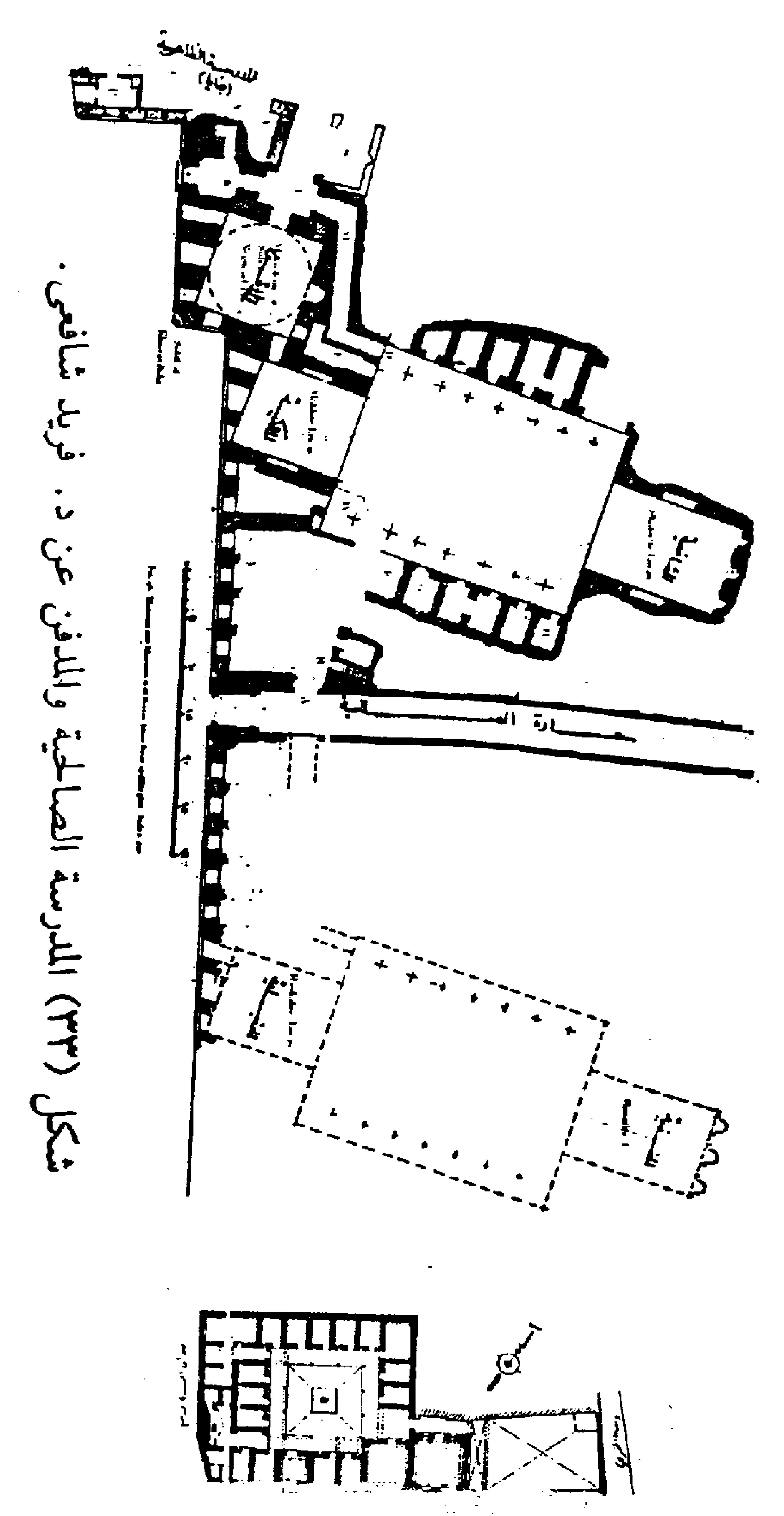
شكل (٣٠) مئذنة أسنبغا البوبكرى عن دوريس.



شكل (٣١) مخطط القبة الصليبية عن د. فريد شافعى.

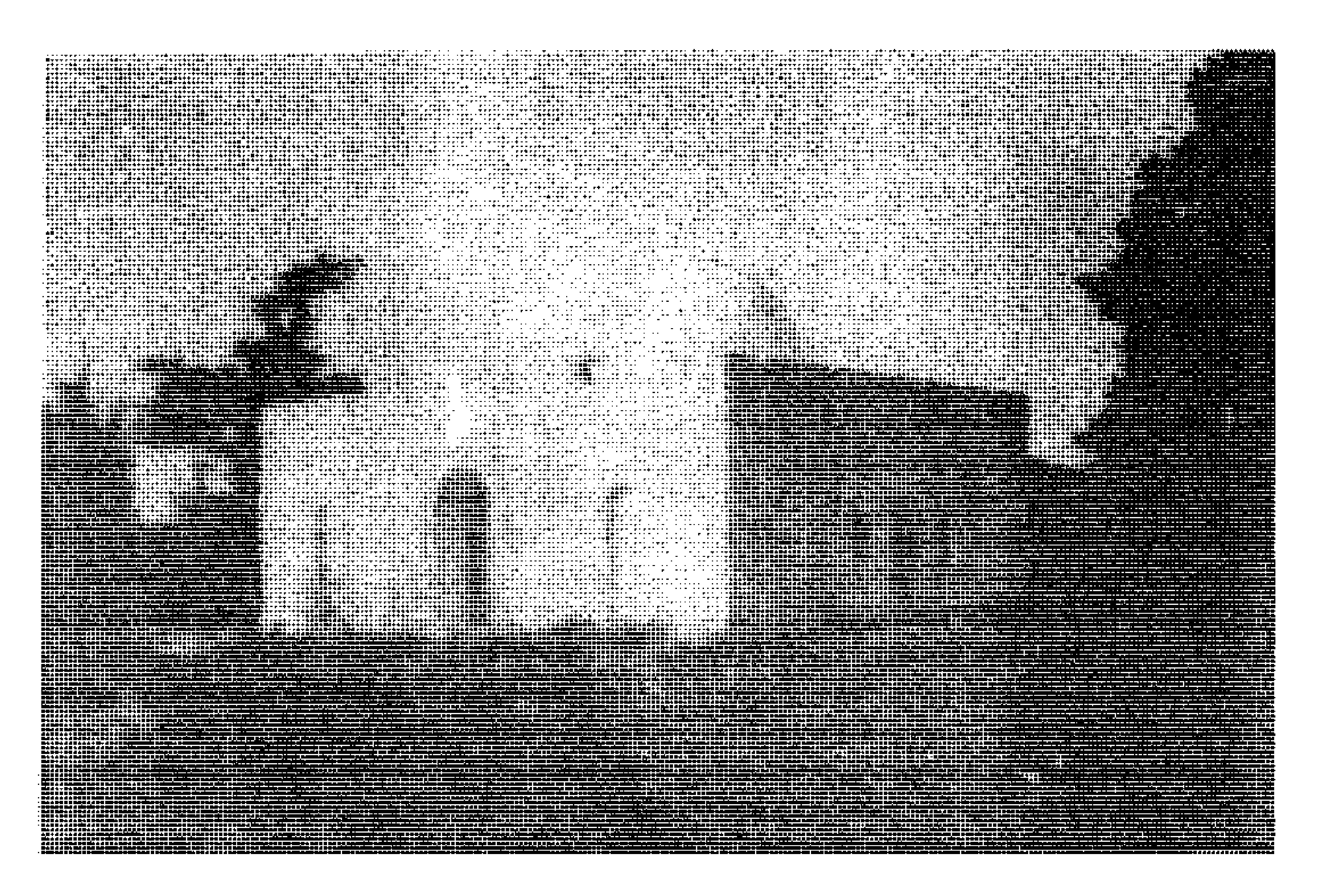


شكل (٣٢) مخطط لمشهد آل طباطبا عن د. فريد شافعى.



شكل (٣٣) المدرسة الصالحية والمدفن عن د. فريد شافعي.

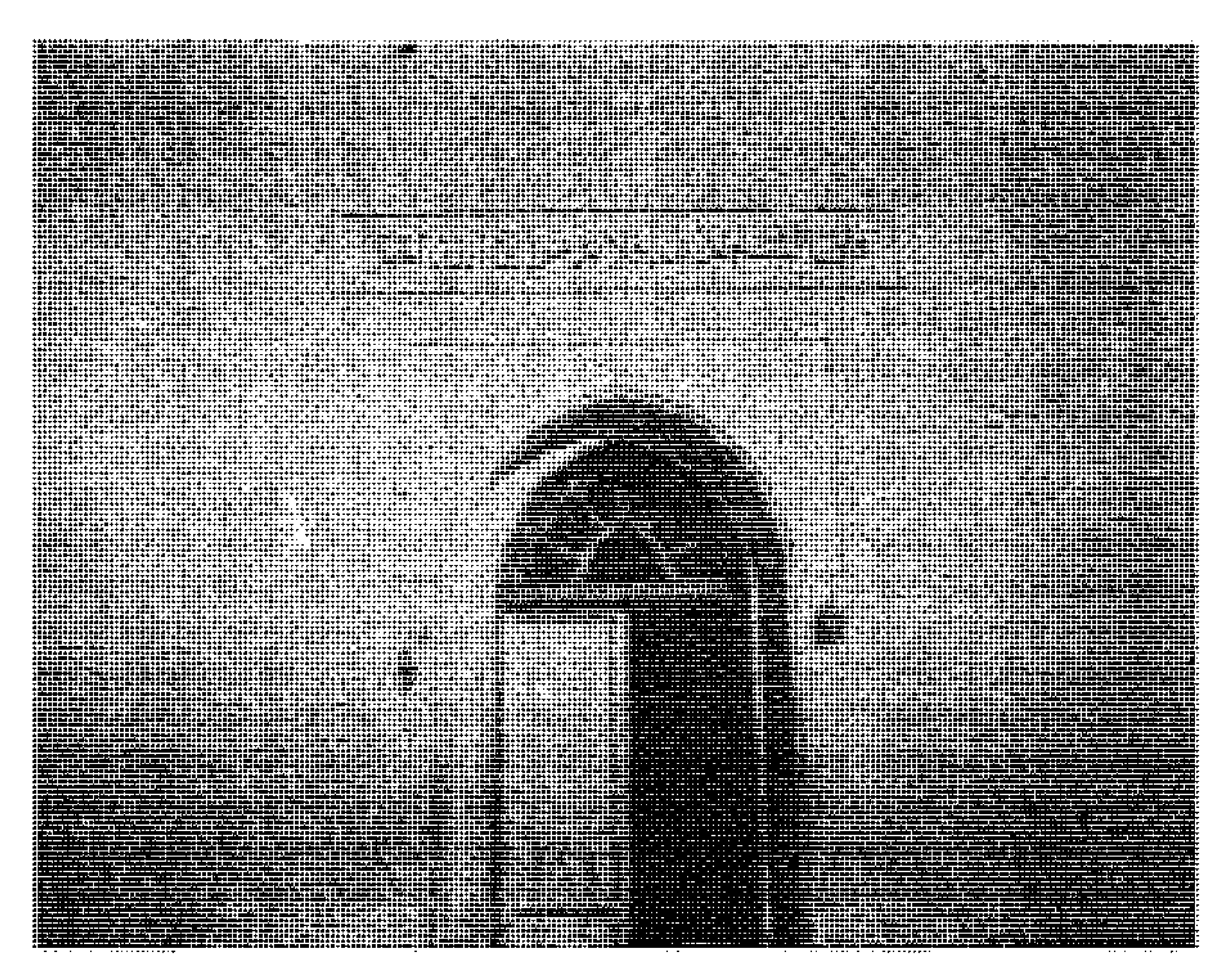
شكل (٣٤) مخطط مدرسة عثمان باشا بطرابلس عن د. على مسعود.



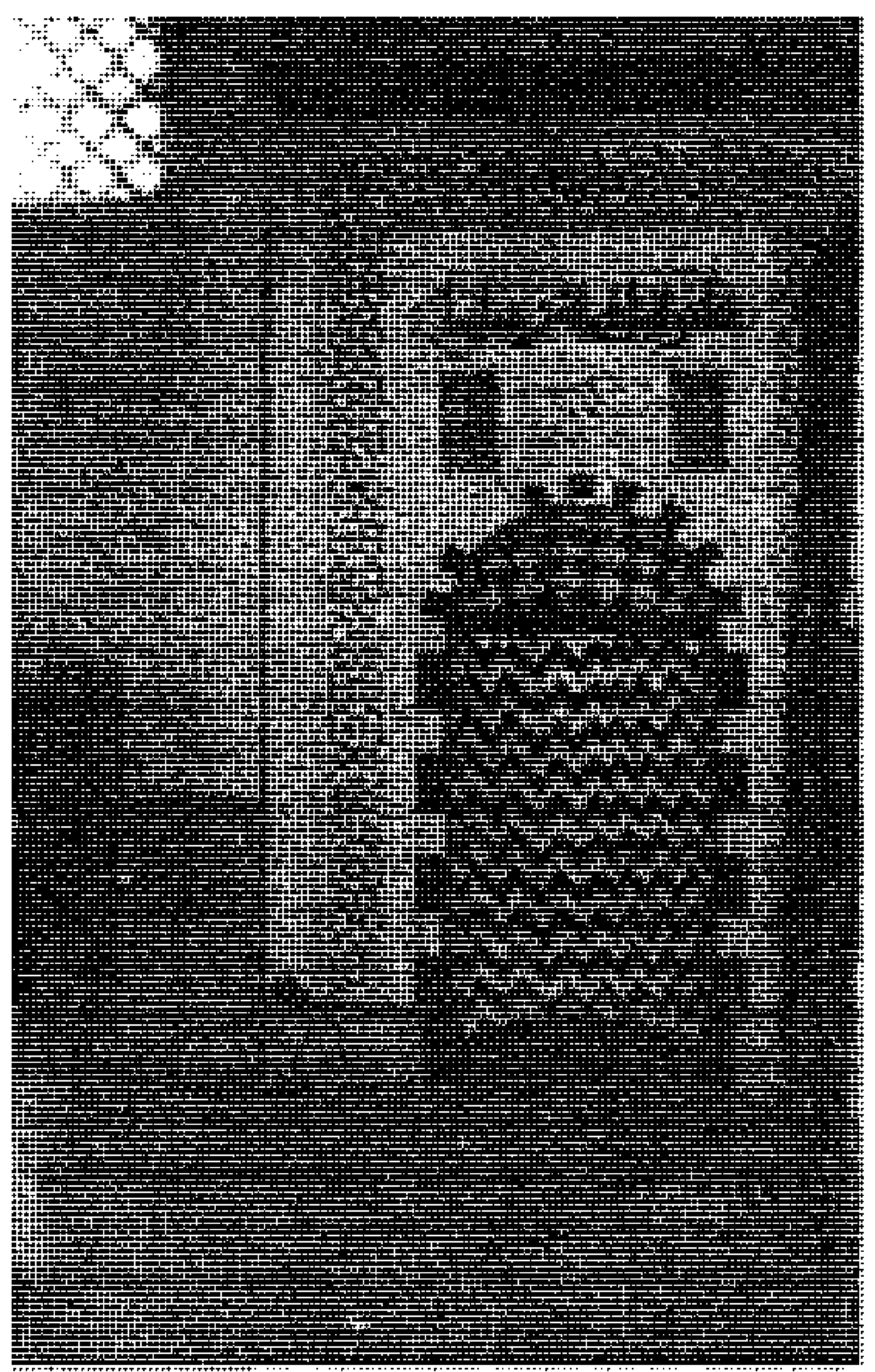
لوحة (١) ضريح رويفع بن ثابت بالبيضاء عن صورة قديمة بمتحف آثار البيضاء.



لوحة (٢) ضريح رويفع بن ثابت (تصوير الباحث).



لوحة (٣) مدخل ضريح رويفع بن ثابت (تصوير الباحث).



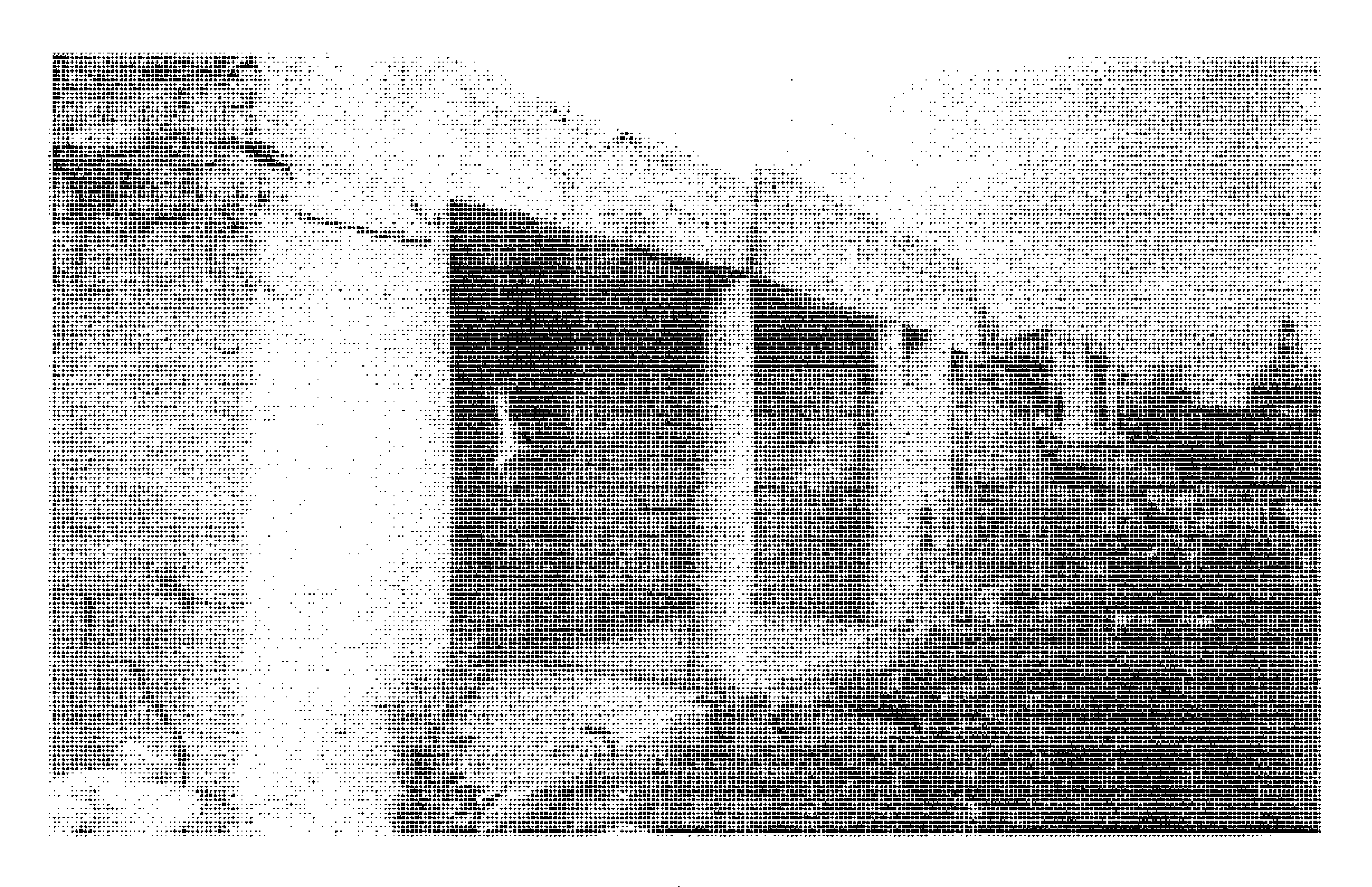
لوحة (٤) محراب مسجد الشيخ حمد الشتيوى.



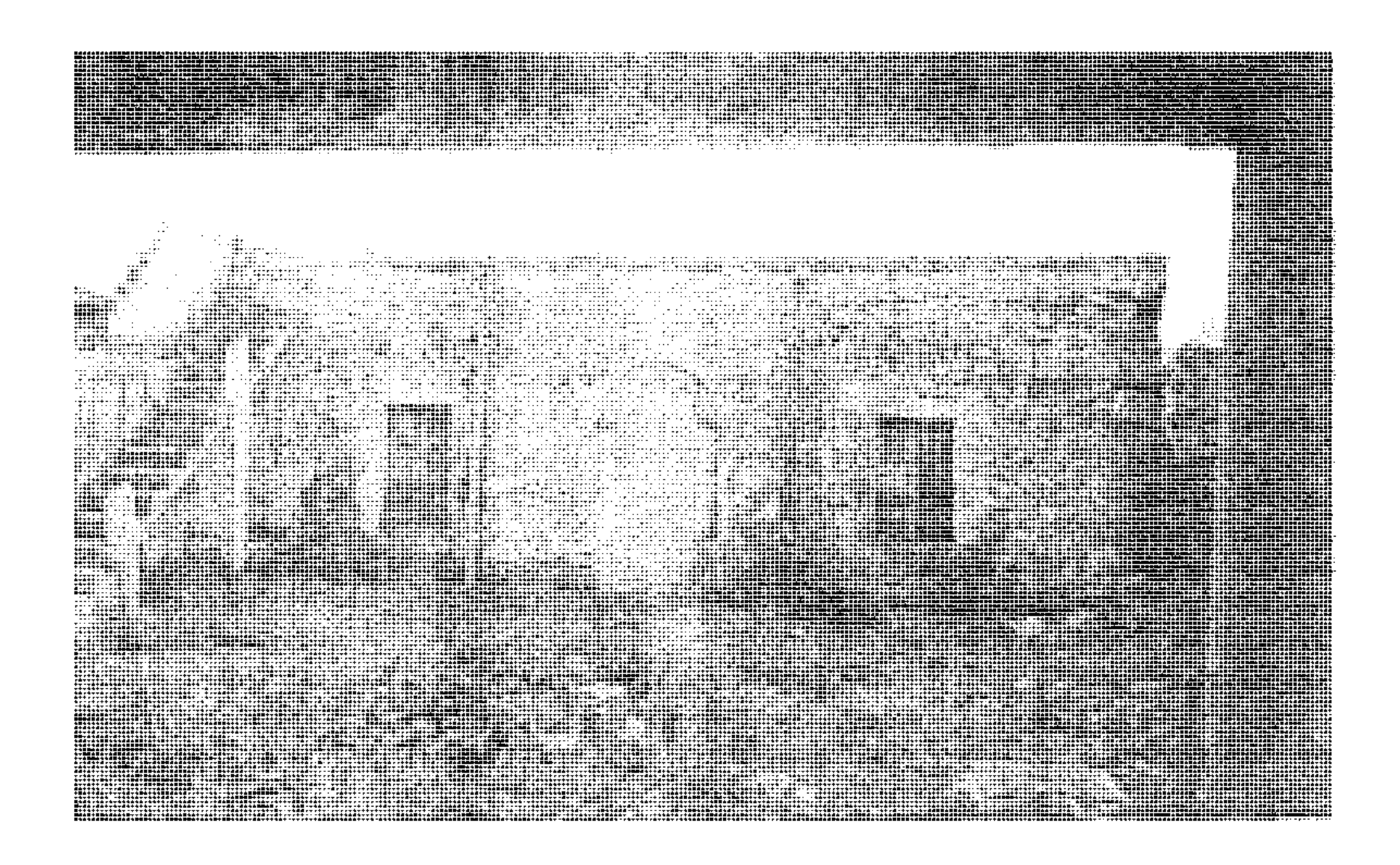
لوحة (٥) البائكة الثلاثية بمسجد حمد الشتيوى (تصوير الباحث).



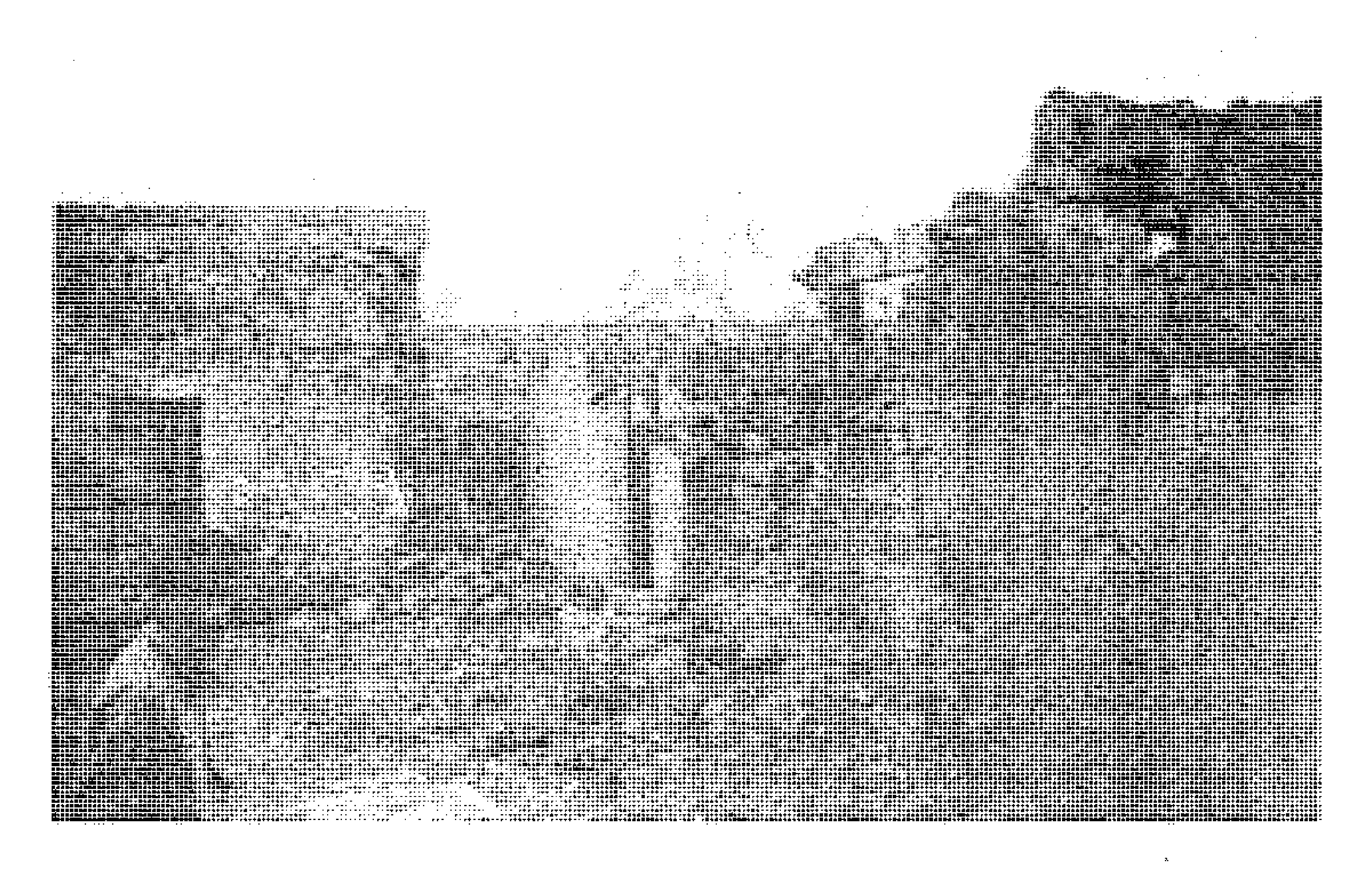
لوحة (٦) جدار الواجهة العمومية من الداخل فى مسجد المدينة (صوير الباحث).



لوحة (٧) ميضأة المسجد المضافة حديثًا في مسجد المدينة (تصوير الباحث).



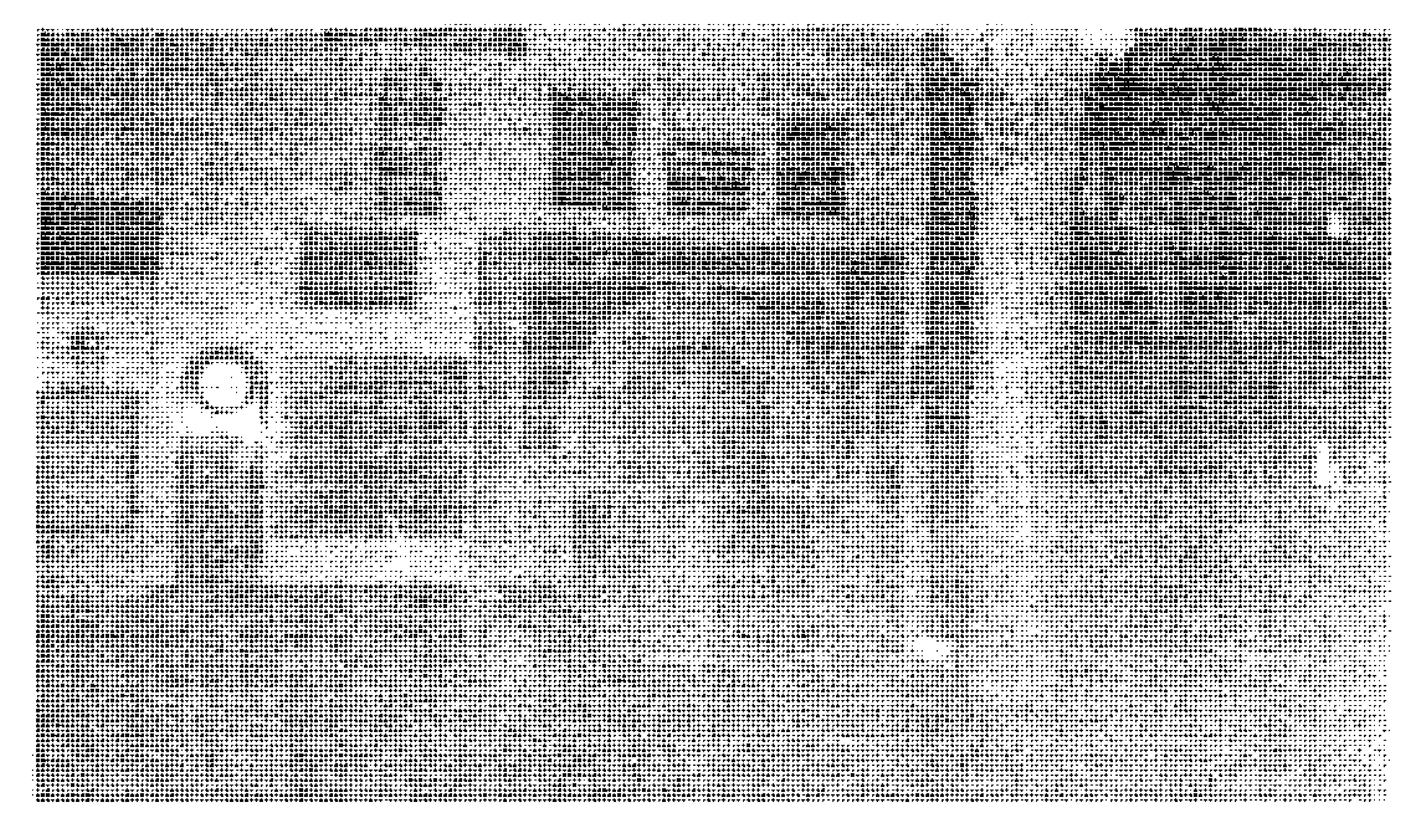
لوحة (٨) جدار القبلة بمسجد المدينة (تصوير الباحث).



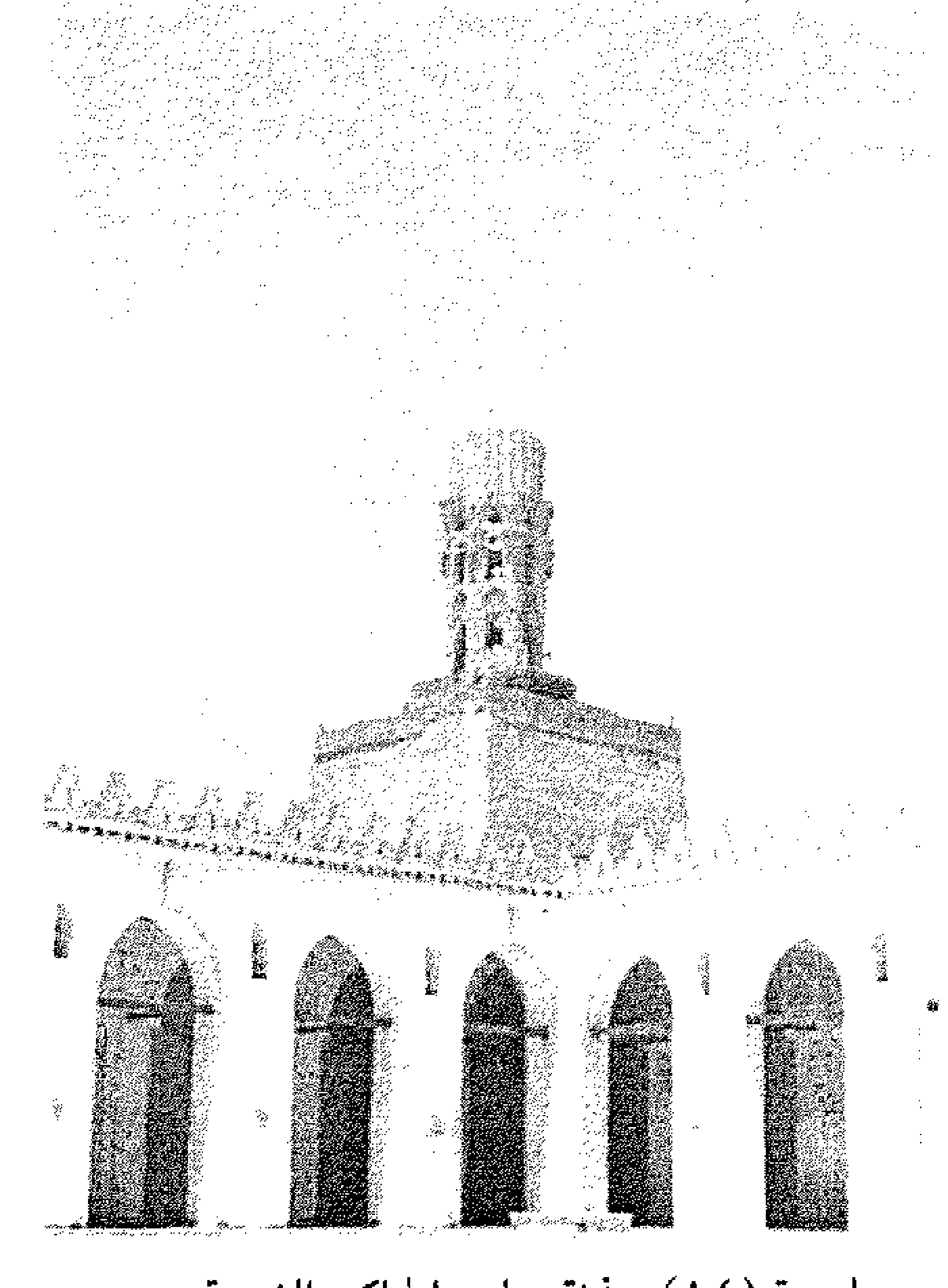
لوحة (٩) الجدار الغربى بمسجد المدينة (تصوير الباحث).



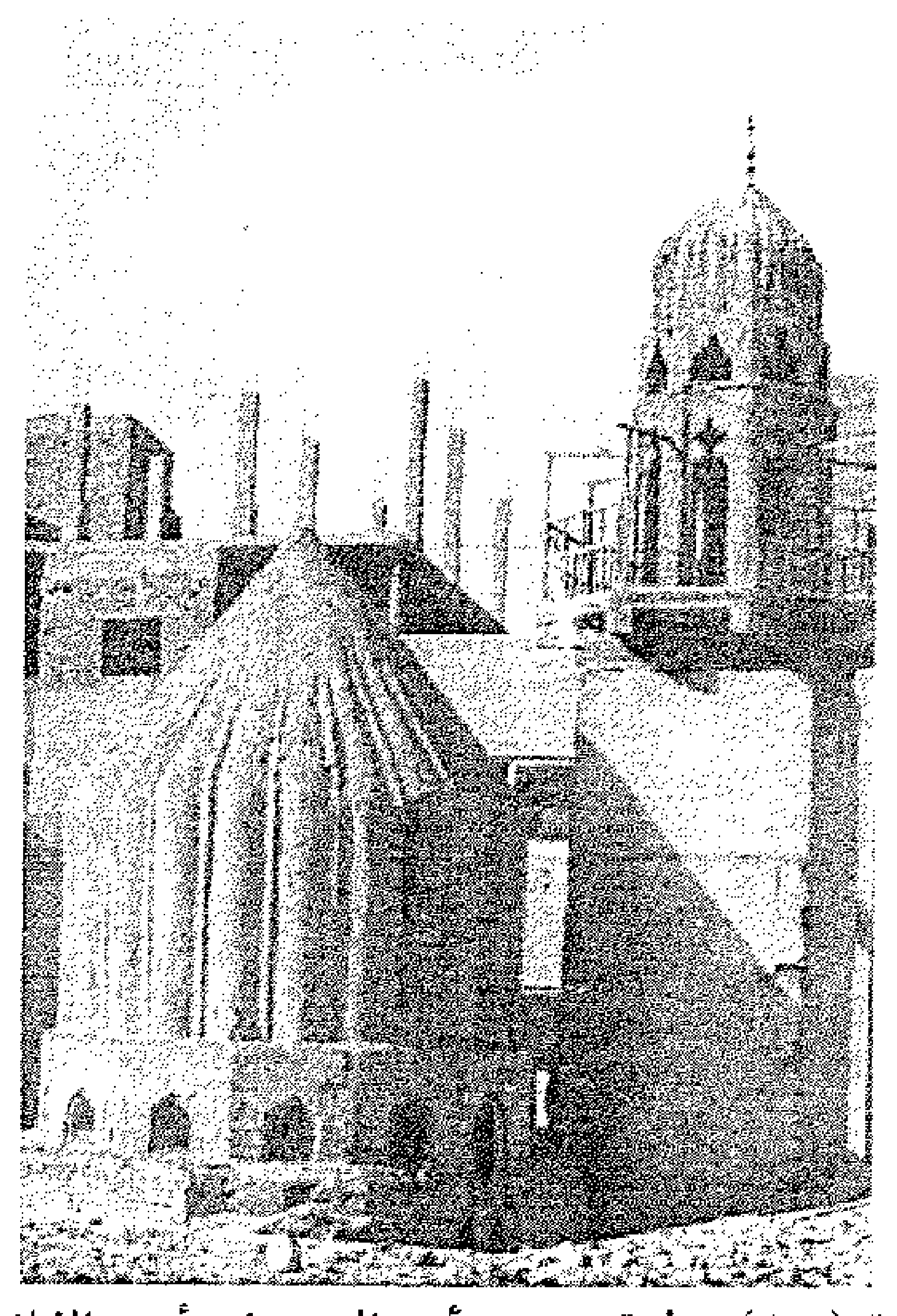
لوحة (١٠) فتحات القسم الشمالى من الجدار الغربى (تصوير الباحث).



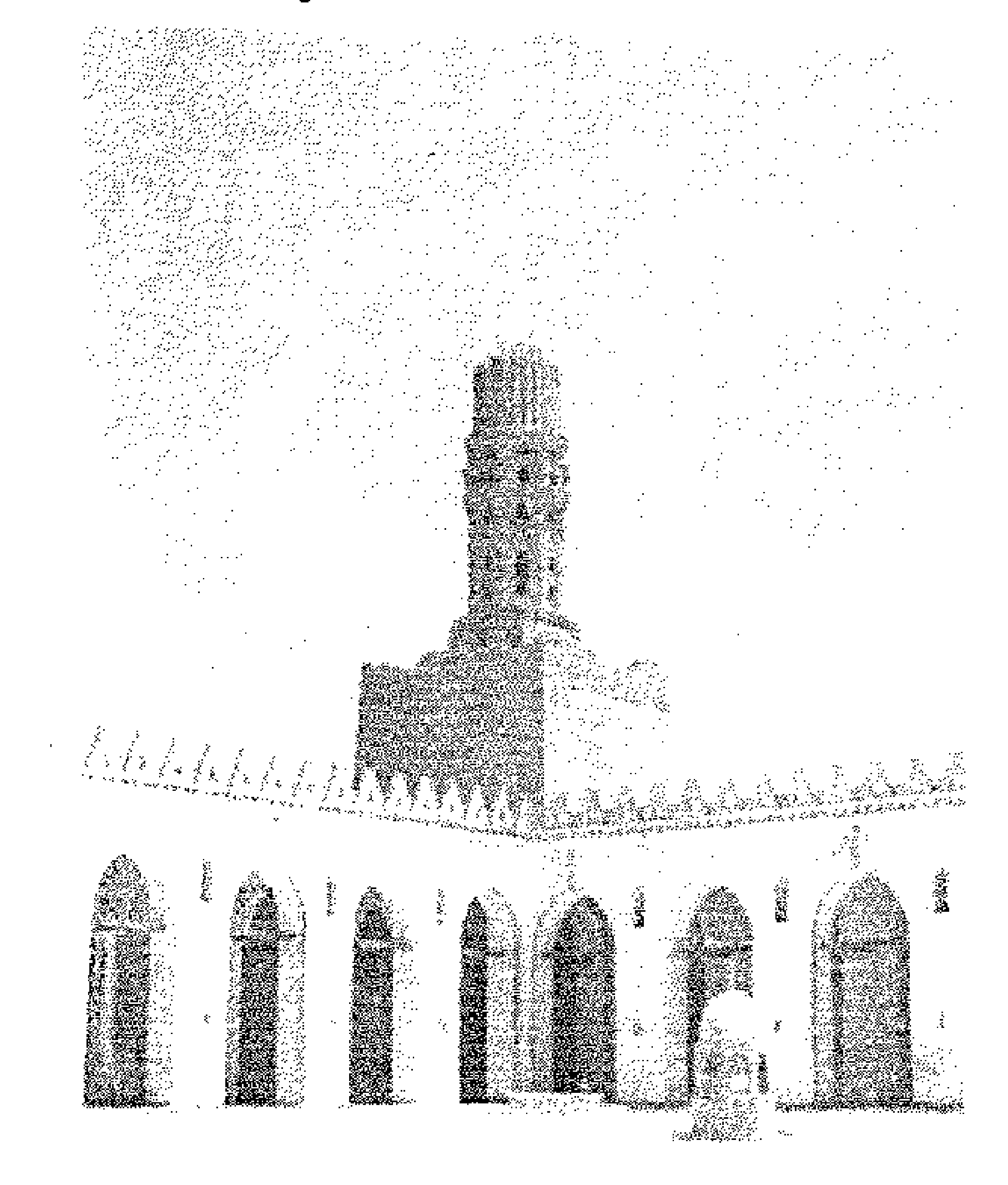
لوحة (١٣) محراب المسجد العتيق بمدينة درنة (تصوير الباحث).



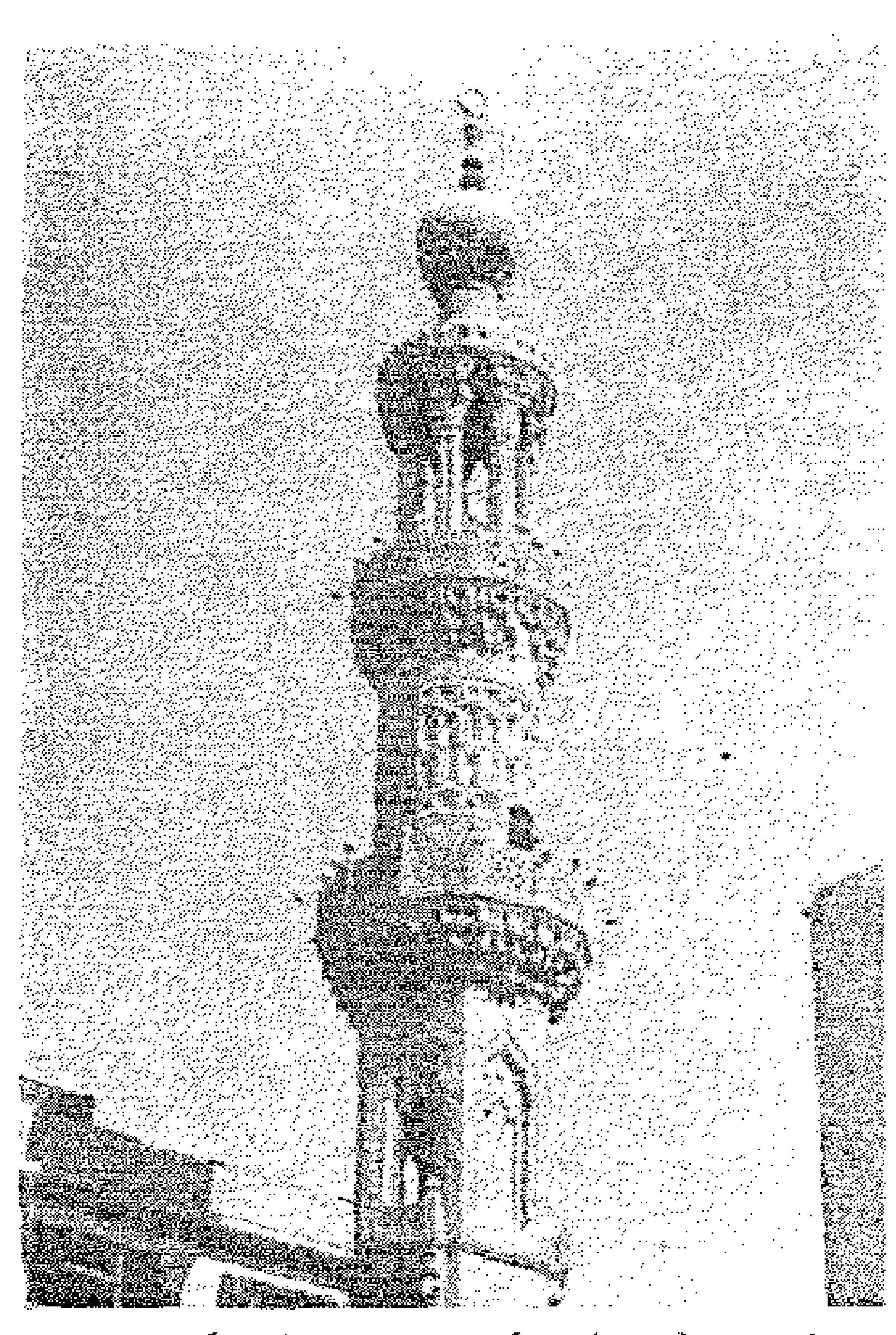
لوحة (١٤) مئذنة جامع الحاكم الغربية.



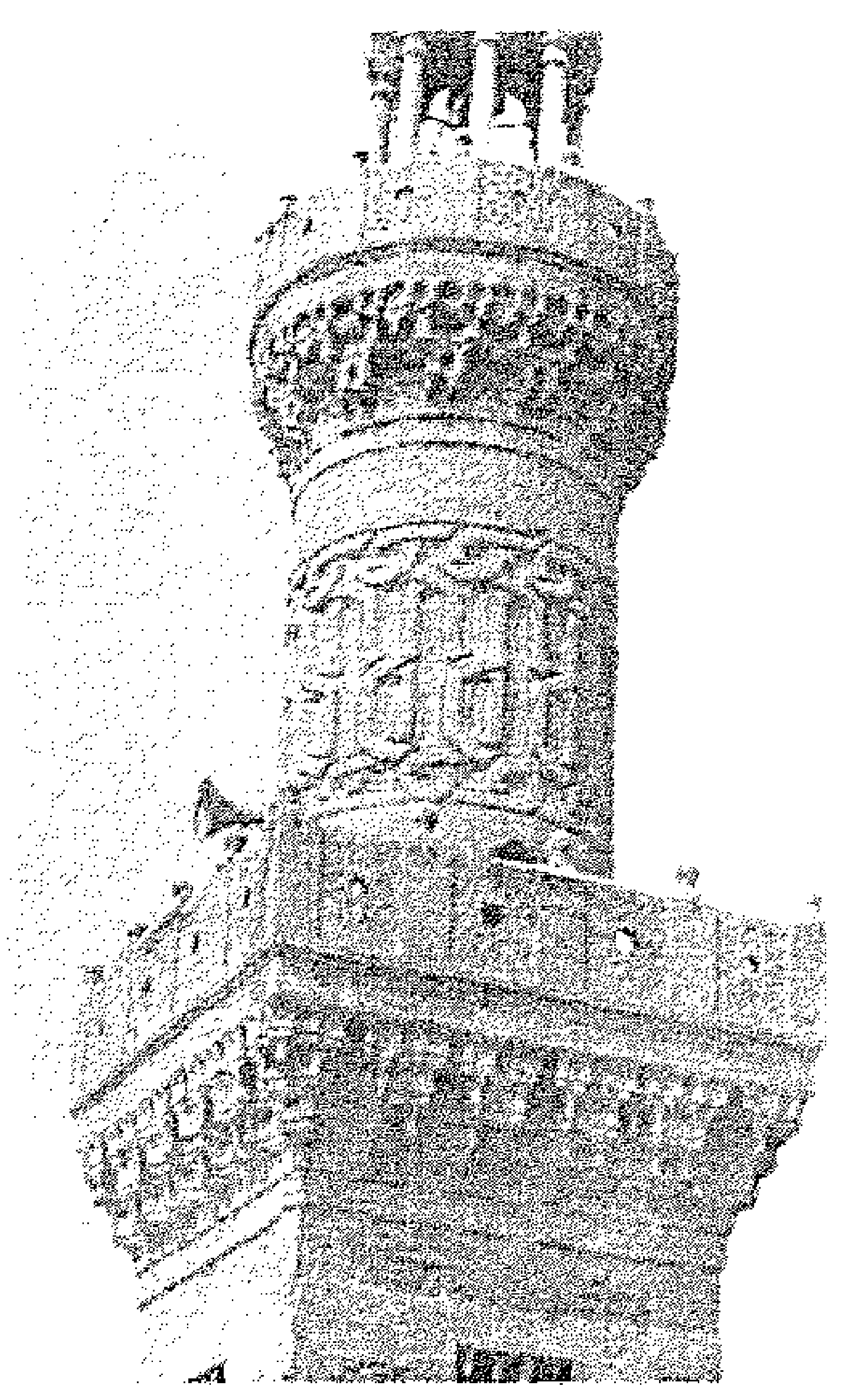
لوحة (١٥) مئذنة مشهد أبى الغضنفر أسد الفائزى.



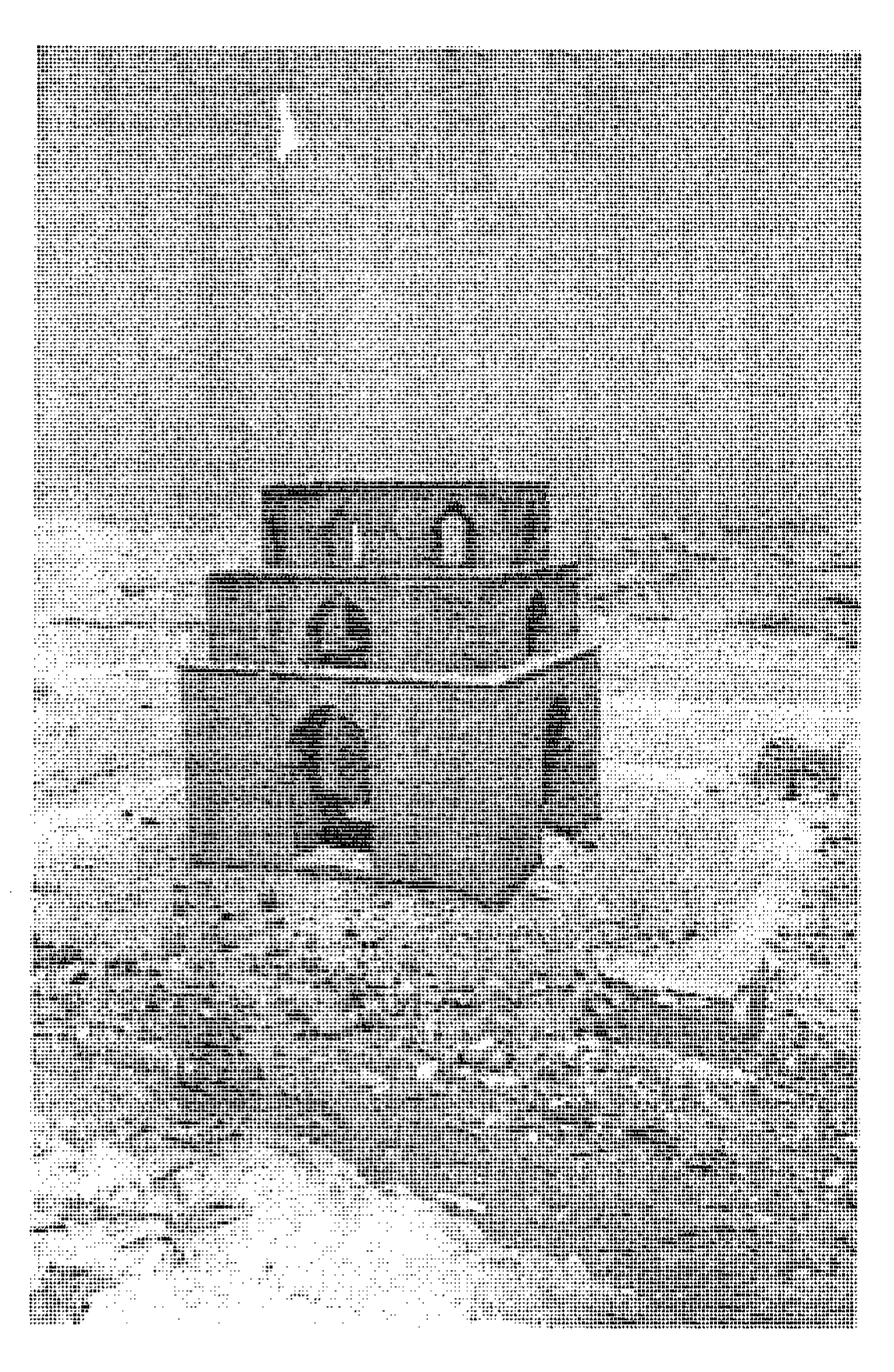
لوحة (١٦) مئذنة جامع الحاكم الشمالية.



لوحة (١٧) مئذنة اسنبغا البوبكرى.



لوحة (١٨) تفصيل من الطابق الأسطوانى فى مئذنة اسنبغا.



لوحة (١٩) مشهد القباب السبع فى الفسطاط.

هذا الكتاب

مدينة برقة وآثارها الإسلامية

عبق التاريخ وطرز العمارة

على الرغم من الازدهار الفني الذي وصلت إليه الآثار الإسلامية في ليبيا في القرون الأربعة الأولى للهجرة ثم في العصر العثماني بعهديه الأول والثاني إلا أن هذه الآثار لم تلق العناية القصوى من قبل الدارسين والباحثين الذين اهتموا بوضع الموسوعات الضخمة والرسائل العلمية عن الفن الإسلامي ومن ثم لم تحظ الآثار الليبية في العصر الإسلامي إلا بالفقرات القصيرة والرسائل العلمية القليلة للغاية.

ويتناول هذا الكتاب دراسة جديدة بقلم الدكتور عبد الله كامل موسى عبده الذي اعتمد على خبرته الأكاديمية في دراسة وتدريس الآثار والفنون الإسلامية في جامعتي القاهرة وجنوب الوادي. واعتمد على دراساته الميدانية لموضوعات الكتاب في ليبيا خلال الفترة التي كان فيها محاضرا ورئيسا لقسم الآثار بكلية الآداب والتربية - جامعة عمر المختار.

وجاءت فصول الكتاب الخمسة دراسة حضارية وأثرية تعد الأولى من نوعها لتاريخ وآثار مدينة برقة (المرج حاليا) في العصر الإسلامي التي تتمثل في نشأة ونمو وتطور المدينة ثم دراسة منشآتها المعمارية الدارسة والباقية.

الناشر